الأستاذ مظاهري

الفضائل والرذائل

في أخلاق الأسرة والمجتمع

ترجمة
دار الصفوة

دار الصفوة
بيروت - لبنان


الفضائل والرذائل

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م



بيروت ـ بئر العبد ـ الصنوبرة ـ مقابل سنتر داغر ـ بناية دياب مهدي

ت: ٨٢٣٥١٨ـ ٨٢٢١٦٧ـ ٦٠١٠٠٢
فاكس. ٠٠٩٦١١٦٠١٠١٩
ص.ب: ٦٣ / ٢٤

Tel. 823518 - 822167 - 601002
Fax. 009611601019
P o. Box 63/24

الأستاذ مظاهري

الفضائل والرذائل
في أخلاق الأسرة والمجتمع

ترجمة: دار الصفوة



مقدمة المترجم

كتاب الفضائل والرذائل الاخلاقية من الآثار الجديدة لاستاذ الاخلاق في الحوزة العلمية في قم سماحة آية الله الشيخ المظاهري الذي عرف منذ سنوات طويلة بتدريس الاخلاق والمفاهيم التربوية في قم لطلاب العلوم الدينية وغيرهم من فئات المجتمع ، وقد تميز اسلوبه بالبساطة واليسر مما جعل محاضراته وكتبه سهلة الفهم والاستفادة من عامة القراء والمستمعين لخلوها من الغموض والمصطلحات العلمية .

ثم هو في ما يلقيه أو يطبع من آثاره يتوخى إثارة المواضيع العلمية والمعاشة من اغلب الناس محاولاً ايجاد العلاجات والحلول من خلال النصوص الشرعية وسيرة المعصومين والعلماء مبتعداً عن طرح المطالب العصية على الفهم أو الأمور النظرية التي لا فائدة عملية لها .

وقد طبع كتابه هذا ضمن سلسلة «الأخلاق البيتية» الجزء الثاني بالفارسية حيث اضيف إلى اصل الموضوع محل البحث أي «الفضائل والرذائل الاخلاقية» ثلاثة ابحاث :

الأول : حول صلح الإمام الحسن عليه السلام .

والثاني : حول عيد النوروز .

والثالث : حول الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه .

ونحن عندما نقلناه إلى العربية جعلناه بعنوانه الأصلي «الفضائل والرذائل الاخلاقية» وحذفنا الأبحاث الزائدة الخارجة عن موضوعه لكن ابقينا البحث الاخير حول الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه لأجل التبرك ولما فيه من الفوائد .

وقد سعينا إلى تقليل الأخطاء ما أمكن ومراعاة الدقة بحسب الوسع ولكن مع هذا لا ندعي الخلو من السهو والاشتباه إذ العصمة لاهلها وانما علينا أن نعمل بمقدار ما نملك من وسع ونوايا وأملنا في حسن ظن القارىء واغضائه . والله الموفق وهو الهادي سواء السبيل .

لجنة الترجمة
في دار الصفوة



الدرس الأول

مقدمة في فضيلة شهر رمضان المبارك

أقسام الصوم

١ ـ الصوم الشرعي.
٢ ـ الصوم الأخلاقي.
٣ ـ الصوم العرفاني.

التفكر والتأمل في الآيات الإلهية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته أبي القاسم محمد صلىٰ الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين سيما بقية الله في الأرضين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

شهر رمضان، شهر مبارك، شهر مليء بالعظمة، إذا أردت خير الدنيا ففي هذا الشهر، في هذا الشهر ينزل رب العالمين الرحمة، وقد أعطىٰ وعداً باستجابة الدعاء.

وان أردت الآخرة ففي هذا الشهر أيضاً.

نحن نقرأ في القرآن الكريم بأن الصائمين يخاطبون عندما يدخلون الجنة:

﴿كلو واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾[1] .

لقد عُوضِت طاعة الصوم بنعمة الجنة، فكلوا واشربوا إنها المكافأة

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٤.

التي هيأها لكم شهر رمضان المبارك.

إذا أردت التكامل السلوكي فبمقدورك التقدم خمسين عاماً خلال هذا الشهر، بل ربما خلال يوم واحد أو ليلة واحدة أو ساعة واحدة.

لقد تفضل رب العالمين بقوله:

﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1].

إنما أوجبت عليكم الصيام كما أوجبته على السابقين لأجل بناء الذات وتكامل السلوك.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

أقسام الصوم

الصوم ثلاثة أقسام تستدعي الدقة والعناية من الشباب الأعزاء.

١ ـ الصوم الشرعي:

الصوم الشرعي ان تصوم بطن الإنسان، وكما ورد في الرسائل العملية هو اجتناب المفطرات، ومن يلتزم بذلك فليس عليه قضاء ولا كفارة، ومن المسلّم به حصول منفعة الدنيا وثواب الآخرة، ولكن هذا الصوم لا يحقق الفوائد المرجوة الأُخرىٰ، فهو صوم شرعي وهو صوم العامة من الناس.

٢ ـ الصوم الأخلاقي:

ويعني بالإضافة إلى صوم البطن ان تصوم الجوارح، العين والأذن واليد والقدم، وكذلك فهو صوم عن المحرمات وصوم عن المكروهات وصوم عن الشبهات.

ورد في بعض الروايات ان من يكذب في شهر رمضان المبارك أو يغتب أحداً، أو يتهم أحداً، أو يجرح بلسانه أحداً فإن صومه باطل.

زرعة عن سماعة قال سألته عن رجل كذب في رمضان قال افطر وعليه قضاؤه فقلت ما كذبته الذي أفطر قال يكذب على الله وعلى رسوله[1] .

ان للصائم الحقيقي دعوة مستجابة عند الإفطار، وإذا صامت جوارحه وأعضاءه كما صامت بطنه فبإمكانه الوصول بتكامله السلوكي إلى درجة عالية ورفيعة في الأيام الأخيرة من الشهر المبارك.

سمعَ رسولُ الله ﷺ امرأة تسب جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله ﷺ بطعام، فقال لها كلي فقالت: إني صائمة، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، ان الصوم ليس من الطعام والشراب[2] .

وفي رواية أُخرىٰ ان النبي الأكرم ﷺ أمر الصائمين استحباباً، بأن يستأذنوه عند الافطار، وفي وقت الافطار حضر رجل مسن واستأذن النبي الافطار له ولابنتيه.

فقال النبي: أنت صائم فاذهب وافطر، ولكن ابنتاك ليستا صائمتين.

فقال: يا رسول الله أنا مطئمن انهما صائمتان، فقال: اذهب وقل لهما ان يتقيئا (واعطاه جرة واسعة الفوهة) وعندما عمل بطلب النبي، سقطت من فم الفتاتين قطعتان من اللحم، فتعجب من ذلك لأنهما لم يأكلا لحماً، وكان ذلك اللحم نتناً. وعندما سئل النبي عن العلة؟ قال: ألم تقرأ القرآن.

(أن من يغتب يأكل لحم الميتة) ان الفتاتين مع كونهما صائمتين تكلمتا بغيبة الناس[3] ؟

يقول القرآن الشريف:

---

(١) البحار، ج٩٦ ص٢٧٦ رواية ٢٣ باب ٣٢.
(٢) فروع الكافي، ج٤، ص٨٧ باب آداب الصائم.
(٣) البحار، ج٩٦ ص٢٩٣ و ٢٩٤.

﴿. . . و لا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾[1] .

لا تغتب لأن الغيبة أكلُ لحمِ الأموات، وما دمت تكره لحم الميتة فاجتنب الغيبة إذاً، ولا تلوكنَ عيوبَ الناس بغيبتهم .

يقال لهذا القسم الثاني من الصوم (الصوم الأخلاقي) .

لأن الإنسان يسعىٰ إضافة إلى صوم البطن ان تصوم جوارحه أيضاً .

وطلب التوفيق من الله والتوسل بالأئمة الطاهرين عليهم السلام وحضرة الزهراء عليها السلام، اعانة الصائمين بأداء الصوم الأخلاقي إضافة إلى الصوم الشرعي .

في شهر رمضان المبارك إذا تلاعب أحد بنظره ولم يحفظ عينه وسمعه ولسانه وكذلك باقي أعضاءه، فقد يكون أنجز صومه الشرعي، ولكنه لا يوفق لبلوغ درجة التقوىٰ ولا الدعاء المستجاب ولا تكامل السلوك .

٣ ـ الصوم العرفاني :

القسم الثالث من الصوم والذي يعتبر شاقاً هو صوم العارفين، فبالإضافة إلى صوم البطن والجوارح والأعضاء فكذلك يجب ان يصوم القلب . ولكن ممّ يصوم القلب؟

ان يصوم من خواطر السوء ومن الصفات الرذيلة .

يعني على الرغم من وجود الرذيلة في القلب لكنه يحول دون تأججها، فلا يتأجج الحسد ولا يتأجج البخل ولا يتأجج سوء الظن ولا

(١) سورة الحجرات، الآية : ١٢ .

يتأجج التكبر.

يعني ان القلب يصوم عن الالتفات لغير الله، فالعارف عندما يصوم لا يوجد في قلبه غير الله.

ان هذا النوع من الصوم ليس لنا، ولكن الذي يوفق في صومه الشرعي وصومه الأخلاقي يستطيع الوصول إلى هذا المقام آخر شهر رمضان المبارك.

إذا أصر الإنسان ـ وخاصة الشباب ـ ان يصل إلى مقام خلوص القلب وصفائه وان لا يتحكم بقلبه غير الله، فانه يستطيع ذلك.

الصوم في شهر رمضان وجب لهذه الغاية، وجب لكي يتقدم الإنسان خطوة خطوة، في اليوم الأول والثاني والعاشر والخامس عشر وليالي القدر وبعد ليالي القدر، فإذا دقق النظر يرىٰ انه إضافة إلى ان إرادة البطن والجوارح قد أصبحت بيده، فقد تلاشت خواطر السوء أيضاً.

وكذلك فان الرذائل رغم عدم اقتلاعها من جذورها لكنها أصبحت تحت سيطرته.

الأصنام تحطمت الواحد تلو الآخر، فتملك الله قلبه، وأنار الله قلبه، وبلغ مرتبة صفاء القلب.

فكان آخر شهر رمضان كما وصف القرآن الكريم:

﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[1].

يجب على الصائم في شهر رمضان ان يخطوا نحو الأمام مستفيداً من نور الولاية ومستفيداً من نور الصوم، لكي تصوم بطنه وجوارحه عسىٰ ان

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

يأخذ الله بيده فيصل آخر شهر رمضان محل الرقي وموضع الكمال وهذا ممكن، وكثير هم الذين استطاعوا ان يطووا الخمسين عاماً بساعة واحدة بل بلحظة واحدة.

الفضائل والرذائل الأخلاقية

قررت في هذا العام ان اتطرق إلى الفضائل والرذائل الأخلاقية على ان أبين في يوم إحدىٰ الفضائل الأخلاقية مصحوبة بكيفية اكتسابها وتجذيرها في القلب.

واستعرض في اليوم الآخر إحدىٰ الرذائل الأخلاقية مصحوبة بأسلوب معالجتها مع ذكر الروايات المتعلقة بذلك.

وأبدأ هذا اليوم بعون الله ولطف بقية الله بذكر الفضيلة الأولىٰ:

التفكر والتأمل في الآيات الإلهية

ان من أولىٰ الفضائل هي التفكر والتأمل في آيات الله، ومقدار ما فيها من الثواب كما جاء في بعض الروايات:

(تفكر ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنةٍ)[1] .

يعني ان الإنسان يستغرق في التفكير لحظة متسائلاً من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ ملتفتاً إلى انه في محضر الله ومحضر النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام ومحضر صاحب الزمان عليه السلام وأخيراً فان الاستغراق في التفكير مع النفس ولو ساعة واحدة حول الدنيا والآخرة والتفكير في أمر النفس وحال الإنسان يعادل ثواب عبادة سنة كاملة.

يعني ثواب قيام شخص في المسجد ليله ونهاره وصيامه سنة بتمامها يعادل تفكر ساعة في شهر رمضان المبارك أو غير شهر رمضان.

قال أستاذنا الكبير حضرة الإمام الخميني ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ في

---

(١) البحار، ج٧١ ص٣٢٧ رواية ٢٢ باب ٨٠ عن أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة إنما يتذكر أولوا الألباب».

كتابه الأربعين:

(تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، من عبادة سبعين سنة) ومن المعلوم ان ذكر السنة والستين سنة وغيرها من باب المثال وذلك يعني مقدار الثواب المقابل لساعة التفكر لا يعلمه أحد غير الله.

مضافاً إلى ان السعادة مرهونة بالفكر والالتفات، فإذا كان بوسع هذا الإنسان ان يستغل الفضاء فان القرآن اشار إلى إمكان استثمار جميع السماوات وإنما يكون ذلك بالفكر والالتفات.

﴿ألم تروا ان اللَّهَ سخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض﴾(1) .

يعني أيها الإنسان ليس بوسعك فقط استغلال السماوات بل تستطيع استغلال جميع العالم الموجود.

وفي مورد آخر يشير القرآن الكريم إلى ان بوسع الإنسان أن يقيم علاقة مع الملائكة.

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾(2) .

الذين يقولون ربنا الله ويستقيمون على هذا القول يعني انهم يتفكرون يعني انهم منتبهون، ولهذا تنزل عليهم الملائكة تكلمهم بأن لا يحزنوا ولا يغتموا، نحن نعينكم على معاناتكم ونخفف عنكم كربة الموت، ونحن أولياؤكم في الدنيا والآخرة.

---

(1) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(2) سورة فصلت، الآيتين: ٣٠ و ٣١.

الـذي يستطيع التصرف بـالفضاء وعـالـم المخلـوقـات وحـده الإنسـان المتكامل الذي فكر وتأمل وانتبه وعلى أساس ذلك سلك وتحرك.

إضـافـة إلـى ذلـك فـان القرآن يطلـب منـا ان نفكـر ونتنبـه بـل يشـدد علـى ذلك:

﴿يـا أيهـا الـذيـن آمنـوا اذكـروا الله ذكـراً كثيـراً * وسبحـوه بكـرة وأصيلا﴾[1] .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه، إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه. فرض الله عز وجل الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدهن وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه والحج فمن حج فهو حده إلا الذكر فان الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه، ثم تلا هذه الآية[2] :

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾.

مطلب آخر ينبغي الالتفات إليه، وهو ان الهدف لجميع العبادات كما يريده القرآن هو الوصول إلى مرتبة الذكر، يعني الوصول إلى مقام الفكر ومقام التأمل.

إذا كانت الصلاةُ مخاطبةَ اللّهَ فلأجل الوصول إلى مرتبة الفكر والذكر وصيام شهر رمضان المبارك لهذا الهدف أيضاً.

العبادة البدنية والمالية، عبادة القلب، أجمعها لفرض الوصول إلى مرتبة الفكر، لأجل الوصول إلى مرتبة الذكر.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتين: ٤١ و ٤٢.

(٢) أصول الكافي ج٤ باب ذكر الله كثيراً الرواية الأولىٰ.

في سورة طه يقول:

﴿انني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾[1] .

اني أنا الله لا إله إلا أنا، تعني أيها الإنسان حطم الأصنام، أيها الإنسان لا تتبع الهوىٰ، لا تتبع الشيطان، أيها الإنسان لا تكن مذنباً في الحياة، صل وصم، اعط الخمس والزكاة اذهب إلى الحج والجهاد، آمر بالمعروف وانه عن المنكر، كن متولياً ومتبرياً، لماذا كل هذا؟ **﴿. . . وأقم الصلاة لذكري﴾**، لكي تصل إلى مرتبة الذكر مرتبة الفكر مرتبة التأمل.

على هذا فقد كان بحث اليوم ان الفضيلة المهمة للإنسان والتي تتوقف عليها باقي الفضائل، والتي لأجلها وجبت العبادات هي الفكر والتأمل.

نقلوا ان وصية معلم الأخلاق وأستاذنا الكبير العلامة الطباطبائي ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ أثناء الموت للجميع كانت قوله:

التأمل! التأمل! التأمل! .

إني في آخر الموضوع أبلغكم رجالاً ونساءً وصية هذا الرجل العظيم ان تتفكروا، ان تتأملوا، استغرقوا في الفكر ساعة من الليل والنهار، انتبهوا إلى انكم في محضر الله.

الإمام الراحل ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ كان يكرر قوله:

التأمل! التأمل! التأمل!

---

(١) سورة طه، الآية: ١٤.

الدرس الثاني

فضيلة (التأمل) و (التفكر)

- اطلاع الله والنبي والأئمة الأطهار عليهم السلام على أعمال الإنسان.
- مراقبة الملائكة لأعمال الإنسان.
- شهادة الدنيا على الإنسان.
- شهادة أعضاء الجسم على الإنسان.

فضيلة التأمل والتفكر

بحثنا في موضوع الفضائل والرذائل الأخلاقية وفي آخر موضوع الأمس أشرت إلى فضيلة التفكر والتأمل، وتوصلنا إلى ان جميع الفضائل تعود إلى هذه الفضيلة، وان الهدف من العبادات هو التفكر والتأمل وان تقدم البشرية يعتمد على هذه الفضيلة.

ان اجتياز مقام التوبة واليقظة والوصول إلى مقام التخلي، واجتياز مقام التخلي والوصول إلى مقام التحلي والتجلي ومن ثم مقام لقاء الله، كل ذلـك بالاهتمـام بفضيلة التفكر والتأمل.

وموضوعي هذا اليوم حول التفكر والذكر، الذي لو التزمه الإنسان في حياته فسوف يحظىٰ بسعادة الدنيا والآخرة قطعاً.

ـ اطلاع الله والنبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام على أعمال الإنسان:

يجب ان نلتفت إلى اننا في ساحة حضور الله وساحة حضور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وحضرة الزهراء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، حتى اتجاه تفكيري وتفكيركم، وطريقة انتباهي وانتباهكم ملحوظة من قِبَلهم.

يعنـي ان الله والنبـي والـزهـراء والأئمـة الطـاهـريـن عليهم السلام يعلمـون ويدركون مدىٰ اخلاصي في قولي لله. وكذلك مدىٰ انتباهكم لما أقول وان حضوركم إلى هنا هل هو لله؟ أم لغيره!

وفي هذا المورد آيات كثيرة:

﴿وقل اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1] .

أيها الإنسان انتبه فانك في ساحة حضور الله، ان تحسن أو تسيء أو تذنب فانك في ساحة حضور الله، وفي ساحة حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم والزهراء والأئمة الطاهرين عليهم السلام .

عندما تنجز عملاً أو تقول شيئاً، أو حتىٰ عندما تفكر، يجب ان تلتفت أولاً إلى هذه الآية، والتي تعني ان تأخذ بالحسبان، ان الفكر والقول والعمل يعلمه الله والنبي والأئمة الطاهرين وحضرة الزهراء عليها السلام . وان جميع أفكارنا وأعمالنا مكشوفة في ساحتهم المقدسة، يجب ان نكون منتبهين لهذا الأمر.

ان هذا النوع من الفكر والانتباه ينظم قوىٰ الإنسان ويولد بمرور الزمن رويداً رويداً ملكة التقوىٰ، قليلاً قليلاً مع سعة الصدر والصبر ومرور الزمن يتملك الإنسان حالة يتجنب معها الذنب العمدي بصورة لا إرادية، ويستحي بها من الله والنبي..

ـ رقابة الملائكة على أعمال الإنسان:

بالإضافة إلى هذا، اعلم ان الكثير من الملائكة المقربين وغير المقربين يتواجدون ويرقبون أقوالك وأعمالك، القرآن في أحد المواضع

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

يقول هناك ملكان يرقبان ويكتبان أعمالك الحسنة والسيئة، أي يقومان بمهمة تعبئة الملف بشكل متواصل.

﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1] .

لا تتفوه بشيء وما تفعل من شيء إلا ويسجله الملك الموكل بك وملف العمر هذا يفتح يوم القيامة.

﴿وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾[2] .

يفتح هذا الملف يوم القيامة ويقال له اقرأ، سواء أكان يعرف القراءة أم لم يكن يعرفها يقال له:

﴿اقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[3] .

مما يدل على ان الجميع يستطيعون القراءة يوم القيامة، ولكن بأي شكل يكون؟ ذلك ليس من موارد بحثنا الحاضر.

فهذه إذن مجموعة من الملائكة التي تراقب أعمالنا.

وبالإضافة إلى هذين الملكين، فان الملائكة المقربين لله مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش. كذلك يرقبون أقوالك وأعمالك وأفكارك.

﴿كتاب مرقوم * يشهده المقربون﴾[4]

---

(١) سورة ق، الآية: ١٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٤.
(٤) سورة المطففين، الآيتين: ٢٠ و ٢١.

وذلك يعني ان أي شيء فعلته في الدنيا قد سجل في صحيفة الأعمال ويشهد عليه ملائكة الله المقربين يوم القيامة. وإنما يستطيع ان يدلي بالشهادة من كان حاضراً ورقيباً.

فهذه الآية الشريفة تقول (ان الملائكة المقربين يشهدون يوم القيامة بما لك أو عليك).

هذه الآية الشريفة تُعلمنا وتنذرنا، لكي تكون على حذر بأن جميع أقوالك وجميع أفعالك وحتىٰ جميع أفكارك يراقبها الملائكة جبرائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش، أي انك في ساحة حضورهم.

وقد ورد في الروايات، ان جميع أعمالنا وأقوالنا وأفعالنا يرقبها حضرة عزرائيل.

الأشخاص الذين يؤدون الصلاة أول وقتها، الأشخاص الذين يولون الأهمية للصلاة والمحراب والمسجد، فان عزرائيل يُرفق بهم لحظة موتهم ويلقنهم الشهادتين.

أما الأشخاص الذين لا يتصفون بذلك فإنه يشدد عليهم حين الموت.

وسوف يرضىٰ عنا عزرائيل إذا كانت أعمالنا حسنة ويسعف استغاثتنا أثناء الموت.

ولن يرضىٰ عنا إذا كانت أعمالنا سيئة ويستخرج أرواحنا بشدة ومشقة وإيذاء.

وهذه هي الالتفاتة الثانية.

ـ شهادة الدنيا على الإنسان:

وهناك التفاتة أُخرىٰ يجب مراعاتها في مجال التفكر وهي انه بالإضافة إلى الله والنبي والأئمة الطاهرين وملائكة الله المقربين عليهم السلام فان الباب والحائط والزمان والمكان كلهم حاضرون أيضاً ويرقبون أعمالنا وأقوالنا، وهذا مما شهد به القرآن، ونحن نستفيد من القرآن إذاً بأن العالم حي وله شعور.

إذا كنا نسمع ونرىٰ ونعقل، علينا ان نفهم ان الباب والحائط ذو انتباه وان الزمان والمكان أحياء.

ولا يستطيع العلم إثبات مثل هذا الأمر، وكذلك علم الفلسفة والعرفان لا يستطيع ان يقول لنا ان شهر رمضان المبارك حيٌ مثلاً.

ماذا يعني ان الأرض التي نجلس عليها ذات انتباه. وكذلك الأعمدة والسقف. والسماعة التي أمامي والمصباح الذي فوق رأسي وأخيراً بأي معنىٰ تكون جميع الأشياء في العالم ذات شعور، العلم لا يستطيع إثبات ذلك، ولكن القرآن يقول:

﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[1]. لا يوجد في هذا العالم شيء إلا وله شعور ويسبح الله، وان صوت (سبحان الله) و (الله أكبر) يصدح عالياً في عالم الوجود.

القرآن يقول من كان له اذن قلب يفهم ان العالم يتكلم معه بنفس الصوت، لقد كان للنبي داوود عليه السلام أذن قلب، لذلك عندما كان يقرأ الزبور فانه يسمع صوت وترديد الأشياء من حوله، يسمع مناجاة وتسبيح الجبل والباب والحائط والطير وغير الطير.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

﴿يا جبال أوّبي معه والطير﴾[1] .

(نحن نسمع ونبصر ونعقل، وهذا يعني اننا صامتون مع الأجانب عنا) لكي يسمع الإنسان أو يرىٰ هذه الأشياء يحتاج إلى قلب وأذن وعين.

إذا فكر الإنسان وتأمل مرتين أو ثلاث مرات في اليوم. فسوف يصل رويداً، رويداً إلى الإحساس بأن الباب والحائط والزمان والمكان يرقبون أعماله وأقواله.

نقرأ في الروايات بأن الليالي والأيام تشهد لصالح الإنسان أو تشهد ضده يوم القيامة.

أي ان اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك يشهد يوم القيامة بوجود مصلىٰ للجماعة، أو منبر للإرشاد أو خطبة، ويشهد بأن الخطبة كانت لله أم كانت لغيره، وبالنتيجة يشهد إثماً كان ما جرىٰ أم ثواباً.

أما بخصوص المكان فان القرآن الكريم يقول في سورة الزلزلة:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحىٰ لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

تحدث زلزلة عجيبة تجمع الناس يوم القيامة أمام الله، وتشهد الأرض على الإنسان عند ذاك.

لو ان شخصين اغتابا أحداً في شهر رمضان المبارك، فان الأرض تشهد عليهم يوم القيامة.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٠.

لو ان شخصين فعلا ما ينافي العفة ـ لا سمح الله ـ في غرفة ما، فان الأرض والسرير والفراش ووسائل النوم تشهد كلها على ذلك الرجل وتلك المرأة.

يصاب الإنسان بالذعر ويسأل الأرض، لماذا تشهدين ضدي؟ فتجيبه لأن الله انطقني، اليوم يوم الفضيحة، ولئن سكت في الدنيا فلأن الله لم يسمح بذلك.

أما في يوم القيامة فان الله يأمرها بالكلام **﴿بأن ربك أوحىٰ لها﴾** يعني أيها الرجل وأيها المرأة ان هذه الأرض التي نعبدُ عليها بمقدورها التكلم معنا. ولكن الله سمح لها ان تخاطب بعض الناس فقط. أما يوم القيامة فتخاطب جميع الناس.

فتشهد ان كان هناك من عبادة، كما تشهد ان كان هناك من ذنب لا تظن بأننا فقط لدينا شعور، نعم الإنسان لديه شعور ولديه قابلية، له مرتبة ومنزلة كالورد المنثور على سلة هذا العالم، ولكنه كما قال صدر المتألهين (رضوان الله عليه).

(فكل موجود لديه من العلم والشعور والقدرة والإرادة بمقدار سعة وجوده)، وهذه العبارة العرفانية صاغها صدر المتألهين من القرآن ومن الروايات أهل البيت عليهم السلام.

ـ شهادة أعضاء الجسم على الإنسان:

يجب الانتباه لشيء آخر أكثر أهمية من كل ما سبق، وهو ان أيدينا، أقدامنا، عيوننا، آذاننا، ألسنتنا، جلودنا، لحمنا، عظامنا، كلها سوف تشهد علينا يوم القيامة.

وكذلك ينبغي ان نعلم ان هذه الدنيا دنيا المادة، وباطن هذه الدنيا هي الآخرة، هذه الدنيا عرضٌ والآخرة باطنها الحقيقي. ووجهة نظر القرآن ان عالم الآخرة هو عالم الحياة، يقول القرآن الكريم:

﴿وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[1] .

فليتنا نعرف ان عالم الآخرة هو عالم الحياة، حيث تنطق فيه جميع الأشياء، الأفعىٰ والعقرب تتكلم في جهنم، فتوبخ وتعاقب ولهيب جهنم يتكلم، يلوم ويعاقب، الفاكهة والقصر والسرير والماء ونعم الجنة تتكلم مع الإنسان، تسليه وتسره.

لذا في يوم القيامة إضافة إلى شعور روحه فان جميع أعضاءه وجوارحه تشعر وتسمع وتتكلم.

والآيات كثيرة في هذا المورد منها:

﴿حتىٰ إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾[2] .

أعوذ بالله من ذلك اليوم الفاضح! يقول: يأتون في صفوف الحشر، تشهد عليهم أعينهم بنظرات السوء أو مشاهدة الفلم الفلاني من الفديو في الساعة الفلانية في اليوم الفلاني.

آذانهم تشهد عليهم فتقول: اغتبتم، كذبتم، أسأتم، نلتم من الغير بألسنتكم، وثرثرتم.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) سورة فصلت، الآيتين: ٢٠ و ٢١.

جلودهم تشهد، عليهم فتقول: ألم تلمس يدك وجسمك امرأة من غير المحارم؟

وبالنتيجة الجلد والأذن والعظم تشهد على الإنسان فيذعر السيد من ذلك وتذعر السيدة منه كذلك، فيلتمسون ويقولون (لم شهدتم علينا).

القرآن الكريم يستعرض عتابهم لآذانهم وأعينهم وألسنتهم بخطابهم لجلودهم ﴿**قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا**﴾ لماذا تشهدون ضدنا. فيكررون جواب الأرض ﴿**قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء**﴾ أنا عندي شعور في الدنيا ولكن يسمح لي بالكلام، لم يسمح لي بالشهادة، أما الآن فان الله أمرني بالنطق وادلاء الشهادة.

تخبرنا هذه الآية الشريفة، بأن أعضاءنا وجوارحنا تعترف وتشهد علينا.

ذلك الذي وقف يتعبد، فان تلك الساق تشهد لصالحه يوم القيامة، إلهي لقد تعبت في الدنيا من استناده علي في عبادته ومناجاته في جوف الليل حيث كان يدعو ويصلي نافلة الليل.

وتلك اليد التي ساعدت الفقراء والضعفاء تقول يوم القيامة إلهي انه بواسطتي ساعد الفقراء والضعفاء، وكذلك اللسان الذي يلهج بالذكر والأذن التي تستمع إلى القرآن والأذن التي تستمع إلى خطب المنبر تقر بذلك للإنسان يوم القيامة.

أما العين التي استمتعت بأفلام الفديو والأذن التي استمتعت العزف والغناء والموسيقىٰ واللسان الذي انشغل بالغيبة ستشهد كلها على الإنسان يوم القيامة.

القدم التي تحركت نحو الذنب، اليد التي سرقت والعياذ بالله أو التي طففت في البيع، أو لطمت وجه أحد ما، هذه اليد تشهد ضد الإنسان يوم القيامة.

وكما يشير القرآن فان هذا الإنسان اللجوج والنابي أحياناً عندما نشهد عليه الأرض والزمان والملائكة ونبي الله والأئمة الطاهرين عليهم السلام ينكر ذلك فإذا انكر توقف لسانه عن الكلام.

﴿اليومَ نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾(١).

يعني ان هذا الإنسان الجاحد إذا أصر على اللجاجة يُقفل لسانه ولكن أعضاءه وجوارحه تشهد عليه.

يقول القرآن الكريم في موضع آخر:

﴿ولا تَقفُ ما ليس لك بهِ علمٌ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾(٢).

يعني أيها الإنسان احترس عن نشر الشائعة ولا تظنن بالآخرين سوءاً وانتبه لأقوالك وتحرك عن علم واتبع العلم وليس شيئاً آخر، ثم القرآن بعد ذلك يلفت الانتباه إلى:

﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

ظاهرك وباطنك يشهد عليك يوم القيامة، من هذه الآية الشريفة نفهم انه بالإضافة إلى شهادة اللحم والجلد والعظم وأعضاء الإنسان على

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

الإنسان، فقلب الإنسان وروح الإنسان وماهية الإنسان تشهد عليه يوم القيامة.

هذا الموضوع له جهة بحث عرفانية دقيقة أيضاً، لكنها ليست مورد بحثنا الحاضر. وموضوع بحثي هو الرجاء منكم رجالاً ونساءً ان تكونوا حذرين. لئلا تفتضحوا يوم القيامة بواسطة الزمان والمكان، وبواسطة الباب والحائط وبواسطة اللحم والجلد والعظم وبواسطة العين والأذن وبواسطة النفس.

الافتضاح أمر صعب، وأكثر ما يؤلم الإنسان الافتضاح.

لو ان أحداً أذنب في الدنيا لا سمح الله، فانه يرجح الموت على الفضيحة.

المرأة التي ارتكبت فعلاً سيئاً ـ حتى لو كان بسيطاً ـ تفضل الموت على الفضيحة.

الرجل والمرأة اللذان لا يريدان الفضيحة عليهما ان يعلما ان يوم القيامة يوم الافتضاح، يوم يشهد فيه الله والنبي والأئمة الطاهرين والزهراء عليهم السلام وملائكة الله المقربين، والباب والحائط والزمان والمكان وجميع أعضاء وجوارح الإنسان، أما للإنسان أو عليه.

انتبهوا لهذا الأمر، في كل يوم مرة أو اثنين أو ثلاث على الأقل بعد صلاتكم، وعند الفراغ، أو عند فراغ المرأة من أعمال البيت، أو أثناء عملك في السوق أو عندما تفرغ من ذلك، حدث نفسك وحلل هذا البحث وفكر فيه.

(تفكر ساعة خير من عبادة سنة).

فانتبه لهذا الأمر، لأن اهتمامنا يضمن السعادة في الدنيا والآخرة هذا الاهتمام يجعل الإنسان منتبهاً ومتفكراً، أي يمنحه ملكة التأمل والتفكر.

هنيئاً لمن كان يملك هذه الملكة ملكة الالتفات والتفكر بشكل يتأمل ويلتفت إرادياً ولا إرادياً.

القرآن يقول، إذا وصل المرء إلى هذه الحالة فان الله يأخذ بيده ويرفعه لحظة بعد لحظة:

﴿في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه﴾[1] .

ثم يقول:

﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[2] .

أولئك الذين لديهم ملكة التفكر والتأمل لا تشغلهم التجارة وأعمال الدنيا من ذكر الله.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

الدرس الثالث

رذيلة الغفلة

- ما هي الغفلة.
- أقسام الغفلة.

١ ـ الغفلة عن العدو.

العدو الأول: الشيطان.

العدو الثاني: هوىٰ النفس.

العدو الثالث: الدنيا.

٢ ـ الغفلة عن العمر.

٣ ـ الغفلة عن القابليات.

٤ ـ الغفلة عن الموت.

ما هي الغفلة

بحث اليوم حول رذيلة الغفلة، وهي رذيلة مضادة لفضيلة التفكر والتأمل. من وجهة أخلاقية كلما كان التفكر والتأمل عالياً ورفيعاً يوجب ارتفاع الإنسان وتكامله.

أما رذيلة الغفلة ورغم صغرها فانها تحط الإنسان وتجره إلى السقوط وحسب تعبير القرآن الشريف فانها تهبط بالإنسان إلى مستوىٰ الحيوان بل أكثر.

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[1] .

الأشخاص الذين تحكم الغفلة قلوبهم لهم أعين ولكن لا يبصرون ولهم أذان ولكن لا يسمعون ولهم قلوب ولكن لا يفهمون، أولئك كالحيوانات بل هم أحقر منها .

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

وحتى لو لم يكن عندنا شيء حول الغفلة سوىٰ هذه الآية الشريفة فانها تكفي لنقول ان الغفلة من الصفات المذمومة.

وفي آية أُخرىٰ يقول تعالىٰ بأن الغفلة تغلق القلب وتختم السمع والبصر.

﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾[1].

الغافلون بلا قلوب، قلوبهم مغلقة، لا يملكون القلب الواعي ولا الأذن السامعة حقيقة ولا العين الباصرة حقيقة وبالنتيجة فان قُفل الغفلة أوصل هؤلاء إلى مستوىٰ الحيوانية صفة الغفلة على العكس من صفة الانتباه، تجر الإنسان إلى السقوط. وتفقده الدنيا كما تفقده الآخرة.

والغفلة لها مراتب ودرجات تشبه مراتب التفكر والتأمل ولكن لا نتطرق إليها. وموضوع اليوم يدور حول الغفلة باعتبار متعلقها لا بلحاظ مراتبها.

أقسام الغفلة

١ ـ الغفلة عن العدو:

الشيء الأول الذي يجب ان نلتفت إليه هو ان هذه الصفة تؤدي إلى الغفلة عن العدو، ومن يغفل عن عدوه يمكنه من القضاء عليه. فالغفلة في الخط الأول من جبهة الحرب تؤدي إلى إبادة ذلك الخط وإبادة الجند.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٨.

ـ العدو الأول: الشيطان:

يجب ان نعلم ان لنا عدواً شرساً، أقسم على العداوة.

القرآن الكريم ذكر ان الشيطان جادل الله وعانده عدة مرات واقسم خلال جداله أن يغوي عباده ليجعلهم من أهل النار عدا المخلصين منهم ـ المعصوم أو من يتلو المعصوم ـ.

﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾[1] .

لنا هكذا عدو أقسم على العداوة، فالغفلة عنه تجلب الفضائح، وذهاب الجاه والدنيا والآخرة.

هذا العدو أقسم ان يشرع بالقليل ولا يكتفي به بل يمضي ما استطاع لذلك.

القرآن الكريم يشير إلى انه لا يأتي من طريق واحد بل من أي طريق يتمكن منه.

وفي بعض المواضع التي جادل فيها الشيطان ربَّ العالمين فقال:

﴿فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[2] .

يعني إلهي، بسبب ضياعي من أجل هذا الإنسان سوف أحول بينه وبين طريق السعادة. وسوف آتيه من الأمام والخلف واليمين والشمال، ولن أسمح لهم ان يكونوا صالحين، ولن أسمح لهم ان يستمتعوا بنعمتهم.

الإمام الباقر عليه السلام يقول: معنىٰ هذه الآية الشريفة ان الشيطان يقول:

---

(١) سورة ص، الآيتين: ٨٢ و ٨٣.

(٢) سورة الأعراف، الآيتين: ١٦ و ١٧.

سأجعل الآخرة صغيرة واجعل الدنيا كبيرة في أعينهم وسوف آتيهم من طريق الذنب ومن طريق الدين. عن طريق الدين آتي إلى المقدسين، يعني عن طريق الرياء، عن طريق التظاهر بأن هذا رياء لا تفعله، هذا تظاهر لا تفعله، هذا عجب لا تفعله وأفسد عمل المتدينين بالوسوسة، وبالنتيجة سأسلك كل طريق فيه غواية للإنسان.

وواضح ما ستفعله الغفلة بالإنسان عن هذا العدو المعاند.

ـ العدو الثاني: هوىٰ النفس:

العدو الثاني النفس الأمارة وهواها وحواسها، وهذه النفس الأمارة التي يخاف منها مثل حضرة يوسف عليه السلام، حيث يقول في دعائه لله **﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾**[1] .

وعندما خرج من الابتلاء منتصراً كرر قوله: إلهي لولاك لكنت من الخائبين.

النفس الأمارة التي كما قال مولوي (شعراً):

النفس ثعابين متىٰ تموت تمتلىء غماً.

فإذا تركت الإنسان في مكان ما أو في وقت ما فذلك لأنه لم يبق له ماء ليسبح فيه ولم يبق له مجال لكي يعمل.

عن المرحوم المقدس الأردبيلي ـ أحد مراجع التقليد الذين وصلوا لخدمة الإمام صاحب الزمان عليه السلام عدة مرات ـ.

سئل: إذا كنت في غرفة ليس فيها أحد سوىٰ امرأة غير محرمة، فهل تزني أم لا؟

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

المرحوم المقدس لم يجب لا، إنما أجاب ادعوا الله ان يبعدني عن مثل هذا الموقف.

من هذه العبارة نستفيد ان النفس الأمارة لا تفرق بين الشاب والمسن، والرجل والمرأة والمقدس وغير المقدس، ويجب على الجميع الحذر منها لأنها معنا في حالة حرب بشكل دائم.

الرواية المنقولة عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أرسل مجموعة إلى الحرب، وعندما عادوا قال: مرحباً بمن اجتازوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. ثم قال:

(أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه).

يعني أعلىٰ مراتب الجهاد جهاد النفس.

نعم الحرب مع النفس الأمارة حرب كبيرة، وهذه الحرب قائمة بيننا دائماً، بُعدنا الملكوتي وبُعدنا الناسوتي في هذه الحرب دائماً، وبحسب العادة فان هذه النفس الأمارة والهوىٰ والهوس كلها على الإنسان.

الغفلة عن النفس الأمارة وعن لحظة من الهوس تستتبع الندم طيلة العمر، نصف ساعة أو ربع ساعة، أو ساعة من الخلوة بين الرجل والمرأة في بيت ما تستتبع عمراً من الفضيحة وعمراً من الندم وعمراً من الخيبة.

ـ العدو الثالث: الدنيا:

عدونا الثالث هو الدنيا، والدنيا عدو عجيب للإنسان، القرآن الشريف في آيات كثيرة ينبه الإنسان ان يكون على حذرٍ من لمعانها وبريقها، ان ينتبه من الوقوع بمكرها وخداعها، لأن الآخرة لا تجتمع مع الدنيا الحرام.

﴿يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾[1] .

أيها الناس احترسوا من العدوين الشرسين، الأول الدنيا فلا تقعوا بمكرها والآخر الشيطان، ان الدنيا الحرام والآخرة لا يجتمعان.

أحد أعمال البهلول ان عموداً كبيراً سقط في وسط الطريق فأمسكه من طرفه ورفعه فبقي الطرف الآخر على الأرض. فرفعه من طرفه الآخر فبقي هذا الطرف على الأرض، فأمسكه من الوسط فلم يتمكن من رفعه، فقيل له ماذا تفعل يا بهلول فأجاب هذه الدنيا والآخرة فان أخذت طرف الدنيا بقيت الآخرة على الأرض، وإن أخذت طرف الآخرة بقيت الدنيا على الأرض، وعندما أردت حمل الاثنين معاً فلم أستطع ذلك، يعني ان الدنيا الحرام الملوثة لا تجتمع مع الآخرة.

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[2] .

الدار الآخرة خاصة بمن لا يطلبون الرئاسة والعلو، خاصة بمن لا يعبدون الدنيا، ومن الواضح ان عبادة الدنيا تهدم دار آخرة الإنسان.

تنقل قضية لمرجع التقليد الكبير ـ المرحوم الشيخ محمد تقي الشيرازي ـ رضوان الله عليه ـ كان كثير التحقيق وفي مرتبة عالية من جهة العمل والتقوىٰ وبناء النفس.

وعندما توفي المرحوم الميرزا الكبير رحمه الله ، كان من المسلم ان المرجعية له، ولكن عندما أرادوا الصلاة على جنازة المرحوم الميرزا

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٥.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣.

الكبير، لم يجدوا الشيخ الشيرازي، فبحثوا عنه هنا وهناك وأخيراً عثروا عليه في السرداب المطهر وقد تورمت عيناه المباركتين من كثرة البكاء، وتحدث بعد ذلك فقال: عندما وصلني خبر وفاة الميرزا الكبير قلت لنفسي:

(أصبحت رئيساً) وشعرت بارتياح لذلك، ففهمت اني لا أليق بالمرجعية، وفهمت ان هذه المرجعية لأجل الدنيا لذلك جئت لزيارة الإمام صاحب الزمان (عج) وأقسمت عليه بأمه الزهراء عليها السلام ان لا أكون مرجعاً لأني لا أليق لذلك.

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[1].

الدنيا تمكر، الدنيا تشغل الإنسان، وإذا غرق الإنسان في الدنيا لا سمح الله، كمن يغوص في أوحال الذل والضعف، ويغوص أكثر لحظة بعد أُخرىٰ حتى يصل أخيراً لحظة الموت، كدودة القز تلف الخيط حولها حتى تختنق.

إذا تعلق الإنسان بالدنيا، إذا اتسعت غفلته عن هذا العدو. فضياع الإنسان أمرٌ مسلّم، وتنبيه القرآن المتكرر ينبيء بأنها عدو كبير.

لذا فأول شيء تجلبه الغفلة هو ان ننسىٰ أعداءنا. عدو كالدنيا وعدو كالنفس الأمارة، وعدو كالشيطان أعداء كهذه تستدعي الحذر والانتباه يلزمنا الانتباه إلى هؤلاء الأعداء الثلاثة. وهؤلاء الأعداء معنا حتىٰ نموت.

فأما ان نتغلب على هؤلاء بالانتباه والارتباط بالله والتوسل بأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

أو ان يتغلبوا علينا بالغفلة، ونكون من أهل النار.

٢ ـ الغفلة عن العمر:

الغفلة الثانية التي تسبب الخيبة، هي الغفلة عن العمر. العمر نعمة غالية بشكل استثنائي، ولا توجد نعمة أرقىٰ منها بعد نعمة الولاية.

المثل المشهور بين عامة الناس ان العمر كالذهب.

ولكن هنا خطأ، وهذا التشبيه اشتباه، العمر ليس ذهباً بل هو أكثر قيمة من الذهب، إذا التفت الإنسان إلى العمر والشباب لاستطاع في شبابه ان يؤمن سعادة الدنيا والآخرة.

نحن كثيراً ما نجد أشخاصاً لم يمضِ من أعمارهم أربعون او خمسون سنة لكنهم أصبحوا من المفاخر بسبب التفاتهم لأعمارهم فمنهم من كتب أكثر من مائتي كتاب لترويج الإسلام والتشيع وفقه التشيع.

وعلى عكس هؤلاء نجد كثيراً من الأشخاص عمّروا مائة سنة، ولكنهم أتوا كحيوان، وأكلوا كحيوان، وذهبوا من الدنيا كحيوان لا غير.

أو كما تقول الرواية جاء كحجر وعاد إلى مكانه في جهنم رويداً رويداً، كإنسان عاش سبعين عاماً وعندما مات ذهب مباشرة إلى جهنم.

﴿إنَّ المُنافقين في الدَّرك الأسفل مِنَ النّار﴾[1].

هنا سوء الحظ لغفلة الناس ونومهم عن أعمارهم، كما قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

الناس نيام ولا يستيقظون من نومهم إلا عندما يرون عزرائيل حاضراً.

يقول القرآن الكريم عندما يأتي عزرائيل يرىٰ الإنسان كيف غفل عن عمره ولم يستفد منه، وقد فات الأوان، ولا يمكنه عمل شيء فيقول عندها: إلهي ارجعني لعلي أعمل لقبري ومحشري، لعلي أصير إنساناً.

﴿ربَ ارجعُونِ * لعلي أعملُ صالحاً فيما تركتُ كلا﴾[1].

لحظة الموت يرىٰ انه لم يعمل شيئاً وقد انقضىٰ عمره بالغفلة فيقول: إلهي ارجعني، فيقال له ان الرجوع محال.

يقول القرآن الكريم: ان هذه الاستغاثة لا تصدر فقط لحظة الموت بل عندما يذهب إلى جهنم، يقول هناك بحسرة وأنين إلهي ارجعني لأعمل لآخرتي، فلا يسمع سوىٰ جواب النفي والرفض.

﴿وَهم يَصْطَرِخُون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كُنا نَعَملُ﴾[2].

يعني ان أهل جهنم يئنون ويتأوهون فيها وبعض كلامهم:

ربنا ارجعنا إلى الدنيا لكي نعمل صالحاً، فيقال لهم: ألم نعطك سبعين عاماً من العمر، فماذا فعلت؟ ألم يكن لك شباب وشيخوخة؟ بأي عمل أفنيت شبابك؟ بأي شكل أمضيت شيبتك؟.

﴿أولم نعمركُم ما يتذكر فيه مَن تذكر ومَا جاءكُمُ النَّذيرُ فَذُوقُوا فما لِلظالِمين مِن نصيرٍ﴾[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتين: ٩٩ و ١٠٠.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

ألـم نعطكـم مـن العمـر مـا يكفـي لكـي تتـذكـروا، فـلا تسمعـون سـوىٰ جواب القهر الالهي (فذقوا) وتجرعوا هذا العذاب في جهنم فإن الظالـم ليس له نصير.

ولكن هذا الظالم ظلم من؟ لقد ظلم نفسه، ولماذا ظلم نفسه؟ لأنه كان بوسعه وفي خمسين عاماً من العمر، أو ستين عاماً أو سبعين عاماً، ان يدرك سعادة الدنيا والآخرة.

وكـان بـاستطـاعتـه ان يسعـد الآخـريـن، ولـو استثمر عمره لاستطاع ان يكون مفخرة من المفاخر.

ان الغفلة عن العمر والغفلة عن الشباب تسبب ذهاب الشباب هدراً.

العمر والشباب نعمة من العلو والعظمة إلى درجة أنه جاء في الرواية أن أهـل المحشـر عنـدمـا يـردون صفـوفـه، يجـري استجـوابهـم قبـل الحسـاب والكتاب فيسألون عن أمرين: الأول عن العمر والثاني عن الشباب[1].

على الجميع وخاصة أعزائي الشباب من البنين والبنات ان ينتبهوا إلى العمر وينتبهوا إلى الشباب، فالعبادة في الشباب عصا الشيخوخة، فانتهبوا إلى الشباب، وبوسعكم خلق السعادة ما دمتم شباباً.

أما إذا تجاوزتم الأربعين فقد عجزتم، فلا تستطيعون فعل شيء إذا لم تكونوا قد ادخرتم شيئاً لتأمين السعادة.

انتبهـوا لكـي لا يـذهـب الشبـاب هـدراً، انتبهـوا ان لا يتلـف الشبـاب بالبطالة والشهوة والأعمال التافهة.

(١) قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين كسبه وفيما انفقه وعن حبنا أهل البيت.
بحار الأنوار ج٧ ص٢٥٨.

الكل والجميع الرجال المسنون والنساء المسنات انتبهوا إلى العمر.

يستطيع الإنسان تأمين سعادة الدنيا والآخرة في يوم واحد، ولكن الغفلة عن العمر وعن هذه النعمة الكبيرة تسقط الإنسان وعلى قول القرآن الكريم: يصل الإنسان إلى مستوىٰ الحيوان بل أحقر من ذلك.

٣ ـ الغفلة عن القابليات:

الغفلة الثالثة والموضع الذي يركز عليه القرآن هو الغفلة عن ملكات الإنسان، هذا الإنسان موجود عجيب وكما يعبر القرآن فالإنسان (أمين الله)، وهذا الأمين الالهي يستطيع التصرف بقابلياته حتى يصل المقام الراقي، لكنه مع الأسف لا يستفيد من هذه القابليات. يقول تعالىٰ في آية الأمانة:

﴿إنا عَرضنا الأمانة على السمٰواتِ والأرضِ وَالجِبالِ فأبين ان يحملنها وَأشفقنَ منها وَحمَلها الإنسانُ انَّهُ كانَ ظلُوماً جَهُولاً﴾(١).

نحن عرضنا الأمانة على عالم المخلوقات، ولكنها لم تكن تمتلك مؤهلات القبول هذا الإنسان فقط كان لديه القدرة والقابلية وقد قبل الأمانة.

ولكن القرآن يقول: **﴿إنه كان ظلوماً جَهُولاً﴾**.

هذا الإنسان ظالم جداً لنفسه وجاهل جداً بنفسه فهو جاهل لأن الغفلة لا تدعه يلتفت لقدراته والغفلة لا تدعه يستفيد من ملكاته.

وهو ظالم لنفسه لأنه يذهب قابلياته هدراً كما يذهب الماء الكثير هدراً ولا يستفيد منه أحد.

فالإنسان ظالم وجاهل.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

وقد تجد شخصاً جائعاً رغم كونه يملك أرضاً واسعة ولديه ماء وافر.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

(من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فابعده الله)[1]

ان الذي لديه أرض ولديه ماء وما زال فقيراً فذلك بعيد عن رحمة الله، فرداً كان أو أمة.

نحن لدينا طاقات واستعدادات كامنة ويجب الاستفادة منها.

وإذا لم نستفد منها وفرطنا فيها فسوف تلحقنا لعنة الله والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام.

٤ ـ الغفلة عن الموت:

غفلة الإنسان الرابعة هي الغفلة عن الموت، كلنا نعلم بأننا سوف نموت، ولكننا نغفل عن هذا الموت ونغفل عن القبر ونغفل عن القيامة ونغفل عن جهنم ونغفل عن الجنة.

هذه الغفلة جعلتنا عاجزين، فيجب على الإنسان في كل يوم ان يغور في أعماق نفسه مرة أو مرتين أو ثلاث مرات، ليفكر بالموت.

انا وأنتم هل سنتمكن من الخروج من هذا المكان أم لا؟ ليس ذلك معلوماً.

هل سأتمكن أنا من النزول عن المنبر أم لا؟ ليس ذلك معلوماً.

هل هذه الليلة أول ليلة قبرنا أم لا؟ ليس ذلك معلوماً.

كلنا جميعاً غافلون عن الموت، لو نزل الموت فهل ستكون أول ليلة

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣ ص٦٥.

في القبر. ليلة راحة لنا أم ليلة شدة علينا؟.

أمر القبر صعب وصعب جداً.

ورد في الرواية ان شخصاً دفن، وعندما وصل النبي الأكرم ﷺ كان التراب قد أهيل على القبر، فوضع النبي يده على القبر وقرأ الفاتحة وبكىٰ حتى ابتل تراب القبر من دموع عينيه المباركتين، ثم قال:

(يجب التفكير بهذا المكان، يجب العمل. لا يتم الأمر بلا عمل).

جاء في الروايات: ان القبر ينادينا كل يوم، ولكننا أصماء في عالم الفتنة هذا، ولو كانت الأذن صاغية لسمعت نداء القبر كل يوم، فهو ينادي أنا بيت الظلمة فابعثوا لي بالنور أنا بيت الوحشة فابعثوا لي بأنيس، أنا بيت العقارب والحيات ولقد استحالت أعمالك السيئة عقارب وحيات فابعث شيئاً يعني توبة وإنابة تقتل العقارب والحيات، أنا بلا فراش فابعثوا لي بفراش، فالقبر ينادينا بشكل متواصل.

انتبه ستكون في بطني ففكر لهذا البيت واعمر هذا البيت[1].

هناك ما هو أشد إيلاماً من كوننا مشغولين بإعمار بيتنا الدنيوي وتزيينه وتنظيفه وتحسين أثاثه وترتيبه وغافلين عما سيحدث فيما لو كانت هذه الليلة هي ليلتنا الأولىٰ في القبر؟

عالم البرزخ هل هو سنة واحدة أم مليون سنة؟ أم عشرة ملايين سنة أم مليار سنة؟ لا نعلم من ذلك شيئاً.

عالم البرزخ هذا يتطلب منا العمل.

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص٢٦٧.
(عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان للقبر كلاماً في كل يوم يقول انا بيت الغربة أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود أنا القبر أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار).

الإمـام الصـادق عليه السلام يخبـر الشيعـة ان عـالـم البـرزخ فـي عهـدتكـم فشفاعتهم ستنال الشيعة ولكنه يخاف عليهم من البرزخ حيث قال:

(أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ قلت: وما البرزخ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة)[1].

ماذا أعددت لهذه سنة أو أكثر، يوم القيامة يوم صعب، يوم القيامة وكما يشير القرآن يود الإنسان ان يعطي كل شيء ويفدي نفسه بكل شيء لينجو ولكن لا ينفعه ذلك.

القرآن الكريم يعرض حالة الإنسان يوم القيامة وكيف يكون حاله ومصيره فيقول:

﴿يُبصرُونَهم يودُ المجرمُ لَو يَفتدي مِن عَذَابِ يَومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيـه * وفصيلتـهِ التـي تُـؤويـهِ * ومَـنْ فـي الأرض جميعـاً ثُـم يُنجيـه * كلا....﴾[2].

يقول الإنسان يوم القيامة، إلهي ابنتي وزوجتي وأخي وعشيرتي وكل فرد على الأرض فداء لنجاتي، يعني إلهي ليذهب الجميع إلى جهنم ولكن اطلقني.

فيأتيه الجواب كلا لن يكون ذلك، أنت وعملك.

ان كان عملك حسناً فالسعادة وان كان عملك سيئاً فالشقاء والتعاسة يوم القيامة يوم مشقة، احياناً يغرق الإنسان في غرفة بسبب الفضيحة حتى

---

(١) بحار الأنوار، ج٦ ص٢٦٧.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٥.

يسيل العرق إلى ذقنه.

فلا تغفل عن يوم القيامة ولا تغفل عن جهنم وعذابها ولا تغفل عن الجنة وعن النعم التي فيها.

ورد في الروايات ان من حسرات أهل النار انهم ينظرون إلى الجنة أثناء رواحهم إلى جهنم فيرون قصراً في الجنة ليس له صاحب وفيه حور عين بلا زوج وفيه حديقة بلا مالك، فصاحبها يجب أن يحترق في جهنم وهذا قصره وحوريته وحديقته بلا صاحب.

الدرس الرابع

فضيلة اليقين

- تعريف اليقين.
- أنواع الايمان.
  1 ـ الايمان التقليدي.
  2 ـ الايمان الاستدلالي.
  3 ـ اليقين.

فضيلة اليقين

كان البحث بخصوص الفضائل والرذائل الأخلاقية، وقد بحثنا فضيلة التأمل والتفكر كما تكلمنا حول بحث رذيلة الغفلة المضادة لفضيلة التفكر والتأمل بصورة مختصرة وأشرنا إجمالاً إلى ما الذي يجب ان نفعله لكي لا نغفل، وكيف نديم التفكر والتأمل حياً في نفوسنا:

ـ تعريف اليقين:

بحث اليوم حول فضيلة أُخرىٰ لا تقل أهمية عن فضيلة التأمل والتفكر وهي فضيلة اليقين، واليقين نظير العلم، ولكن العلم يرتبط بالعقل أما اليقين فيرتبط بالقلب والنفس. الشيء الذي يرسخ بالعقل يقال له علم، بينما إذا رسخ الشيء في القلب ورسخ في النفس بالإضافة إلى رسوخه في العقل يقال له يقين. اليقين يعني الثبات، فإذا ثبت المعلوم في القلب.

ـ أو حسب قول أستاذنا الكبير مؤسس الجمهورية الإسلامية حضرة الإمام (رضوان الله عليه)، إذا صدق القلب ـ يسمىٰ ذلك باليقين.

يعني أحياناً يصدق العقل بشيء فيقال لذلك علم، ولكن أحياناً أرقىٰ

من ذلك حيث يحدث ثبات ورسوخ في القلب فيصدق القلب وعندما يصدق القلب يقال لذلك التصديق يقين.

اليقين من الفضائل الكبيرة للإنسان، ولذلك عندما يشرع علماء الأخلاق ببحث الفضائل والرذائل فيعدون اليقين من أول الفضائل.

نحن ذكرنا فضيلة التفكر والتأمل كأول فضيلة، ولكن صفة اليقين إذا لم تكن أعلىٰ من التفكر والتأمل فهي لا تقل عنها.

اليقين الذي أتحدث عنه معكم الآن يرتبط بالدين، وليس اليقين الذي يرتبط بالعلوم الطبيعية أو العلوم غير الدينية، إذ ذلك موضوع له بحث مستقل وليس موضوع بحثنا الآن.

فموضوع بحثنا إذن هو اليقين المرتبط بالدين، يعني حصول اليقين بأن الله موجود، حصول اليقين بوجود المعاد والقبر والبرزخ والقيامة والجنة والنار.

أن يحصل لنا يقين بأن الله عادل وان الله جواد وكريم وان الله عالم وقادر وأن الله رؤوف رحيم.

وأن يكون لنا يقين ان القرآن حق والنبي الأكرم ﷺ خاتم الأنبياء ويكون لنا يقين أن أمير المؤمنين وأبناءه الأحد عشر عليهم السلام خلفاء وأوصياء بعهد النبي الأكرم.

يكون لنا يقين بأن ما يقوله النبي الأكرم ﷺ ملزم، فإذا قال (افعل) ففي الأمر مصلحة. وان قال (لا تفعل) ففي الأمر مفسدة ويطلق اليقين الديني على كل ما سبق.

يمكن تصور ثلاث حالات لليقين الديني اللازم للإنسان على أساس

الأمور السابقة.

ـ أنواع الايمان

١ ـ الايمان التقليدي:

القسم الأول علم، ولكنه علم بلا استدلال، علم بلا برهان. وهو العلم والمعرفة التي يفهمُ الإسلام بها عامةُ الناس. يعني العلم التقليدي. ومن الناحية الشرعية هذا العلم يوصل الإنسان إلى الجنة إذا تحرك وسلك على أساسه.

يأتي بالواجبات في محلها ويترك المحرمات، ويغادر هذه الدنيا وهو مرتبط بالله فيكون من أهل الجنة.

وحسب تعبير العلماء فإن (نتيجة البرهان) موجودة لدىٰ هؤلاء.

تسعة وتسعون بالمائة من الناس لا يستطيعون الاستدلال على أصول الدين ولكنهم يعلمون بأصول الدين، ويكفي لهم هذا المقدار، ولكن هذا العلم لم يترسخ بالقلب ولا بالعقل وطبق ذلك ليس لديهم برهان واستدلال.

هذا العلم يمكن ان يوصل الإنسان إلى الجنة، لكنه محدود المجال فهو يعجز عن التأثير في الطريق المسدود أو في الحالات الاستثنائية. أو حين تطغى إحدىٰ الغرائز فهو يعجز عن الوقوف بوجهها، ولا يستطيع المقاومة إذا واجهته مشكلة.

فقد يتعثر صاحبه وقد يكفر بعض الأوقات ويسيء الظن بالله أيضاً، ولهذا أشار القرآن الكريم بقوله:

﴿ومن الناسِ من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابه خيرٌ أطمأن به وان أصابته فتنة انقلبَ على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسرانُ

المبينُ﴾[1] .

الكثير من الناس إيمانهم إيمان لقلقة لسان (يعبد الله على حرف) وقد وصف الإمام الحسين عليه السلام ذلك الايمان بأنه مجرد لقلقة لسان. لم يرسخ في العقل والقلب.

لقد أسميت هذا النوع من الايمان (الايمان التقليدي) والقرآن الكريم يقول: (الايمان الحرفي) ومن المعلوم ان أخلاق القرآن هو الأفضل.

القرآن الكريم وصف أصحاب هذا الايمان بأنهم ضعفاء يسقطون عندما يتعرضون لشدة أو حالة استثنائية، ويحمل هذا النوع من الايمان حوالي خمسة وتسعين بالمائة أو أكثر من الناس.

فإذا حصلت لهم نعمة وكانوا يعيشون برفاه وراحة فانهم يتعلقون بذلك الرفاه وتلك الراحة ويتعلقون بالدنيا. أما إذا حلت بهم مشكلة فانهم ينهارون وإذا نزلت بهم مصيبة فلا يستطيعون الصبر والمقاومة.

عندما يمشي الإنسان فقد يعثر بحجر ويسقط على وجهه على الأرض.

يقول القرآن الكريم هذا التشبيه المعقول محسوس ـ عندما تنزل به شدة يسقط ويكفر ويسيء الظن بالله ويشك ويتخيل. وقد يتصدق بلا إتزان يقول: ﴿**خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**﴾.

فقد أفلتت من يده الدنيا والآخرة وهذا هو الإفلاس الواضح من هذه الآية يستفاد شيء آخر ينفع أعزائي الشباب عن البنين والبنات هذه الفائدة هي:

أيها المسلم لا ينبغي ان يكون إيمانك إيمان لقلقة لسان.

---

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

أيها المسلم لا ينبغي ان يكون إيمانك إيمان تقليد.

بل يجب أن يترسخ ايمانك في عقلك مع الدليل.

يجب أن يترسخ إيمانك في قلبك ليكون يقيناً.

الايمان الحرفي لأولئك الذين ليس لديهم علم ومعرفة أصلاً أو انهم غير مسلمين.

أما الشباب فلا يحق لهم ان يكون إيمانهم لقلقة.

فإذا سئلت فتاة تخرجت من الثانوية عن الدليل على ان (الله موجود) فيجب ان تأتي بدليل مقنع فوراً.

وإذا سئل شاب تخرج من الثانوية ما هو دليلك على ان القرآن معجزة إلى يوم القيامة؟ يجب ان يأتي بدليل فوراً. وكذلك حول أصول الدين ويجب على الجميع وخاصة الشباب ان يتجاوزوا إيمان التقليد ليصلوا إلى القسم الثاني وإلى القسم الثالث من الايمان.

٢ ـ الايمان الاستدلالي:

الايمان الاستدلالي هو القسم الثاني وهو أكثر أهمية من القسم الأول. وهو الايمان الذي ترسخ في العقل، حيث يصدق العقل ان الله موجود ويصدق العقل ان المعاد موجود ويصدق العقل ان في صوم شهر رمضان المبارك مصلحة تامة ملزمة، وان هناك مصلحة تامة ملزمة في الصلاة الواجبة، وان صلاة الليل ترفع الإنسان مقاماً عالياً، يصدق العقل ان الحجاب في الإسلام أمر حسن وان اللامبالاة بالحجاب واللاعفّة شيء سيّء للرجل والمرأة.

هذا الايمان يحتاج إلى البرهان، يعني مثلاً ان برهان النظام يثبت لنا ان

الله موجود، والحركة الجوهرية للمرحوم صدر المتألهين تثبت المعاد الجسماني، وكذلك كتب الكلام الكثيرة التي ألفها كبار الحوزة العلمية في قم حول هذا الموضوع تثبت لنا ان أصول الدين تقوم على البرهان، وان كل أصل منها له دليل.

إذا طالع أحدٌ كتب ـ الكلام مدة من الزمن سوف يترسخ الايمان في عقله قطعاً، أي سوف يصدق العقل بأصول الدين، ويصدق العقل بأن واجبات القرآن ومحرماته ذات مصلحة وذات مفسدة، يصدق العقل ان القرآن كلام الله وانه قادر على إدارة شؤون المجتمع البشري حتى يوم القيامة.

نحن المسلمون ندعي انه كلما ترقىٰ العلم أكثر، وكلما صار الناس أكثر تنوراً وكلما اتجه المجتمع نحو الكمال أكثر، فإن القرآن وقوانين الإسلام تصبح قادرة على إدارة المجتمع بشكل أفضل.

يجب ان يكون هذا الادعاء مقروناً بالدليل، وذلك مطلوب من الجميع وخاصة الشباب، أعزائي الشباب! يجب عليكم جميعاً مطالعة الكتب الدينية أوصي الآباء والأمهات بلزوم اقتناء الكتب الدينية في البيوت.

ينبغي ان يوجد في بيوتكم رسالة عملية لمرجع التقليد، وكذلك القرآن وكتب الأخلاق والكتب المتعلقة بالمعارف الإسلامية.

ولا يمكن القول لبيت ما انه بيتُ مسلمٍ إذا خلا من كتب المعارف الإسلامية وكتب الأخلاق والتفسير وكتب أصول الدين ورسالة مرجع التقليد. كما ولا يمكن ان يسمىٰ ذلك البيت انه بيت شيعي.

الشيعة هم المطالعون، والمسلمون يجب ان يتقدمون بشعار «تفكر ساعة خير من عبادة سنة».

فعندما يدخلون صالة الاستقبال في أحد بيوتكم يرون الشعار السابق وقد كتب بخط جميل، وقد تزين له البيت. وكما تزين بالورد والمزهريات وأمثالها، فكذلك يجب ان تزين غرف بيوتكم بالكتب الدينية هذا واجب كل مسلم وواجب الشباب خاصة.

يجب ان يطالع الشباب وقت الفراغ، والتفنن في المطالعة يخلق التسلية والمتعة للشباب.

يجب ان تتوفر المكتبات، ولكن مع الأسف قلة المكتبات من جوانب النقص عندنا. حتى في قم فضلاً عن غيرها. يجب ان تتوفر المكتبات في كل مدينة وكل حي وكل قرية وريف.

الايمان الاستدلالي حسنٌ، ومجاله لا ينتهي إلى طريق مسدود كما في القسم الأول. أي ان صاحب هذا الايمان يستطيع وبالبرهان إثبات وجود الله والمعاد. ويمكنه بالدليل إثبات القرآن والنبوة والإمامة.

ولكن هذا الفرد إذا وقع في مشكلة، كأن عصفت به غريزة الجنس أو عصفت به غريزة حب الرئاسة، وحب المال، فانه سوف يُهزم لأن الغريزة أقوىٰ من العلم.

أسمينا الأول ايمان اللقلقة أو إيمان التقليد، ونسمي هذا ايمان الاستدلال والعلم، والعلم يعني البرهان والدليل، ولكن مجال البرهان والاستدلال محدود. أي ان العالم قد يقف أحياناً في الطريق المسدود.

قد تحصل مشكلة للإنسان العالم وحتى لو كان قد كتب كتاباً في التوحيد فلا يستطيع ان يصبر عليها أخيراً قد يكفر بسببها وينشد الشعر الثاني.

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

يقول: قد يحار الإنسان، ان العاقل يعجز في مسعاه، ولكن الجاهل يجتاز وضعه الصعب. وهذا الأمر قد يسبب أحياناً كفر العالم لا شك ان العلم فقط والاستدلال فقط أفضل من لا شيء طبعاً ولكن العلم والاستدلال وحده لا ينفع لكل مجال.

اشكال آخر يرد على العلم انه يتقبل الشك والشبهة والوهم. العالم يفهم ان الله موجود ولكن قد تعترضه شبهات، يعلم ان المعاد موجود ولكن قد تعتريه الشكوك.

أي ان العلم ينطوي دائماً على نقطة الجهل السوداء.

٣ ـ اليقين:

القسم الثالث هو اليقين، واليقين هو الذي تجاوز إيمان اللقلقة وايمان التقليد وبلغ مرحلة الايمان الاستدلالي وكذلك تجاوز التصديق العقلي وصدّق القلب، يعني ان الايمان ترسخ في القلب والقلب هو الذي صدق. وهذا يسمىٰ بـ (اليقين).

اليقين يعني الثبات، يعني الرسوخ في القلب. أي أن القلب قد صدق. وعندما يصدق القلب فمن نتائجه الأولىٰ تلك الهيمنة الفعالة. تتولد عند الإنسان قوة إرادة وسيطرة تقف أمام الذنب وتحول دون الذنب وتمنعه من الذنب، يرتعش من الذنب عند الاقتراب منه كشجر الصفصاف.

كان من عادة النبي الأكرم ﷺ عندما يريد الذهاب إلى حرب، يضع في المدينة عدداً من الشباب لإدارة شؤون عوائل المقاتلين. وفي إحدىٰ

الحروب كان أحد الشباب يتولىٰ متابعة حوائج عدد من البيوت.

وعند الصباح طرق الشاب باب إحدىٰ تلك البيوت. حيث كانت صاحبته امرأة قد خرج زوجها إلى الجهاد، وقفت المرأة خلف الباب فسألها الرجل هل تحتاجين شيء؟ فذكرت ما تحتاجه.

لست أدري ما الذي حصل، لقد تحركت شهوة ذلك الشاب، ولكن لماذا؟ لا اعلم. فهل قالت المرأة كلاماً مغرياً أم وقعت عليها عين الرجل؟ لا اعلم.

(أيها السادة أيتها السيدات أوصيكم ان تعلموا ان الشيطان ينشط كثيراً عندما يحصل الاحتكاك والتعامل بينكم، الشيطان قال لحضرة نوح عليه السلام، يا نوح اعلم انه عندما تمس امرأة، وعندما تتقابل امرأة مع رجل أجنبي، فإني أنشط هناك. اعلمىٰ أيتها السيدة ان كلامك المثير للشهوة واعلم أيها السيد ان سوء نظراتك قد تجر إلى عواقب سيئة).

وأخيراً فان ذلك الرجل دخل البيت ووضع يده على صدر المرأة.

وهنا ما أريده، مرادي هو يقين المرأة، ذلك اليقين الذي كان راسخاً في القلب، وكانت مصدقة بوجود الله ووجود الجنة ووجود النار.

ارتعدت فجأة وتغير لونها ونطقت بالشكل الذي يخرج فيه الكلام من القلب وبستقر في القلب: ماذا تفعل؟ النار! النار! النار! هذا العمل نار، نار جهنم.

استقر نداء المرأة في قلبه الذي كان يصدق أيضاً بالله والجنة وجهنم، ويصدق ان اليد التي تمس صدر امرأة أجنبية ولا تتوب فهي من أهل جهنم.

فصاح فجأة النار! النار! النار! مضى اليوم الأول والثاني وشيئاً فشيئاً

لم يعد يستطيع البقاء في المدينة فذهب إلى الصحراء حتى يعود النبي.

أخذ يتعبد ويتريض هناك وكان يكرر قول النار! النار! بشكل مستمر حتى عاد النبي الأكرم ﷺ إلى المدينة، وأخبروه الخبر، أرسل النبي في طلبه فأحضروه وقال له قبلت توبتك لكن الأمر الذي كان شاقاً عليه هو ان يلتقي بالنبي ﷺ وجهاً لوجه.

أيها الرجال والنساء، ان مجلسنا هذا الآن هو في عين الله، وبعين النبي ﷺ وبنظر صاحب الزمان عليه السلام.

اعلم أيها السيد ان نظرات السوء في متجرك، اعلمي أيتها السيدة ان وجهك المكشوف، وسفورك، وحجابك الناقص في الطريق، هو تحت نظر صاحب الزمان عليه السلام، وبمرأى منه فانظر هل ان صاحب الزمان عن فعلك راضٍ أم لا؟ انظر هل هو راض عن هذا الكلام. أم لا؟

عندما جاء ذلك الشاب، كان النبي الأكرم ﷺ مشغولاً بالصلاة، انتظر الشاب، وبعد الصلاة صعد النبي المنبر، فأطرق الشاب برأسه خجلاً، وشرع النبي ﷺ يقرأ سورة التكاثر.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * ألهاكم التكاثر * حتىٰ زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾.

وفي باب الاتفاق ان هذه السورة تتحدث عن اليقين أيضاً.

قالت: الدنيا اشغلت الناس، ليت الناس يتيقنون ويعلمون بجهنم يعلمون انهم يلاقوا الناس يوم القيامة ويرونها، ليتهم يعلمون ان الذنب يدخلهم جهنم، وسوف يُسأل في جهنم، أيها السيد أنت من المتولين وكنت

بمرأىٰ من صاحب الزمان عليه السلام ولكن ورغم ذاك ترتكب الذنوب؟ .

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان منشغلاً بقراءة السورة والشاب غارقاً في التفكير فصاح فجأة وأغمي عليه وسقط على الأرض أحاطوا به، فوجدوه قد مات من الخجل. هذا يسمىٰ يقين، إنما هو المرتبة الأولىٰ لليقين أيضاً.

عندما يحصل اليقين لدىٰ الإنسان، فلو ان امرأة مست يدها يد أجنبي تتألم وترتعش إلى الليل، ولو سئلت لماذا أنت مضطربة؟ لأجابت أردت ان آخذ سلعة من البائع في المتجر، فمست يدي يده، فيقال لها لم تكوني عامدة فلا إثم عليك. فتقول نعم ولكن يد أجنبي مست يدي وتتأوه من ذلك. هذا يسمىٰ يقين.

المرأة غير المؤمنة، أو التي يكون إيمانها لقلقة لسان، تتحدث مع البائع في دكانه وتمازحه. وعند شراء الملابس قد تقف مقابل المرآة تتفحص وتقوم بذلك أمام البائع، يقال لمثل هذه مسلمة لقلقة بينما يقال لتلك مسلمة رسخ الايمان في قلبها.

الدرس الخامس

فضيلة اليقين

- درجات اليقين .
- فضيلة صلاة الليل .
- ايثار أبي أيوب الأنصاري .
- قصة من (احياء العلوم) للغزالي .
- ضرورة الاختبار .
- طريق تحصيل الايمان القلبي (اليقين) .
- قصة زوجة الحاكم .

فضيلة اليقين

ذكرنا في المحاضرة السابقة ان الايمان بأصول الدين ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ ايمان اللقلقة أو التقليد.

٢ ـ ايمان الاستدلال أو العقل.

٣ ـ ايمان العاطفة أو القلب.

وذكرنا ان الايمان القلبي هو القوة التي تسيطر على سلوك الإنسان وليس الايمان العقلي ولا الايمان القولي، وان كان الايمان الاستدلالي على درجة رفيعة وهو اللائق والمناسب للجميع وخاصة الشباب.

ورد في الرواية ان النبي ﷺ إجتاز مع أصحابه على امرأة عجوز كانت منهمكة بتدوير مغزلها، فسألها النبي الأكرم ﷺ بأي دليل عرفت الله! مما يدل على ان النبي يريد الدليل من تلك المرأة الأمية يريد الايمان الاستدلالي.

وقد أجابت المرأة العجوز جواباً حسناً فقالت ان مغزلي هذا يحتاج إلى

يدي حتى يدور، وإذا لم تكن يدي فسوف يقف عن الدوران، ترى أفعالم بهذه السعة لا يحتاج إلى محرك.

فقال النبي الأكرم ﷺ (عليكم بدين العجائز).

وهذا القول يدل على معنيين:

الأول: يجب أن يكون ايمانكم استدلالياً.

الثاني: إشارة إلى برهان ودليل الحركة، ولعله يعد أفضل دليل بعد دليل النظام ودليل الصديقين.

ونحن نفهم على كل حال ان أي شخص يجب ان يستدل على أصول الدين بما يناسب حاله.

وان كان وكما أوضحنا سابقاً انه ذو مجال محدود لا يمكن الإنسان من اجتياز الصعاب، أو اشتداد الغرائز، أو النجاة عند الامتحان.

كما قال الشاعر (الفارسي):

قـــدم المستـــدلّيـــن مـــن خشـــب   وقـدم الخشـب ليـس فيهـا استحكـام

لذا فان الايمان ينحصر بالايمان العاطفي، الايمان القلبي ويفهم من القرآن انه هو الذي يريده الله منا.

نقرأ في سورة الحجرات ان أشخاصاً جاؤوا لزيارة النبي ﷺ وقالوا يا رسول الله لقد آمنا بك.

فقال: لم تؤمنوا، ولكن بلغتم الإسلام، لأن ايمانكم ايمان لسان، وإيمان دليل، ولم يترسخ الايمان في قلوبكم بعد.

المؤمن من رسخ الايمان في قلبه ولا تعتريه الشبهة والشك.

﴿قالت الأعرابُ آمنّا قُل لَم تُؤمنوا ولكن قُولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمانُ في قلوبِكُم﴾[1] .

قالوا: آمنا. قل: لم تؤمنوا، فقط اسلمتم ودخلتم حمىٰ الإسلام لأن الايمان لم يدخل إلى قلوبكم بعد.

ثم قال: **﴿إنما المُؤمنون الذين آمنوا باللّهِ وَرسُولِه ثُم لَمْ يرتابوا﴾**[2] المؤمن من آمن قلبه وتيقن. وطالما لم يبلغ اليقين فان نقطة الجهل والشك قائمة. ولذا لم ينجُ أصحاب الايمان العقلي الاستدلالي من الشبهات والجهل والأوهام والوسوسة.

الايمان الذي ينفعنا والذي يريده الله منا ويريده القرآن منا هو الايمان القلبي والايمان اليقيني ولعل كلمة الحصر (إنَّما) تشير لذلك.

مراتب اليقين:

اليقين على مراتب، اليقين يشبه النور، فكما النور على درجات، مصباح ذو عشرين شمعة ومصباح ذو ألف شمعة ومصباح أكثر، فكذلك اليقين.

فعندما يشع في القلب ينير القلب لكن تارة كما يضيء المصباح ذو المئة شمعة غرفة واحدة، وأحياناً قد يصل مرتبة ينير فضاء القلب بشدة ـ كما يضيء المصباح ذو الألف شمعة غرفة واحدة.

لذا يعرف الفلاسفة اليقين بأنه ذو تشكيك، يعني انه ذو درجات وكل مراتبه حسنة، والمرتبة التي نتحدث عنها هي المرتبة الأولىٰ ومن المعلوم ان

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

كلما علت المراتب كان أفضل.

وعلماء الأخلاق يذكرون ثلاث مراتب لليقين:

علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين.

وواضح أن كل مرتبة من هذه المراتب درجات، وهي خارج مجال بحثنا في الوقت الحاضر.

المرتبة الأولىٰ من اليقين، تدفع الإنسان إلى ان يؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات صلاته في أول الوقت، وصيامه في محله، واجتناب الإثم بموقعه، وخلاصته أنه يهتم بفعل الواجبات وترك الذنوب بشكل تلقائي.

هذه هي المرتبة الأولىٰ من اليقين، والتي هي المرتبة الأولى من الايمان القلبي.

أما في المرتبة اللاحقة فانه يهتم بالمستحبات وأدائها والمكروهات واجتنابها. ولا ينجر إلى مواطن الشك والشبهات وأمثالها.

ومن المسلم به ان الشائعات لا تتردد على لسانه ولا يتكلم بلا دليل فإذا تحدث فمع البرهان وإذا استمع فمع البرهان، ولا يجري على لسانه ما انطوىٰ على الشبهة.

أما المرتبة الثالثة فيصل الإنسان فيها وبالتدريج إلى مقام يمكنه الادعاء فيه ان الدنيا لو كانت في طرف والذنب في طرف آخر لما قارف الذنب ولركل الدنيا بقدمه.

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، وما ذكره الإمام عليه السلام لا يختص به فقط بل إذا بلغ إيمان الشيعة مرتبة عالية وبلغ مرتبة

عين اليقين فيمكنهم إدعاء ذلك.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

(واللهِ لو أُعطيتُ الأقاليمَ السبعةَ بما تَحتَ أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلُبُها جَلْبَ شعيرةٍ ما فعلتهُ)[1].

يقول عليه السلام:

أقسم بالله، لو أُعطيت العالم وقيل لي أعصِ الله لما فعلت، حتى لو كانت تلك المعصية من الصغر إلى درجة ان أسلب حبة شعير من فم نملة وهذا القول ليس دليلاً على عصمة الإمام ولا على إمامته ولا يختص به ولا يختص بسائر المعصومين عليهم السلام ولا يختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما هو قدوة لنا.

يعني يجب ان يرتفع إيمانكم إلى مقام عالٍ، يجب ان تسعوا حتى يُنورُ الايمانُ قلوبكم وتبلغوا مرتبة رفيعة بحيث لو اعطيتم الدنيا قبال الذنب، فان يقينكم يحول دون ذلك، ويمكن ان تكون إرادتكم بذلك المستوىٰ من القوة.

والتاريخ والتجربة تسعفنا بالدليل على ذلك، كثيراً ما قرأنا في التاريخ وكثيراً ما شاهدنا من عظام وكبار استعدادهم للتضحية بالدنيا على أن لا يفوتهم صلاة ركعتين.

ـ فضيلة صلاة الليل:

هذه الرواية التي ينقلها المرحوم صاحب الوسائل في كتابه الشريف في فضيلة صلاة الليل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) نهج البلاغة (فيض الإسلام). الخطبة ٢١٥.

(الركعتانِ في جَوفِ اللَيلِ أحبُّ إليَّ مِنَ الدُنيا ومَا فيها)[1] .

قول النبي الأكرم ﷺ يعني أنه لو أعطي الدنيا بتمامها على ان تفوته صلاة الليل ليلة ما لما فعل ذلك.

هذه العبارة لا ترتبط بشخص النبي الأكرم ﷺ وإنما ترتبط بدرجة اليقين الراسخ في قلبه، وبإمكان الشيعة الوصول إلى هذه الدرجة من اليقين بل يجب عليهم بلوغ ذلك.

نحن نعرف أشخاصاً يضجون بالبكاء إذا ما فاتتهم صلاة الليل ليلة ما.

ولا أنسىٰ ذاك الشخص من أهل القلوب الذي ترك صلاة الليل في إحدىٰ الليالي فأخذ في البكاء من الصباح حتى المساء لأنه لم يصلِ صلاة الليل، البارحة، وقال لم أترك صلاة الليل منذ كنت في السادسة عشرة من العمر الآن. نور الايمان العاطفي، نور الايمان العقلي، الذي أضاء قلوب هؤلاء هو الذي يحول دون الذنوب، ذلك النور يلجؤهم إلى أداء المستحبات، بل لعلهم يستمتعون بأداء المستحبات بما لا يعلم مداه أحد.

يقول القرآن الكريم: أولئك الذين يقومون الليل، ويهجرون المضاجع أولئك الذين يبرون الفقراء ويصلون الضعفاء سيجزون بصلاتهم وانفاقهم جزاءً لا يدرك لذته أحد.

﴿تتَجافىٰ جُنوبُهم عَن المضاجع يَدعُون رَبَهم خَوفاً وطَمعاً وَممّا رَزَقناهُم يُنفقون * فَلا تَعلَمُ نَفسٌ ما أخفيَ لَهُم مِن قَرّة أَعيُن جَزاء بِما كَانُوا يَعمَلُونَ﴾[2] .

---

(١) وسائل الشيعة، ج٥ ص٢٧٦ وبحار الأنوار، ج٨٧ ص١٤٨.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ و ١٧.

ظاهر الآية انهم ينالون جزاء في الحياة الدنيا، يتلذذون في هذه الدنيا فعندما «يكبر» لصلاة الليل يشعرون بالسعادة كمن أعطاه الله خير الدنيا والآخرة.

وهم على استعداد للتضحية بدنياهم من أجل راحة الآخرين ويشعرون بالمتعة بذلك الايثار.

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[1].

ومعنىٰ الآية انهم يؤثرون الآخرين فيقدمون لهم الطعام والشراب رغم حاجتهم الماسة له.

ويقال في سبب نزول هذه الآية انها نزلت بحق أمير المؤمنين عليه السلام أو انها نزلت بحق المقداد، أو انها نزلت بحق أبو أيوب الأنصاري وربما تكون جميع هذه الأسباب صحيحة، والقصة كما يلي:

ـ ايثار أبي أيوب الأنصاري:

ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إجتاز طريقاً فشاهد أبا أيوب الأنصاري وقد بسط فراشه على الطريق وجلس مع زوجته وابنه وكان وجهه إلى الحائط وظهره إلى المارة، فسأله النبي صلى الله عليه وآله يا أبا أيوب لماذا جلست هنا؟

فقال يا رسول الله إن أحد المهاجرين قدم إلى هنا وليس له دار فرأيت أنه سيقيم في الطريق وفي ذلك ذل له ولنا، ويبعث ذلك على الخجل له ولنا، فإذا اسكنته بيتي وأقمت أنا هنا فلا أخجل من ذلك لأني قد أعنته وفي ذلك افتخار لي.

هذا هو: **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

فانظروا كيف وصل المسلمون إلى حالة من الايثار يعطي أحدهم فيها بيته للآخر ويسكن على قارعة الطريق، كيف حصل ذلك؟ انه من أثر اليقين.

عندما يترسخ اليقين في القلب، ويترسخ الايمان في القلب فمن المعلوم أن المرء يشعر باللذة والمتعة عند الوقوف إلى الصلاة وعند الانفاق لحاجة الآخرين.

عندما يعشق المال أحد فلو استفاد في أحد الأيام مليوناً وإذا كان بلا دين وقام بالاحتيال مليون مرة فكم سيفرح.

وقد لا ينام من شدة الفرح والارتياح، ذلك لأن يقينه تعلق بالدنيا، وترسخ ظلامها في قلبه، ووصل به حب الدنيا إلى ذلك الحال.

أما ذلك الذي تعلق حبه بالله وبالإسلام وتعلق حبه بأولياء الله، وقد رسخ الايمان العاطفي في قلبه.

فانه سوف يكون سعيداً عندما يعطي بيته لغيره رغم حاجته الماسة له من أجل أن يكون الآخر في راحة واطمئنان.

قصة من (احياء العلوم) للغزالي:

يذكر الغزالي في كتابه (احياء العلوم) ان شخصاً كتب إلى تاجر يتعامل معه يخبره ان البرد قد أصاب قصب السكر، مما يجعل الطلب على السكر شديداً هذا العام ويطمئنه ان سعر السكر سيكون مرتفعاً، وعندما وصلت الرسالة إلى التاجر نزل في سوق الكوفة يشتري السكر ويكدسه في مخزن له، وكان فرحاً لما سيجنيه من ربح هذا العام.

وعندما عاد من السوق ليلاً وفرغ من ضجيج الدنيا تحرك إيمانه القلبي، وتحركت عاطفته ووجدانه بسبب يقينه وإسلامه فأخذ يلوم نفسه

قائلاً، أرأيت ما فعلت لقد غششت الناس. هو لم يكن قد غش إذ قد ابتاع السكر بقيمته على أمل ان يرتفع سعره في العام القادم، لكنها كانت خطة للايقاع بالناس.

يقول الغزالي: أصبح التاجر ولم يتمكن البارحة من النوم وعند أذان الصبح وأثناء أداء صلاة الجماعة، أخبر الأشخاص الذين اشترىٰ منهم السكر بتفاصيل الأمر، ولم تكد تطلع الشمس حتى كان قد أكمل الذهاب إلى بيوتهم جميعاً، وأخبروه برضاهم وعدم رغبتهم في فسخ المعاملة، فشعر بالارتياح قليلاً.

يقول الغزالي: الليلة الثانية وتحت وطأة الضمير لم يتمكن من النوم أيضاً، يوجد رواية عن النبي الأكرم ﷺ «ليس من المسلمين من غشهم»[1] حيث كان النبي ﷺ ماراً في سوق المدينة فشاهد بائعاً للفاكهة أو شيء آخر، وكان أعلاه بنوعية جيدة، فمدَّ يده تحت الطعام فكان رديئاً وتالفاً فقال هذا العمل خيانة هذا غش للمسلمين[2].

وأخيراً فان ذلك التاجر وعند الصباح التمس أصحاب السوق وأعاد السكر إليهم، ونام ليلته الثالثة هانئاً وقال الحمد لله رب العالمين حيث استطعت ان أحفظ ديني ولو ذهب الربح الوفير من يدي.

لمثل هذا يقال ايمان عاطفي وقلبي.

يجب ان يكون إيمان الجميع إيماناً عاطفياً وخاصة الشباب الراغبين بحلّ مشاكل الثورة والوطن.

ذلك لأن الإيمان القلبي هو المنقذ ساعة الامتحان وعند الأمور

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٨ ح٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٩ ح٨ نقلاً بالمعنىٰ.

المستعصية.

ـ ضرورة الاختبار:

الامتحان يطال الجميع، ولا يمكن ان يستثنى منه أحد أبداً. شباباً كانوا أو مسنين، رجالاً كانوا أو نساء، علماء دين كانوا أو غيرهم، الامتحان سوف يعترضهم جميعاً.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * أحسب الناس انْ يُتركُوا أَنْ يقولوا آمنَّا وَهُم لا يُفتنون * ولقد فتنَّا الذين مِن قبلِهِم فَلَيعلمنّ اللّهُ الّذين صَدَقُوا وليَعلَمنَّ الكاذبين﴾[1] .

أفهل نترك هؤلاء يتظاهرون بالايمان، كلا سوف يُمتحنون حتماً، وسوف يواجهون المصاعب، فان كان إيمانهم من القسم الأول أو الثاني فهذا يعني انهم لن يكونوا موفقين في الامتحان، والايمان القلبي فقط هو الذي يستطيع نيل الدرجة العالية أحياناً.

من أين يأتي إيمان التقليد حتماً من كون الأم والأب من الشيعة ومن نمو الشخص في ذلك البيت الشيعي.

ومن أين يأتي الايمان الاستدلالي، حتماً من مطالعة الكتب والتعلق بالمنبر والمحراب.

أوصي الشباب بصورة خاصة ان يكثروا من المطالعة حتى تكون أصول الدين حاضرة في أذهانكم مع الدليل والبرهان، في رؤوسكم في فكركم، إذ ان اكتساب الايمان الاستدلالي والإيمان العقلي يحصل من مطالعة كتب الكلام ومساءلة العلماء ومجالستهم.

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢ ـ ٣.

ـ طريق اكتساب الايمان القلبي (اليقين):

أما اكتساب الايمان القلبي فان طريقه فقط وفقط هو الارتباط بالله، انه يتطلب العبادة ﴿واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين﴾[1] يقول إذا أردت اليقين فاعبد ربك وأحكم علاقتك معه.

يُكتسب الايمان القلبي من الصلاة في أول وقتها ومن حضور الجماعة.

المسجد ملجأ من شياطين الجن والإنس، هذه المجالس شوكة في عين شيطان الجن والإنس، علاوة على كونها شوكة في عين الأعداء، فهي نور للقلوب.

أدِّ الصلاة أول وقتها بخضوع وخشوع، إنك تخاطب الله عند الصلاة، فعندما تقول ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فكلم الله بذلك، واعلم أنك في ساحة حضور الله وأن هذه الصلاة معراج لك.

تماماً كما أن النبي الأكرم ﷺ عرج إلى السماوات وكلم الله فليكن كلامك مع الله أيضاً.

صيام شهر رمضان المبارك بمنزلة الايمان القلبي. وصلاة الليل تضفي عليك النور، وأهم من هذا فان الإنسان قد يمتلك قلباً طوىٰ مشقة خمسين عاماً من الجهد والطاعة بمدة قصيرة عن طريق خدمة خلق الله ومساعدتهم.

فلينفق في هذا الشهر الشريف من وسعه ما استطاع في إعانة الفقراء والمحتاجين.

وليكن هذا الشعار الإسلامي نصب أعيننا في شهر رمضان المبارك

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾[1] .

يعني فليبذل المساعدة كل من يستطيع لإعانة الفقراء والضعفاء والمحتاجين ليسد ثغرة الفقر الفردي والاجتماعي ما استطاع لذلك سبيلاً .

والآية التي قرأتها من آيات الأمر والطلب الواجب، ولا يمكننا تجاهل هذا الأمر ونقول انه مستحب، لوجود روايات كثيرة وردت في الموضوع وأكدت على ان يهتم ويفكر البعض بالبعض الآخر .

«من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[2] .

لقد سمعتم هذا الحديث جميعاً ولكن ومع الأسف لا نعمل جميعنا طبقه لا استطيع التزام الصمت، تستطيع ان تساعد بدل العشر لقم بتسع بل حتى بلقمة واحدة، تستطيع ان تدفع ألف تومان أو أقل لتعين في مشروع زواج .

إذا كان باستطاعة الدولة فيجب عليها ملء النقص ومعالجة الخلل الاجتماعي والفردي، وإذا لم تستطع فذلك واجب الجميع .

الخلاصة، إذا كنت تريد الايمان القلبي، إذا كنت تريد القلب المشرق بالنور، فساعد خلق الله ما استطعت .

لذا فان اليوم الذي يمر على العارفين وعلماء الأخلاق دون ان يساعدوا أحداً، يكون يوم حسرة وألم، ويوم تراجع وانتكاسة .

وإذا عجزوا عن مساعدة الناس فانهم يلجأون لمساعدوة الحيوان .

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٢) أصول الكافي ج٢ ص٢٥١ .

إذا نزل الوفر من السماء وملئت الأرض صقيعاً فمن يقدم الحب إلى الطيور غير الإنسان الملتفت، لذا كانوا يذهبون وينثرون الحب فوق الجليد حتى تلتقطه الطيور.

ورد في الرواية ان أمير المؤمنين عليه السلام اقترض لمصرف يومه مقداراً من النقود، فشاهد المقداد متحيراً في الطريق فقال: لماذا أنت حائر يا مقداد؟ قال: لم استطع ومنذ أمس من تهيئة طعام لامرأتي وأطفالي فقال أمير المؤمنين عليه السلام هذه النقود تلزمك أكثر مني ذلك لأني لم استطع تهيئة الطعام هذا اليوم فقط، فخذ النقود لك.

لا تقولوا ذلك علي: إنه قدوة للشيعة، وقدوة للبشرية البشرية يجب ان تفتخر بعلي عليه السلام والمؤسف أن بعض الشيعة لا يتأسون به.

القرآن حث كثيراً وشدد على التقوىٰ لكي تتنور القلوب بالايمان واعتبر التقوىٰ أهم شيء في هذا المجال:

﴿ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾[1].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾[2].

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[3].

يقول القرآن الكريم: ان الله هو الذي يهب الايمان، وهو الذي يهب النور، الايمان القلبي بيد الله، مقدماته بأيدينا لكن النور يضيئه الله في القلب.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٣) سورة النور، الآية: ٤٠.

ويشير بعد هاتين الآيتين أن النور يستقر في قلوب المتقين.

ومن هو المتقي؟ انه تلك المرأة المحتشمة التي ترعىٰ حجابها تلك المرأة التي إذا مسها جسد أجنبي تضطرب حتى الافطار. وتتوب إلى الله من هذا الذنب رغم كونها غير مقصرة.

إنها مصداق الإنسان المتقي:

ـ قصة زوجة أحد الحكام:

إحدىٰ النساء المسلمات كانت زوجة لحاكم مازندران، وفي إحدىٰ السنين تلف محصول الرز في مازندران ولم يتمكن الناس من دفع الضريبة ـ (الضريبة كانت مفروضة على كل منطقة يدفعها حاكم المنطقة إلى السلطة المركزية). فعرض الحاكم ذلك الموضوع أمام زوجته خلال الحديث، حيث قال: انه لا يدري ماذا يفعل فليس لديه مال يكفي لدفع الضريبة ولا يستطيع جمع المال من الناس المتضررين لأن ذلك ظلم.

فقالت له زوجته عندي قميص مرصع بالجواهر ورثته عن أبي فادفعه عوضاً عن الضريبة.

فبعث حاكم مازندران ذلك القميص المزين بالجواهر، وفي الاجتماع المركزي أعجب به سلطان ذلك الوقت ولكن السلطان تقديراً منه لطاعة الحاكم وإيثار وتضحية زوجته أعاد القميص، وقال عفوت هذا العام عن ضريبة مازندران.

ففرح بذلك الحاكمُ وجميع المازندرانيون.

أما زوجة الحاكم فقالت أنا لا ألبس هذا القميص مرة أُخرىٰ، لأن نظر شخص أجنبي قد وقع عليه.

أيتها السيدة: لا أقول كوني كذلك، ولكن حاولي ألا يرىٰ الشاب الأعزب ثيابك الجديدة في أيام العيد هذه، انتبهي لكي لا يرىٰ وجهك! أقول أيها الشاب إذا أردت الايمان القلبي فاجتنب ما استطعت عن النظر إلى الأجنبية، واجتنب نظرات السوء. قلل الارتياد إلى المناطق التي يحصل فيها الاختلاط كالسوق والشوارع.

وأخيراً إذا أردت الايمان القلبي فاتق الذنب.

﴿ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾.

تدل هذه الآية على أنه وبالإضافة إلى اكتساب اليقين والوصول إلى مقام عين اليقين وحق اليقين الذي عرفه علماء الأخلاق فانك تصل إلى مقام (الفرقان)، فلا تذنب وانظر إلى أي مقام سوف تصل.

(شعـر):

لقد رأيت طيران الطيور فتحرر　　　من قيود الشهود لترىٰ تحليق الإنسانية

الدرس السادس

رذيلة الجهل

أقسام الجهل

١ ـ الجهل البسيط.
- ضرورة الاحاطة بالمسائل الدينية.
- أفضلية أهل العلم على غيرهم.

٢ ـ الشك.
- ثبات القدم في الايمان.

رذيلة الجهل

ـ ١ ـ

من الرذائل المعاكسة لفضيلة اليقين رذيلة الجهل والوهم والوسوسة لقد تحدثنا عن فضيلة اليقين وفهمنا أنها فضيلة كبيرة ومهمة للإنسان وبنفس الدرجة التي تعد فيها فضيلة اليقين عالية، بعكسها يعد الجهل رذيلة منحطة، ويكفي في انحطاط الجهل وحقارته أن الإنسان يتأذىٰ إذا قيل له جاهل.

ـ أقسام الجهل:

يقسم الجهل إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الجهل البسيط:

أول الأقسام هو الجهل البسيط ومعناه عدم العلم، مثلاً الأميّة وعدم العلم بالقراءة والكتابة، وكذلك الذي يقرأ ويكتب ولكنه لا يعرف أحكام دينه، وهذا يسمىٰ بالجهل البسيط، وهو نقص وعيب بالنسبة للمسلم.

الذي لا يقرأ ولا يكتب يعني ليس لديه معلومات عامة، وهذا نقص في

الرجل، وكذلك نقص في المرأة.

ـ ضرورة الاحاطة بالمسائل الدينية:

يجب على المسلم ان يتعلم القراءة والكتابة على الأقل وكذلك على المسلم ان يكون عارفاً ومطلعاً فيما يتعلق بدينه من معلومات عامة، فعليه تعلم المسائل التي يحتاج إليها بصورة مستمرة، يجب على الرجل والمرأة الاطلاع الكامل على مسائل الرسالة العملية. يجب على الرجل والمرأة الاطلاع الكامل على ما في القرآن الكريم، وخاصة قراءة القرآن بصورة صحيحة.

إذا كان الشخص يعمل في إدارة ما فعليه معرفة أمور الإدارة والمسائل المرتبطة بها، وكذلك المسائل المتعلقة باكتسابه إذا كان تاجراً.

إذا أراد رجل ان يتزوج فيجب عليه أن يتعلم كيف يكون التعامل في البيت كما يريده الإسلام.

المرأة يجب ان تعرف رأي الإسلام في كيفية رعاية البيت وحقوق الزوجية ورعاية الأطفال.

المسلم يجب ان يكون مطلعاً على معارف الإسلام وعارفاً بأخلاق الإسلام.

المسلم يجب ان يعرف أصول الدين وكيف يستدل عليها بحسب حاله. يبرهن على التوحيد بحسب حاله، وكذلك أصل إثبات وجود الله والمعاد والنبوة والإمامة، وهذه من وظائف المسلم.

إذا افتقر المسلم إلى تلك المعلومات الدينية العامة فذلك نقص كبير في شخصيته، ويعد ذلك تركاً لأداء الواجب حسب الرواية الواردة عن

النبي ﷺ ولعلها طرقت أسماعكم جميعاً:

(طلب العلم فريضة على كل مسلم)[1] .

يجب ان يكون المسلم في حالة تعلم دائم بحسب قول النبي الأكرم ﷺ من المهد إلى اللحد «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد». إذا كان هناك هذا لأجل التأكيد فهو يعني ان أي إنسان أعم من الصغير والشاب والشيخ. الرجل والمرأة. يجب عليه التعلم دائماً. وان يشتغل بالعلم دائماً. يكون معلماً ومتعلماً باستمرار.

وإذا لم يكن لأجل تأكيد، يمكن ان تستفيد من الحديث نكتة أُخرىٰ ولعل هذا المعنىٰ الثاني هو المقصود، وهو ان الطفل عندما يأتي إلى الدنيا فان غريزة التعلم عنده تكون حية وفعالة، ولعلها لا تختلف عن غريزة الأكل والشرب من حيث كونها بالفعل، فهو كما يستطيع الأكل ويستطيع الشرب، فغريزة التعلم موجودة فيه بالفعل أيضاً، ولعل استحباب الآذان في أذنه اليمنىٰ والإقامة في أذنه اليسرىٰ، دليل على امتلاكه التوجه لنيل العلم وتحصيله، ويريد الإسلام من رفع الآذان والإقامة عند أذن الطفل ان يتشرب جلده ولحمه وعظمه بقول (أشهد ان لا إله إلا الله) (وأشهد ان محمداً رسول الله).

وربما لهذا الأمر تشير الرواية: إذا كان في الغرفة طفلاً صغيراً مستيقظاً فلا يجامع الزوج زوجته، وان لم يمتنعا عن ذلك وساءت أخلاق الطفل فالمسؤول أمه وأبوه.

هذه الرواية تدل على ان غريزة التعلم موجودة بالفعل لدىٰ الطفل من أول يوم وإذا لم يكن الطفل في تلك السن المبكرة قادر على التعلم بالفعل،

---

(١) أصول الكافي ج١ ص٥٤.

فسوف لن يمضي وقت تطويل حتىٰ تبرز هذه القدرة عنده، فالطفل الصغير وقبل النطق والكلام تراه يطرح الأسئلة الكثيرة على أمه وأبيه وهذا دليل على وجود غريزة التعلم لديه.

ولا يستبعد ان نحمل قول النبي الأكرم ﷺ على هذه الحقيقة أكثر من كونه تأكيداً، ونقول ان قول النبي الأكرم ﷺ (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) هو شعار الإسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم) هو شعار الإسلام.

وأخيراً شعار الإسلام والقرآن:

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1].

(كل ما كان في الجاهلية من الخرافات والفخر فهو تحت قدمي) ولكن النبي وقرآنه يستثني من ذلك امتيازين، أحدهما التقوىٰ والآخر العلم.

ـ فضل أهل العلم على الآخرين:

أوضحت الآية السابقة أنّ هناك فروقاً بين الجاهل والعالم، وليس الفرق درجة واحدة بل درجات.

فالفارق كبير بين من يقرأ ويكتب ومن لا يقرأ ولا يكتب والفارق كبير بين من تعلّم أمور دينه وبين من يجهل أمور الدين.

دخل هشام بن الحكم وهو غلام أول ما اختط عارضاه في مجلس الإمام الصادق عليه السلام وقد ازدحم بشيوخ الشيعة والأشراف من بني هاشم وقريش فقام الإمام الصادق عليه السلام وأجلسه إلى جانبه، فثقل ذلك على أهل المجلس، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «هذا ناصرنا بقلبه ولسانه

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

ويده»[1].

يعني ان هذا الشاب يؤيدنا بقلبه، ولسانه ويده، هذا عالم وحامل راية الإسلام.

ثم قرأ الإمام الصادق عليه السلام بعد ذلك الآية ﴿يرفع اللَّهُ﴾.

أولئك الذين جمعوا العلم والايمان، أولئك الذين آمنوا عن علم، وهم مقدمون على غيرهم.

يعني ان الإمام عليه السلام يقول: على الرغم من كونه شاباً لكنه لأجل علمه مقدّم عليكم، هذا هو شعار الإسلام.

وعندما يكون هذا هو شعار الإسلام فجهل أحكام الإسلام من المرأة المسلمة يعد نقصاً فيها.

إذا عجز الرجل عن قراءة القرآن فذلك يعد نقصاً وعيباً.

جهل القراءة والكتابة كذلك، لذا فان لي رجاء منكم، ان تتعلموا الأمور العامة، وتتعلموا المعارف الإسلامية العامة لكي تعدوا من علماء الإسلام، فمن أحاط بالرسالة العملية ومن أحاط بعلوم القرآن الشريف، وروايات أهل البيت، ومعارف الإسلام، وأصول الدين والأخلاق، إحاطة كاملة يقال له عالم دين.

وعلاوة على كون ذلك واجباً إسلامياً فانه يعدُّ امتيازاً، بل انه يعد امتيازات عديدة للمسلم.

وكل المعارف الإسلامية مهمة ويجب تعلمها، ولكن الاشتغال بالقرآن أكثر أهمية من غيره.

---

(١) سفينة البحار: ج٢ ص٧١٩.

ولكن ومع الأسف فان شبابنا قلما يهتمون بالقرآن.

تجد الكثير من شبابنا وقد تخرجوا من المدارس الثانوية ومن الكليات وحصلوا على شهادة الليسانس ولكنهم لا يستطيعون قراءة القرآن هذا نقص وعار.

إذا تخرجت الفتاة من المدرسة الثانوية، وكانت ترغب بالاستمرار في طلب العلم وإدامة الدراسة وكانت مشغوفة بطلب العلم ولكنها لا تستطيع قراءة القرآن، فان الإسلام يرىٰ ان ذلك العلم ناقصاً نقصاً كبيراً.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَمَنْ أعرضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ معَيشةً ضَنكاً ونَحشُرُهُ يَومَ القيامةِ أعمىٰ﴾[1].

إذا أعرض أحد عن ذكري ـ عبارة (ذكري) لها مصاديق كثيرة، والقرآن أحد تلك المصاديق.

أي ان أولئك الذين ان ينبذون القرآن خلف ظهورهم، أو لا يقرأونه بخشوع، أو لا يعملون به مصداق لها ومن مصاديقها الأُخرىٰ بنظر الإمام الصادق عليه‌السلام من يترك الصلاة، أو لا يؤديها بشكل جيد يقول القرآن الكريم: ان الذين يهجرون القرآن يصابون بمصيبتين أحدها في الدنيا وهي مرارة العيش يحرق أفئدتهم القلق. يكون أحدهم شاباً لكن قد قفل الغم قلبه، يتزوجون لكن يظل الغم يقفل قلوبهم يهرمون فيزداد غمهم غماً، وأخيراً يموتون بالغم والحسرة، وتكون دنياهم قاحلة.

القرآن الكريم يصف المنافقين:

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

﴿لا يزال بنيانهم الذي ؛
عليم حكيم﴾[1] .

أي ان الشك والقلق والشبهة من الشدة بدرجة تقطع قلوبهم فلا يستطيعون اتخاذ قرار وما يزال الشك والشبهة في قلوبهم حتى يموتون. وكذلك موقفهم من الدين فتارة عاديون وأُخرىٰ في شك وتارة في شبهة، وقد يشكون بالله، وقد يشكون بالقرآن والنبي ﷺ .

وقد يشكون بالمنبر والمحراب، يوم تراهم ثوريين ويوم آخر أعداء للثورة، فإذا رأوا مكاسب الثورة أيدوها، وإذا تعرضوا إلى فتنة أو ابتلاء أو رأوا تصرفاً سيئاً من متظاهر بالثورة فانهم يتراجعون عن تأييدها، هذه حالة الشك والتردد بحسب تعبير القرآن الكريم يوم مسلم وآخر كافر :

﴿ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً﴾[2] .

ذلك وضع سيّىء، إذا ابتلىٰ ذلك الشخص برفيق سوء خسر إيمانه، وإذا منَّ الله عليه ورحمه وأعانه على حفظ إيمانه حتى لحظة الموت. فلا يستطيع الذهاب من الدنيا بالايمان الصادق.

الشخص الذي لم يترسخ الايمان في قلبه يصعب عليه حمل الايمان إلى قبره، خاصة إذا تحكمت به رذيلة (حب الدنيا).

لحظة الموت يأتي ملك الله المقرب عزرائيل وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام حيث يراه الكافر والمنافق والشيعي أو غير الشيعي.

يٰا حٰارِ هَمَدانَ مَنْ يَمُت يَرَني   مِن مُؤمِنٍ أو مِنافِقٍ قبلا[3]

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٧.
(٣) سفينة البحار ج١ ص٢٣٨.

حضرة أمير المؤمنين عليه السلام يقول لحارث الهمداني:

يا حارث الكل يراني لحظة الموت.

ولا تقبض أرواحنا إلا بعد سماح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فإذا لم يكن إيمان الشخص مستقراً وكاملاً، ولم يبلغ مرتبة اليقين، وكان ذلك الايمان مظهراً فقط، ففي تلك اللحظات يشتد فعل الشيطان يتقاسمه الشيطان من جهة وحب الدنيا من جهة أُخرىٰ، وقد استحكمت مخالب قلبه بهذه الدنيا، ومن معاني مشقة خروج الروح من البدن هو تلك الحالة.

ورد في بعض الروايات أن بعض الأرواح تقبض كما يسحب العرق خارج البدن، يعني انها لا تريد الخروج ولكنها تؤخذ بالقوة.

فعندما يريد ملك الله المقرب قبض الروح إذ بعد سماح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك يأتي ملك الله المقرب لقبض روحه ولكنه لا يكون راضياً فيعطي روحه مع حالة بغض لعزرائيل وبغض لأمير المؤمنين عليه السلام والعياذ بالله، وبغض لله، ويترك الدنيا وهو على تلك الحال.

لا يترك الدنيا بلا إيمان فقط، وإنما يتركها وقد مُلىء قلبه عداءً لله ولأمير المؤمنين عليه السلام ولعزرائيل والملائكة المحيطين به.

أنا أرجو من الشباب ان يكثروا من دعاء (اللهم اجعل عاقبة أمرنا خيراً) ولا تجعل لنا تلك العاقبة سيئة كأن نخرج من هذه الدنيا وفي قلبنا غِلٌ لأمير المؤمنين بسبب الشك والجهل لحظة الموت ورغم عمر سبعين عاماً أو ثمانين عاماً نقضيه ونحن نردد يا علي يا علي.

٢ ـ الشك:

أما القسم الثاني من الجهل فهو الشك، حالة التردد، هل الثورة سليمة

أم لا؟ هل نهج علماء الدين سليم أم لا؟ هل الإسلام صحيح أم لا؟ هل التشيع صحيح أم لا؟ هذه حالة الشك والتردد. وكما تدمر هذه الحالة دنيا الإنسان فانها تقضي على دينه أيضاً، وهي حالة تؤذي النفس لأنها أشبه بالشوكة التي تسبب وخز الروح بين الحين والآخر فلو أن شوكة كانت في العين على الدوام فكم تسبب من الأذىٰ.

أذىٰ النفس والروح بسبب الشك والتردد يشبه ذلك لكي تتجنب هذه الحالة وخاصة من أمور الدين والاعتقاد يجب أن يكون اعتقادك راسخاً ثابت القدم، وكذلك الاعتقاد بأي شيء آخر.

إذا كنت ثورياً، فكن ثابتاً، لكي لا تتزعزع بما فعل ذاك وبما جرىٰ هناك وماذا كان وما يكون.

ورد في المؤمن عن الإمام الصادق عليه السلام روايتين.

ـ ثبات القدم في الايمان:

الرواية الأولىٰ: «المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف». أي ان المؤمن ثابت في إيمانه ثبات الجبل إذ لا يتزحزح عن مكانه مهما اشتدت العواصف والسيول.

المؤمن ليس شكاكاً، المؤمن في اعتقاده ثابت كالجبل لا تؤثر به أي حادثة أو مصيبة (لا تحركه العواصف).

الرواية الثانية: «المؤمن كالسنبلة» يعني المؤمن مثل ساق نبتة الحنطة، ينحني للريح ولكنها لا تستطيع اقتلاعه من الأرض، يعني إذا كنتم كالسنبلة تميلون يميناً ويساراً فكونوا ثابتين في الأرض ثبات الجبل.

أيها الشباب؛ كونوا في اعتقادكم كالجبل، وليكن اعتقادكم استدلالياً

ومع البرهان واثبتوا على ذلك.

ومن الخطأ التقلب يوماً هذا ويوماً ذاك، نرى البعض وهم أنصار فلان هذا اليوم وغداً أعداءه وأنصار شخص آخر.

وهذا البعض كانت تبعيته خاطئة من البدء الجهلاء عادة يكونون كذلك بشكل إذا سمع أحدهم خطاباً جيداً من شخص يصير مريداً له، وإذا اصطدم معه بكلام إنقلب إلى عدو له.

بعض النساء في البيت بهذا النحو أيضاً يعيش معها الزوج بطيب سنة وسنيتن وعشر سنين، ولكن إذا كان في يوم ما مجهداً متوتراً وقد يقول قولاً غير موزون فيذهب بطيب كل تلك السنين، ذلك يعني ان الحب مفقود منذ الأول.

أو ان امرأة تعتني براحة زوجها ليل نهار، ولكنها قد تتصرف تصرفاً في غير موقعه أو تتأخر عنه أو يكون الطعام مثلاً مالحاً، فيذهب ذلك مودة السنين الماضية، وهذا يعني أن العلامة لم تكن راسخة كالجبل منذ أولها.

لذا أرجوا ان تكونوا في محبتكم كالجبل، وكذلك في العقيدة وأخيراً يجب ان تكون إرادتكم قوية لكي تتمكنوا من اتخاذ القرار الثابت لاتخاذ أعمالكم.

ليكن اعتقادكم عالياً ثابتاً كالجبل لا يقلعكم شيء ولا يزعزعكم شيء.

حتى تكونوا إن شاء الله ثابتين لحظة الموت ولو تعاضد الشيطان والدنيا معاً لما استطاعوا تحريككم.



الدرس السابع

رذيلة الجهل

ـ ٢ ـ

٣ ـ الجهل المركب.

ـ رواية عن الإمام الصادق عليه‌السلام .

رذيلة الجهل

ـ ٢ ـ

٣ ـ الجهل المركب:

وهذا هو القسم الثالث من الجهل وهو أردأ من سابقيه، وللجهل المركب تفسيرين أو قسمين، احدهما ما وصفه الشاعر بقوله:

ذلك الذي لا يعلم ولا يعلم انه لا يعلم فليبق في الجهل المركب أبد الدهر

يعني انه جاهل ولكن لا يعلم انه جاهل، وهذا قد تكلمنا حوله سابقاً وهو ليس من الجهل المركب الاصطلاحي. وان كان البعض يعتبره من الجهل المركب أيضاً ـ ولكن هذا غفلة، والشاعر قد أخطأ، فهذا معنىٰ الغفلة انه لا يعلم انه لا يعلم.

ومن الغفلة أيضاً (إنه يعلم ولكن يغفل عن ذلك) لذلك يقول الشاعر:

ذلك الذي يعلم ولا يعلم انه يعلم أيقظوه لئلا يبقىٰ نائماً

وقد أورد الشاعر في عجز البيت علاجاً مناسباً، الإنسان قد لا يعلم ويغفل عن جهله، وقد يعلم ويغفل عن علمه، وكلاهما يعد من الغفلة، والغفلة ضد التفكر والالتفات، وقد تحدثنا عن ذلك الموضوع.

القسم الثاني من الجهل والذي هو شديد الخطورة والفلاسفة وعلماء الأخلاق يطلقون عليه (الجهل المركب)، هو أن لا يعلم ولكن يظن ويتصور انه يعلم.

ليس بعالم ولكنه يتصور انه عالم، ليس بمقدس ولكنه يظن بأنه قديس، من أهل جهنم بكل معنىٰ الكلمة، ولكنه يظن انه من أهل الجنة، إنسان سيّىء ولكن يظن انه مستقيم سيّىء الأخلاق والتعامل في بيته، وإذا قيل له أخلاقك سيئة يغضب ويقول أنا في البيت حسن الأخلاق والتعامل جداً.

لا يربطه بالله والنبي ﷺ رابطة ولكن يظن انه أول مؤمن بين الناس.

هذا الوضع خطر ولشدة هذه الخطورة فقد قال القرآن الكريم:

ان هذه الرذيلة إذا استحكمت في القلب وجاء صاحبها بهذه الصفة إلى صفوف الحشر، سيواجه الله بالمجادلة، يعني ان جهله المركب يعود هناك أيضاً فعندما يعطىٰ صحيفته السوداء يقسم أمام الله انه كان إنساناً مطيعاً وانه من أهل الجنة وان جعله من أهل النار بلا مبرر يقول القرآن حول مثل هؤلاء الناس:

﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم

على شيء ألا إنهم هم الكذبون﴾[1] .

يقول يوم القيامة يأتي أُناس ويقسمون أمام الله انهم من أهل الجنة فكما كانوا يعتقدون ذلك في الحياة الدنيا وكما كانوا يقسمون على ذلك كذباً أمام الناس. فكذلك سيقسمون أمام الله أنهم مطيعون، والقرآن يتعجب من كذب هؤلاء، وكيف وصل بهم الحال، إنهم يوم القيامة يتكلمون خلاف الواقع أيضاً.

وتشاهد رذيلة الجهل المركب في مختلف الأوساط أميين ومتعلمين، واعين ومتخلفين، النساء والرجال.

والقرآن يبين ان خطر هذه الرذيلة كبير جداً، خطرها كبير إلى درجة تصل بالإنسان ان يجادل الله يوم القيامة وهو العالم بكل شيء، ويدعي أمامه انه قد أخطأ بحقه وان الملائكة الموكلون بالصحيفة كذلك قد أخطأوا وأعدوا له تقريراً خاطئاً عن أعماله وان مجازاته بالنار اشتباه لأنه إنسان صالح. ويقسم أيضاً، يقسم بالله ان هناك اشتباه وانه إنسان صالح إذا لم يكن للجهل المركب سوىٰ الآية السابقة لكانت كافية لنا لنجتنب عن هذه الرذيلة.

والقرآن الكريم يعتبر أولئك الناس بأنهم الأسوأ والأكثر انحطاطاً والأخسرين أعمالاً يوم القيامة فيقول:

﴿قُل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضَلَّ سَعيهم في الحياة الدُنيا وَهُم يحسبُون أنهم يُحسنُون صُنعاً﴾[2] .

فالقرآن يقول إذا أردتم ان نجدكم بالأخسرين والأسوأ حظاً والأشقىٰ من الناس فذلك الذي يعمل السوء ويظن انه يعمل الصالح، فهو جاهل لكنه

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٨.

(٢) سورة الكهف، الآيتين: ١٠٣ و ١٠٤.

يتصور انه عالم.

لا يذهب إلى المسجد، ولا يحضر الموعظة، وإذا قيل له لم لا تتردد إلى المنبر والمحراب، يقول أنا أعلم من هؤلاء الخطباء ورجال الدين.

قد تكون المرأة سيئة الأخلاق في البيت، لا تؤدي حقوق الزوجية والأمومة ولا ترعىٰ شؤون البيت، وإذا قيل لها وضعك سيّىء فتجيب بأنها حسنة جداً وان ناصحيها مخطئون، حتىٰ ولو كان الناصح لها أمها وأبوها فلا تسمع كلامهم، وهذا هو الجهل المركب الذي تريد ان تفرضه على الآخرين.

وقد يكون الشخص ساقطاً بأعين الناس ولكنه يرىٰ نفسه إنساناً ذو قيمة.

وأخيراً فهو من أهل النار ولكنه يتخيل بأنه من أهل الجنة.

ـ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

اذكر لكم هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام لكي يتضح لكم موضوع الجهل المركب وكيف يصل الإنسان به إلى سوء العاقبة.

يقول الإمام عليه السلام: كان هناك شخص مشهور بين عامة الناس يلقبونه (مستجاب الدعوة)، قد كان له من الشهرة ما جعلني أرغب في رؤيته (علماً ان ذلك الرجل لم يكن من محبي أهل البيت عليهم السلام، ومن المعلوم ان من لا يتمسك بأهل البيت سوف يجر أذيال الخيبة).

يقول الإمام عليه السلام: شاهدت الناس في أحد الأيام وقد اجتمعوا حول أحدهم: فقال لي أحد الذين كانوا معي يا بن رسول الله هذا هو الشخص الذي كنت تريد ان تراه، توجهت نحوه فلما وقع نظره علي ترك الناس

وذهب، فمشيت خلفه لأتحدث معه في مكان خالٍ وأرىٰ ما عنده، فشاهدته وقد توجه إلى أفران الخبز فسرق قرصين. فتعجب من ذلك وكيف يسرق من له تلك الشهرة.

بعد ذلك توجه إلى دكان آخر وسرق رمانتين ثم ذهب إلى خربة، فأعطىٰ الخبز والرمان صدقة إلى أربعة من الفقراء.

وعندما أراد الخروج من الخربة، اعترضت طريقه وقلت له: ماذا فعلت؟ فقال: لم أفعل شيئاً. فقلت له: لقد رأيت كل شيء. فقال: من أنت؟ فقلت أنا جعفر بن محمد فقال: أنت ابن النبي ولا تعرف قول القرآن: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزىٰ إلا مثلها﴾**[1].

يعني ان الله يضاعف الأجر عشر مرات لمن يعمل الخير، وإذا فعل السوء فيثبت كما هو في صحيفة أعماله.

فقلت: وما علاقة هذه الآية بما أقدمت عليه؟ فقال أنا سرقت قرصين ورمانتين وحاصلها أربعة ذنوب، وأعطيت تلك الأشياء الأربعة صدقة فاكتسبت أربعين حسنة، وعندما نطرح الذنوب من الحسنات فسوف يسجل في صحيفة أعمالي ست وثلاثون حسنة، فانظر هذه المعاملة كم هي مربحة.

فقلت له (ثكلتك أمك) إنك لم تفعل حسنة واحدة، وقد فعلت ثمانية ذنوب، أربعة منها انك سرقت مال الناس وأربعة أُخرىٰ انك أعطيت مال الناس لغيرهم من دون إذنهم، وليتك لم تحصل على الثواب فقط بل لقد حملت إثم ثمانية ذنوب.

ثم قال الإمام عليه السلام: انظروا كيف يفعل الجهل المركب بالإنسان.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

أيها الأعزاء، نساءً ورجالاً محترمين قد تتعجبون من هذه الرواية أيكون مثل ذلك؟ ولكن في وسطنا الكثير من هذه الحالة.

مثلاً الشخص الذي يبيع قليلاً ويحتكر الأشياء ويبيعها بثمن غال ويمتص دم الناس كما تمتصه الديدان، ولكنه يقرأ مجلس العزاء الحسيني عشرة أيام أو عشرين يوماً ويصرف في ذلك مائة ألف تومان، هذا عمله نفس عمل ذلك الرجل بلا فرق. ذلك الرجل سرق وأعطىٰ للفقراء، وهذا سرق وقرأ مجلس العزاء الحسيني.

وكذلك المرأة التي تحيي الليل بالعبادة وتدعو الله سراً وعلانية وتبكي إلى الصباح، ولكن قلب زوجها يقطر دماً من أفعالها، لأنها لا تعطي الزوجية حقها، هذا عين سرقة ذلك الرجل، لأنه سرق وأعطىٰ ما سرقه إلى الفقراء، وهذه المرأة سرقت حق زوجها وأدت مكانه صلاة الليل.

الشخص الذي يتصدق ويتفقد الفقراء وقد يبذل مائة ألف تومان كصدقة، ولكنه لا يعتني بوضع زوجته وأطفاله، وكأنه لم يفهم ان: (المصباح اللازم للبيت يحرم على المسجد).

أقول أكثر من ذلك: الشخص الذي لا يطعي الخمس حيث يقول الإمام الباقر عليه السلام هذه الآية تتكلم حوله:

﴿ان الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾[1].

ذلك الذي يأكل مال اليتيم في الحقيقة يأكل ناراً، أولئك الذين يمتلكون عيناً ملكوتية يرون هؤلاء يأكلون النار، وسوف يردون المحشر يوم

(١) سورة النساء، الآية: ١٠، وسائل الشيعة، ج٦ ص٣٣٧. تفسير البرهان ج١ ص٣٤٧.

القيامة وبطونهم تقذف ناراً كما يقذف التنور باللهب.

فالذي لا يدفع الخمس ويتظاهر بمساعدة أعمال الخير، ذلك سارق أيضاً.

الدرس الثامن

علاج الجهل

- علاج الجهل البسيط.
- علاج الشك.
- علاج الجهل المركب.
- قصة المسلم الجاهل والنصراني الذي أسلم حديثاً.

علاج الجهل

في الدرس السابق استعرضنا أنواع الجهل وفي هذا الدرس نتطرق إلى طرق العلاج إن شاء الله.

ـ معالجة الجهل البسيط:

علاج الجهل البسيط معلوم، فيجب الذهاب لطلب العلم حتىٰ يعلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) يخطىء من يعتقد ان عملاً ما مقدم على طلب العلم. ومن هذه الجهة كانت سنة النبي ﷺ ان يضع المسلم حديثاً يده بيد المسلم الآخر المتعلم حتى يتعلم منه أمور دينه ولا يتركه حتىٰ يتعلم ذلك.

أي ان النبي الأكرم ﷺ لم يكن يكتفي بنطق الشهادتين فكان يقول:

الآن وقد أسلمت فعليك ان تصلي ولا بد من معرفة أحكام الصلاة ويجب أن تصوم والصوم له أحكامه، ويجب ان يتجلىٰ إسلامك بالعمل، فالمسلم بلا عمل لا يستفيد.

أنتم تلاحظون ان القرآن الكريم ذكر الايمان مقروناً بالعمل في خمسة

وسبعين آية، فعندما يذكر الايمان، يذكر وبلا فاصلة ﴿**وعلموا الصالحات**﴾ أو ما في معناه:

﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾.

العقيدة بدون العمل لا تنفع، وعمل بلا عقيدة أيضاً لا ينفع ﴿**والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾.

قسمٌ بعصارة عالم المخلوقات ـ يعني قطب عالم الإمكان، ومحور عالم الوجود، واسطة الغيب والشهادة، حضرة ولي العصر عجل الله تعالىٰ فرجه ـ ان الكل سيخسرون عدا طائفة منهم وتلك هي التي تمتلك جناحين:

الأول: الايمان والعمل طبقه. **والثاني:** عدا عن الايمان والعمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾.

وهذه السورة ورغم قِصرها تثير العجب، عندما كان يلتقي المسلمون في صدر الإسلام مع بعضهم، وبدل المجاملات كان يقول أحدهم للآخر ﴿**والعصر * ان الإنسان لفي خسر**﴾ فيجيبه الآخر ﴿**إلا الذين آمنوا...**﴾ إلى آخر السورة. ومعلوم ماذا سيكون ذلك المسلم سوف يتحكم بنصف الدنيا بعدة عشر سنين، ويرعب كل العالم وعلى ذلك فلا قيمة للإيمان بلا عمل، بل لا بد من تلازمهما، وليس بمقدور أحد أن يؤمن بلا عمل، ولا يمكن العمل بلا علم أيضاً فإذا أراد أحد أن يصلي وهو لا يعلم أحكامها فصلاته تقع باطلة، فالصلاة لها أحكام، من يتوضأ ولا يعرف أحكام الوضوء أو يغتسل ولا يعرف أحكام الغسل، وقد تصل الأمور إلى درجة ان رجلاً عمره سبعين عاماً يسأل: أأغتسل غُسل الحيض قُربة إلى الله؟!، ولا تتصوروا ان هذا الكلام عامة أو انه قليل الحصول، كلا فإن هذا يتكرر كثيراً.

وهل يعقل ان يحيط شخص بمسائل دينه وليس له علاقة بالمنبر والمحراب.

يجب ويلزم على الجميع ان يطلعوا على المعلومات العامة المقروءة والمكتوبة منها، ويجب ويلزم على الجميع ان يتعلموا المعارف الدينية العامة من لا يعلم يَردْ النار.

في يوم القيامة يأتي أُناس كانوا قد صلوا ولكن صلاتهم كانت خاطئة فيقال (هلا تعلمت)؟ لماذا لم تتعلم؟ أصلاتك أهم أم التجارة، اختيار الزوجة أو انتخاب الزوج أهم أم الصلاة والصيام والدين.

وهل حصولك على شهادة الثانوية أو شهادة الليسانس، أو صيرورتك طبيباً أو مهندساً أهم بالنسبة لك من الدين، هنا في الدنيا يمكن أن يتكلم بالديبلوم والليسانس، ولكن يوم القيامة يجب ان يقول ديني. فيقال له: لماذا لم تتعلم أمور دينك؟ وهناك يحمل إلى النار.

مهمة ثقيلة تقع في عاتق الرجال وهي:

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾[1].

يعني ان الرجال إضافة إلى وجوب تعلمهم أحكام الدين فان عليهم تعليم نسائهم وأبنائهم، إضافة إلى كون التعلم وظيفة خاصة بهم كذلك فهم مسؤولون عن تعليم زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم، فإذا أكملت البنت تسع سنين، وأكمل الولد خمس عشرة سنة يجب ان يتعلموا أحكام الدين وتلك وظيفة الآباء.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

كان النبي الأكرم ﷺ ومن على منبره يقول أحياناً: الويل لأبناء آخر الزمان من تقصير آبائهم وأمهاتهم، قالوا يا رسول الله ألأن الآباء والأمهات مشركون! قال مسلمون ولكنهم يفكرون بدنيا أبنائهم، ولا يفكرون بآخرة أبنائهم.

قال النبي الأكرم (الويل لأبناء...)[1].

الأمهات تفكر كيف تجتاز بناتها الدراسة الثانوية وكيف تجيد التطريز ولا يفكرن بدين البنات.

الويل لذلك الولد الذي شغله أبوه بتحصيل شهادة الدبلوم أو كيف يصبح مهندساً وكيف يكون طبيباً، ولم يهتم بدينه. فإذا لم يوفق بالامتحان التمهيدي للالتحاق بالجامعة كم يتأسف لذلك، ولا تنام الأم ليلها، وكم يحزن الأب لذلك.

أما رسوبه بمسائل الدين فكأن شيئاً لم يكن ولا يرف لذلك جفن أحد.

النبي يقول الويل لأولئك الأولاد من يد الآباء والأمهات.

على هذا فتعلم المعارف الدينية لازم وواجب على الجميع.

لا يصح التعامل مع رسالة مرجع التقليد بهذه الطريقة من عدم الإهتمام وقد يقضي سبعين عاماً من الجهد والتعب لإعدادها. هذه الرسالة يجب أن تقرأ جيداً وتبحث جيداً، يجب ان تسألوا الآخرين لكي تتطلعوا، يجب ان ترتبطوا بالمنبر والمحراب.

أيها السيدات والسادة إذا تركتم وأبنائكم وبناتكم الارتباط بمنبر الوعظ فان النبي الأكرم ﷺ يقول: (ستصابون في الدنيا والآخرة بثلاثة

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٢ ص٦٢٥.

أمراض ليس لها دواء ولا يطاق ألمها.

سيأتي زمان على أمتي يفرون من العلماء كما يفر الغنم من الذئب وإذا كان كذلك سلط الله عليهم من لا رحم له ولا علم له ولا حلم له وترفع البركة من أموالهم ويخرجون من الدنيا بلا إيمان).

يعني يأتي زمان على أمتي لا يتمسكون بالمنبر والمحراب المساجد خالية، والمنابر خالية، أولئك يفرون من المسجد ويفرون من المنبر كما تفر الخراف من الذئب.

فإذا أصبحوا كذلك فان الله يسلط عليهم أفراداً لا دين لهم ولا رَحم ولا حلم.

يعني يسلط صداماً على العراق، يعني يسلط أمريكا الجائية على بلدان المسلمين. هذه أمريكا الجائية وقد تسلطت على بلدان المسلمين ليس لها دين ولا رحمة ولا حلم، وقد رأيتم كيف فعلت بالناس.

حيث صرح مجرمها: انه القىٰ على العراق من القذائف ما لم يلقه على فيتنام طيلة الحرب معها، النبي الأكرم ﷺ يقول: ان ذلك يحدث بسبب الفرار من المنبر والمسجد.

الثاني: (ترفع البركة من أموالهم)، يمكن الحصول على الكثير من النقود ولكن لا خير فيها، النقود متوفرة ولكن السلع شحيحة، والأسعار مرتفعة وحالة قلق شديد. وإذا حصل على النقود فالبركة مرفوعة.

وهل تعرف ماذا يعني ارتفاع البركة؟ يعني انه يملك قصراً عالياً مثلاً ولكن زوجته امرأة نزقة تثير المشاكل والمتاعب، وهذا بلاء على الإنسان، أو أن المرأة في حياة جيدة والمال متوفر ومستوىٰ المعيشة عالٍ ولكن الزوج

نزق ومتعب، فمن الواضح ان تلك المرأة تفضل العيش في خربة هادئة على تلك الحال المتعبة.

(ترفع البركة من أموالهم) يعني الغذاء متوفر ولكن يسيئون استهلاكه.

والأول والثاني ليس على تلك الدرجة من الأهمية ولكن المهم هو البلاء الثالث: (يخرجون من الدنيا بلا إيمان).

يعني ان هذا الشخص لا يستطيع الالتزام بالتشيع إلى آخر المطاف، وقد تسلب منه عقيدته وسط العمر أو آخر العمر ويموت وهو من عبدة الشيطان، أو عبدة المال، أو يذهب من الدنيا مبغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام.

الايمان يجب أن يكون ثابتاً في القلب لكي يستعصي سلبه على الشيطان.

إذا أردتم ان يكون إيمانكم ثابتاً، يجب ان تكونوا عالمين بأمور الدين وان ترتادوا المساجد والمنابر.

ولكن ومع الأسف فان ارتباط الناس بالعلماء ضعيف في كل مكان وحتى في قم المقدسة أيضاً.

هؤلاء القميّون ورغم كونهم وسط رجال الدين والعلماء ولكن ارتباطهم بهم غير ملموس، ولا يوجد فرق بين قم وغيرها، فإذا فاقت بعض الأماكن في مجال ما فهي متأخرة عنها في مجال آخر.

ان صفة الجهل سيئة ويجب التخلص منها، أيتها المرأة يجب ان تكوني عالمة بأمور الدين، أيها الرجل يجب ان تكون عالماً بشؤون الدين.

سورة والعصر تقول! علاوة على وجوب كونك عالماً، يجب أيضاً ان تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، تتعلم وتعلم زوجتك وأولادك ، وتعلم

أصدقائك .

هذا ما يتعلق بالجهل البسيط .

ـ علاج الشك:

وعلاج الشك بسيط ، وعلى فرض أن أذاه كبير فان علاجه سهل ، وهو عدم الاعتناء .

جهل الشك حالة يصبح فيها الشك حاكماً على سلوك الإنسان ، ويتسع ويستحكم مع ضعف الإرادة ، فيجب إذاً تقوية الإرادة؟ وكيف نقوي الإرادة؟ ان نقحمها بالعمل ، وكيف نقحمها بالعمل؟ ان لا نعتني بالشك .

من الموارد التي تكون العجلة حسنة هذا المورد .

يتردد من أي الطريقين يذهب ، فعليه ان يختار أحدهما فوراً وبلا تردد .

يتردد أيفعل هذا الأمر أم لا يفعله؟ فإذا كان الفعل خيراً فليقدم على الفعل ولا يتردد .

إذا حصل لك مثل ذلك الشك في اعتقاداتك أو مسائلك الدينية فقل (لا إله إلا الله) وفكر بشيء آخر ، إذا كنت نائماً فقل (لا إله إلا الله) أو كنت جالساً ، فانهض وامشي ، إذا كان أحداً إلى جوارك فتحدث معه ، واصرف نفسك عن ذلك فعندما تنصرف عن ذلك فان هذا الشك سيزول عنك بالتدريج .

هذا النوع من الجهل سيّىء ، ان يكون الشك هو المتحكم في تصرفات الإنسان أمر سيّىء . ولكن علاجه سهل ، المرأة التي تتردد ماذا ستهيّىء للعشاء من الطعام فلتقرر بسرعة ماذا تطهي ، جيداً كان أم رديئاً .

أو تتردد في ان تذهب إلى السوق هذا اليوم أم لا؟ فلتتخذ قرارها بسرعة وهذا طبعاً للإنسان الكثير الشك والتردد، وليس للإنسان الاعتيادي الإنسان الاعتيادي عليه ان يلجأ إلى استخدام العقل، وإذا لم يصل إلى القرار فعليه استشارة الآخرين، وإذا لم يتوصل إلى نتيجة فعليه عندئذٍ الاستخارة، وإحدىٰ خواص الاستخارة هي هذه، يعني إذا استخدم عقله ولم يصل إلى القرار واستشار ولم يصل إلى القرار فالاستخارة هنا ترفع التردد. وذلك لأجل أن لا يتحكم التردد في سلوكه ويستحكم الشك في قلبه.

هذا ما يتعلق بالشك.

ـ علاج الجهل المركب:

أما الجهل المركب، فكيف يتم علاجه؟ طريقة العلاج هي ان يعرض اعتقاداته على العلماء، وتلك سنة أصحاب الأئمة الطاهرين عليهم السلام سنة شائعة بين أصحاب الإمام الصادق والإمام الرضا والإمام الهادي عليهم السلام، حيث كان يقوم أفراد من أصحاب الأئمة بزيارتهم وعرض أفكارهم واعتقاداتهم على إمام زمانهم.

ومنهم حضرة عبد العظيم الحسني صاحب المرقد الشريف في مدينة ري جنوب طهران، والذي يعد من العلماء الكبار، حيث ورد في الروايات ان من يزور مرقده الطاهر كمن زار الإمام الحسين عليه السلام.

جاء إلى عند الإمام الهادي عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله أريد ان أعرض عقائدي أمامك، ثم قال: أؤمن بالله وصفاته كذا وكذا، وأؤمن بالنبوة والقرآن والإمامة و. . حتى آخرها، فأيد الإمام الهادي عليه السلام اعتقاداته وقال (هذا ديني ودين آبائي)، دينك صحيح.

عندما ترغب في شراء دار فانك تصطحب هذا المعمار وذاك المعمار، وتستشير هذا الصديق وذاك الصديق لكي لا تتعرض لحالة غش أو خديعة.

فإذا أردت أن تعتقد بشيء، أفلا ينبغي ان تراجع أهل الخبرة؟

فانك عاجز عن تشخيص البناية الصالحة، وإذا أقدمت على الشراء بدون استشارة، فإذا كنت مغشوشاً فيها، فسوف تعرض لملامة الناس. وكذلك سوف تلومك الناس إذا اعتقدت بشيء ما وكانت النتيجة سيئة، بل سوف تُلام أيضاً حتى لو كانت النتيجة حسنة، طبقاً لقاعدة التجري.

لا يصح ان يختار الإنسان شيئاً وهو ليس من أهل الخبرة فيه، فإذا كان الموضوع المنتخب سياسياً فعليه مراجعة المختصين بالسياسة، وإذا كان الموضوع إجتماعياً فعليه مراجعة علماء الاجتماع، وان كان الموضوع دينياً فعليه مراجعة علماء الدين، فيسألهم أنه هكذا اعتقد، فهل اعتقادي صحيح أم غير صحيح؟ فإن أجابوه بأن اعتقادك غير صحيح فيجب عليه ان يتخلىٰ عنه فوراً، وان أجابوه بصحة اعتقاده فبوسعه التبني والاستمرار.

فيجب ان يتوسع المرء بدراسة اعتقاده ويدقق فيه وهذا يتطلب استعداداً خاصاً، ان استبداد الرجل والمرأة في القناعة والاعتقاد شيء خاطىء.

أحياناً يقع المرء في مشاكل خطرة بسبب التعصب للرأي واللجاجة بعض النساء مثلاً غير مدركات ولكن لا يمكن إخبارهن أو التحدث معهن، وبعض الرجال غير مدركين ولكن لا يمكن التأثير بموقفهم، فلا يتقبلون الحقيقة عندما تُطرح أمامهم، خاصة إذا كانت زوجته هي التي تقول ذلك أيها السيد تقبَّل الحقيقة من أي كان، من زوجتك أو من غيرها استخدم عقلك أولاً عند أقوالك وأفعالك، وامضي على أساسه ان كان أمراً واضحاً

وضرورياً.

فان ترددت في أمر فاستعن بالمشورة، ولأهميتها فقد أوصىٰ القرآن الكريم بالتشاور في موضعين الأول قوله تعالىٰ:

﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾[1].

فالآية تخاطب النبي ﷺ بأن اتخاذ القرار بيده ولكن الآية تدعوه إلى احترام رأي الآخرين وضرورة التشاور معهم.

والثاني إذ يقول عن المؤمنين:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2].

فالآية تحث المسلمين على التشاور، وتصفهم بأنهم يتشاورن في أعمالهم لا فرق بين الرجل والمرأة.

كما ان أحد علماء النفس ينصح الرجل ان يجمع حوله زوجته وأبناءه ويشاورهم لأن ذلك مفيد لبناء شخصية الأبناء.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وشاوروهن وخالفوهن».

ينطوي على معنىٰ دقيق، وقد أساء الرجال تفسير ذلك المعنىٰ حيث فسروا قول الإمام باستشارة النساء ومخالفة كل ما يبدين من رأي، ومن الواضح ان هذا التفسير يدعو إلى السخرية.

فأمير المؤمنين عليه السلام لا يقصد ذلك، وإنما يعني قوله إنك تستشير زوجتك فان كان رأيها حسناً ومعروفاً فخذ به وإذا ترددت في حسن قولها وإذا قال عقلك ان رأيك أفضل من رأيها، فرأيك مقدّم عندها وذلك لأن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ٣٨.

وجودك وجود تعقلي ووجودها وجود عاطفي، وإذا تعارض العقل والعاطفة فالعقل هو المقدّم.

فالمقصود إذن من قول الإمام هو هذا، وليس المعنىٰ الشائع.

يجب ان يتشاور المرء مع صديقه مع زوجته، مع أبنائه، وان يكون مهيئاً لتقبل الرأي الآخر، وان لا يكون متعصباً ومستبداً ولجوجاً.

تعصب الإنسان يدمر دنياه وآخرته، خاصة في مجال الدين.

فإذا احتملت ان هناك نوعاً من الجهل المركب، فابحث عن عالم متمرس عاقل متدين، واعرض عليه دينك حتى تنجلي لك الحقيقة. وكلما حصل الشك في موضع والشبهة بصحة رأي أو خطأه، فاذهب فوراً واسأله منه لئلا يسبب لك الجهل المركب البلاءات والدمار في يوم ما.

ـ قصة المسلم الجاهل والنصراني الذي أسلم حديثاً:

دعىٰ مسلم جاهل متنسك نصرانياً إلى الإسلام فأجابه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: لم يعرف كيف يتصرف، وقد أساء لنفسه وللنصراني وأخيراً أخرجه من الإسلام كما ادخله فيه.

لقد جاء إلى النصراني الذي قبل الإسلام قبيل أذان الصبح، وقال له قم بنا نذهب إلى المسجد وعندما جاء به المسجد جعله يؤدي صلاة الليل، ثم صلىٰ الصبح أول وقتها وجلس يعقب حتى طلعت الشمس، وعندما صار النهار قال له الجلوس في المسجد مستحب، وحسن فجلسوا إلى الظهر وصلّوا الظهر والعصر، وكان قد أخبره ان أداء الصوم المستحب مرغوب في الإسلام، وجعله يصوم ثم جلس بعد صلاة العصر حتى صلىٰ المغرب والعشاء وعاد إلى البيت.

فإذا كان السحر من اليوم الثاني جاء وطرق بابه، فقال الرجل: من الطارق؟ فقال أنا فلان: فقال له إذا أردت الحقيقة لقد رجعت عن الإسلام البارحة.

لأن هذا الإسلام يصلح لمن لا عمل له، وأنا رجل عليّ عيالي.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنه أراد أن يفعل خيراً، ولكنه أساء أكثر.

إذا كان الإنسان لا يعلم فعليه أن يسأل، وعلى المرأة ترك الخصومة والجدل وأن تسمع الكلام، لأن الجدل وعدم الأخذ بالنصيحة قد يؤدي إلى الطلاق أحياناً وعلى الرجل ترك الاستبداد، لأن الاستبداد قد يدمر الحياة أحياناً.

الدرس التاسع

رذيلة الوسوسة

- وسواسي أم مجنون.
- الالهام الرحماني.
- خطرات الشيطان.
- من هو الخناس؟
- الوسوسة الفكرية.
- الوسوسة العملية.
- علاج الوسوسة الفكرية والعملية.

رذيلة الوسوسة

كان بحثنا حول الفضائل والرذائل حيث أشرنا إلى عناوين البعض منها ووصل البحث إلى فضيلة اليقين حيث تحدثنا حولها بصورة مجملة.

بعدئذٍ استعرضنا واحداً من أضداد هذه الفضيلة، أي الجهل وفهمنا أن الجهل وخاصة الجهل المركب رذيلة كبيرة وخطرة.

ـ وسواسي أم مجنون:

بحثنا هذا اليوم يدور حول الرذيلة الثانية المضادة لليقين، وهي رذيلة الوسوسة والتي يقال للمصاب بها «الوسواسي».

الوسوسة ضد اليقين، وهي رذيلة أخلاقية كبيرة وتعد أكثر أهمية من رذيلة الجهل، وهي تفسد دنيا الإنسان وآخرته، وتؤدي به إلى التعاسة وسوء الحال.

كم فرقت هذه الرذيلة من العوائل التي آل مصيرها إلى الطلاق والتعاسة وإلى العقد لدىٰ الأبناء.

وكم سببت من السقوط لكثير من أفراد المجتمع وأدت إلى انزوائهم

اجتماعياً ولا نكون مخطئين لو غيرنا اسم الوسواس واطلقنا بدله (الجنون) الوسواس يعني المجنون.

المرحوم ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الجزء الأول من كتاب أصول الكافي في باب العقل والجهل ينقل ما يلي:

ان شخصاً جاء لزيارة الإمام الصادق سلام الله عليه.

وامتدح عقل أحد الأشخاص، وضمن الإطراء قال يا بن رسول الله انه وسواسي في الوضوء والصلاة. فقال الإمام: وأي عاقل هذا الذي يتبع الشيطان، وتبعيته للشيطان إلى درجة لو سئل عن فعله هل هو فعل عقلائي أم شيطاني لاجاب بانه شيطاني.

سأستعرض ثلاثة أبحاث عن الوسوسة بصورة مختصرة:

أحدها: معنىٰ الوسوسة وأقسامها.

الآخر: من أين تنشأ الوسوسة.

الأخير: كيف يجب معالجة هذه الرذيلة الخطرة.

ـ الالهام الرحماني:

للإنسان نوعان من الخواطر، نوع منها يرتبط بالله، وهو البعد الرحماني في الإنسان، ويقال لتلك الخواطر الالهامات الرحمانية أو الوحي، والأشخاص الذين علاقتهم بربهم، قوية ومحكمة يمتلكون الكثير من هذه الخواطر.

أي ان الملائكة تلقي الحقيقة في قلب ذلك الشخص، وينمو الخطور في الذهن وبطريقة لا يشعر فيها بذلك ولا يرىٰ الملائكة.

ويمكننا القول ان للمؤمن الهام استناداً إلى الروايات وإلى القرآن

الكريم بهذا الخصوص.

الملائكة تهدي المؤمن إلى طريق الصواب، فإذا كانت علاقته بالله جيدة وقوية فإنه يستطيع بنفسه اكتشاف طريقه.

وقد أطلق القرآن الكريم (الهداية) على هذا النوع من الالهام، أي العناية الخاصة من الله، ورد في أول سورة البقرة:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيهِ هدىً للمتقين﴾. هذا القرآن الذي ليس فيه شك ولا شبهة، يهدي الأشخاص المتقين.

وفي نفس هذه السورة يقول:

﴿هُدىً للناس﴾[1].

يعني ان القرآن هادياً للجميع.

﴿إنا هَديناهُ السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾.

النبي جاء لهداية الجميع، أما الهداية المذكورة في أول سورة البقرة فهي تعني الالهام، تعني العناية الخاصة من الله، وفي موضع آخر يقول:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[2].

ان الله وبواسطة هذا القرآن يهدي الإنسان إلى طريق السلامة ولكن ليس كل الناس وإنما تخص الهداية الناس الذين رضي الله عنهم والذين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥ و ١٦.

تشملهم رعاية الله، حيث ينقلهم من الظلمات إلى النور يتجلىٰ نور الله في قلوبهم.

﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾. فالله وبواسطة القرآن يبين لهم طريق الاستقامة، ذلك الطريق الذي ينتهي إلى الجنة.

هناك آيات كثيرة في القرآن وأمثال الآيتين اللتين قرأتهما مما يدل على ان للمؤمن إلهام. وان له خطورات يستطيع بواسطتها تمييز الحق عن الباطل والباطل عن الحق، وبتعبير القرآن يستطيع ان يكتشف طريق السلامة.

عادة مثل هؤلاء الناس لا يصلون إلى الطريق المسدود، وكلما كانت علاقتهم بالله أقوىٰ كلما ازدادت هذه الالهامات.

الإمام السجاد عليه السلام يقول لزينب المظلومة عليها السلام:

(أنتِ بِحَمد اللّهِ عالِمةٌ غَيرُ مُعَلّمةٍ وفَهِمَةٌ غيرُ مُفهَّمةٍ).

أي أنت عالمة لم تري معلماً وفاهمة لم تتعلمي ذلك من أحد. أي ذلك إذ وصلت إلى مقام حيث يكون ذلك بواسطة تجلّي نور الله، بواسطة الخطرات من عالم الغيب ومن عند الرحمن، هذا فيما يتعلق بالمؤمن.

خطرات الشيطان:

أما إذا كان ارتباط الإنسان بالله ضعيفاً، أو كان فاسقاً والعياذ بالله أو كان ممن يقترفون الذنوب، أو كان كافراً والعياذ بالله، فكلما كان سقوطه وانحطاطه أكثر، فسوف تكثر خطرات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وتؤثر به خواطر السوء من رفيق السوء، ويبتلى برفيق السوء أيضاً.

﴿وإنَّ الشياطينَ ليُوحون إلى أوليائهم ليُجادِلُوكم﴾[1].

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

الشياطين يوحون ويلهمون أنصارهم من الفسقة والساقطين ليأتوا لجدالكم. وجاء في آخر سورة من القرآن:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس﴾[1].

اللهم أعوذ بك، ويكرر ذلك ثلاثاً من شر الوسواس ومن شر الخناس.

يعني من شر ذلك الذي يتلاعب بقلب الإنسان بواسطة الخطرات فيقلب قلب الإنسان، ويشوقه إلى ارتكاب الذنوب.

وأحياناً يفعل ذلك الشيطان، بل ذلك فعله، لقد سمعتم بوسوسة الشيطان، تلك هي الوسوسة، الوسوسة في اللغة تعني الهمهمة تعني الخطورات.

الشيطان يأتيكم ليدلكم على طريق الضلالة، ويبعدكم عن طريق السعادة وكذلك يضلكم رفيق السوء ويحجب عنكم طريق السعادة ويجرّكم نحو طريق الضلالة، ويأتي بأسلوب غير محسوس ليدخل قلب الإنسان وعقل الإنسان وذهن الإنسان.

فإذا كان ذلك من طرق رب العالمين، ومن طرق عالم الملكوت يقال له الهام.

وإذا كان من عند الشيطان يقال له وسوسة.

القرآن الكريم يذكر ان الوسوسة إنما هي لأولئك الذين ضعف

---

(١) سورة الناس، الآيات: ١ ـ ٦.

ارتباطهم بالله:

﴿وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمن نُقيضْ لَهُ شَيطاناً فَهُوَ لَهُ قَرينٌ﴾[1] .

يقول: ذلك الذي لا تشده إلى الله رابطة، ذلك الذي لا يؤدي الصلاة أول وقتها، ذلك الذي يغفل عن ذكر الله، يأتيه شيطان فيرافقه دوماً، وذلك الشيطان قرينه دوماً، وعمله هو ان يوسوس له ويلقي الضلالة في قلبه.

إذن من وجهة نظر القرآن، فهناك شيطان يعتري الإنسان الوسواسي وان كان لا يراه يرافقه في البيت والنوم وأثناء الصلاة والوضوء والغسل، الشيطان معه في كل مكان، مع انه لا يرىٰ ذلك الشيطان، وهو دائماً يتكلم معه، لكن كلامه معه هو انه عندما يتوضأ مثلاً يقول له الوضوء ناقص، أو أن هذا الوضوء باطل لأن الوجه لم يغسل صحيحاً، أو عندما يغتسل ويصل الماء على رأسه ورقبته يقول له الغسل غير كامل، ويشغله لفترة طويلة في عملية إتمام الاغتسال، وكلما كان قريناً وقريباً أكثر من ذلك الشيطان فسوف يطول وقت اغتساله أكثر.

هذه الخواطر التي تلقىٰ في القلب على قسمين:

فتارة تكون خطرات مباشرة، أي يزين فعل الذنب بشكل مباشر ويجعل في اقترافه حلاوة. فيأمر بنظرة سوء، والغيبة والتهمة.

وتارة تكون بصورة غير مباشرة، بطريقة الخناس، ومعنىٰ الخنّاس الوسوسة مع التبرير وبعض الوسواسيين على هذه الشاكلة فلا يقولون عملنا حرام أو غسلنا باطل، بل يقولون غسلنا صحيح ولكن الناس نجسون ونحن طاهرون. وفي الوقت الذي يعد هو فيه أنجس الناس، يرىٰ نفسه طاهراً وجميع الناس نجسين.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

إذاً الوسوسة قسمان، الوسوسة والخواطر المباشرة التي تحث الإنسان على اقتراف الذنوب والآثام.

والقسم الآخر وسوسة الخناس، أي الذي أضافه إلى الوسوسة يأتي بالدليل، ويبرر الأمر، أو كما يقول العامة (يخدعه بطلاوة القول) فيحرفه بواسطة الدين، وخطر القسم الثاني أشد من خطر القسم الأول فخطر الإنسان الوسواسي أكبر بكثير من خطر العاصي.

ذلك لأن العاصي يمكن ان يتوب ولكن الوسواسي لا يتوب حتى يكف عن تلك الحالة، وإذا لم يترك الحالة فان الذنوب تتراكم حتى يسودّ قلبه ويصل إلى موضع شديد الخطر.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: الوسواس مجنون، ولكنه مجنون يتبع الشيطان، انه مجنون دفعة واحدة فلا يصلي ولا يصوم ولا يهتم كما انه لا قضاء عليه أيضاً.

كان أحد الطلبة العلماء قد جُنّ. وترك الصلاة والصوم، وكنا نسأله لماذا لا تصلي ولا تصوم؟

فيجيب بعبارة جميلة (أخذ ما وَهبَ وسقط ما وجب) يعني ان الله أخذ عقلي فلم يعد علي تكليف.

الوسواسي مجنون ولكن ليس بذلك النحو، لأنه مكلّف، وتمام أعمال هذا المجنون المكلف تعود إلى الشيطان، وترتبط بالخناس.

ـ من هو الخناس:

ورد في الروايات ان الخناس شيطان عالم وكبير جداً، وعلى قول أحد العلماء الكبار بأن لكل شخص شيطان يناسب حاله، فالروحانيون لهم

شياطين ولكنهم أساتذة الشياطين، وهذا الخناس من أساتذة الشياطين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام عندما ولد إبراهيم وعيسىٰ عليه السلام، جمع الشيطان الكبير كل الشياطين حوله وقال ماذا نفعل، لأن نبي الله قد وُلد ولا يمكن إضلال الناس بعد. فقال الخناس: استطيع اضلالهم عن طريق الدين والوسوسة فيصيرون إلى النار.

ـ الوسوسة الفكرية:

تارة ترتبط الوسوسة بالقلب وخطراته ولا تتعلق بالأفعال ويسمىٰ هذا النوع من الوسوسة الفكرية وهي موجودة بكثرة وهي تنشأ عادة من ضعف الإرادة. فعندما تضعف أعصاب الإنسان أو يتعرض للمصاعب، أو يرىٰ مصيبة كبيرة، يصاب من الناحية الروحية بالوسوسة الفكرية، وهي على مراتب فتارة تكون بمستوىٰ الشك والشبهة فقط، وقد بحثنا حولها، كما ذكرنا طرق العلاج.

وتارة تشتد وترتفع حتى قد تصل ـ والعياذ بالله ـ موضعاً يسيء فيه القول على الله ويعتقد ان أفعال الله ظالمة.

ويبدأ يشك بالقرآن قليلاً قليلاً حتى يصل إلى وضع يشتم فيه (في قلبه) الله والنبي والأئمة والمقدسات، هذا نوع من الوسوسة الفكرية وتوجد أنواع أُخرىٰ منها تتعلق بدنيا المرء وأعماله أو بعلاقته بالناس كسوء الظن مثلاً، ما هو محل حديثنا هو الوسوسة الفكرية فلا بد من ذكر العلاج، وعلاجها سهل جداً، وهو ان يصرف نفسه كلما أتاه ذلك الشك.

مثلاً كلما شك فعليه ان لا يحسب لذلك حساب ولا يعطيه أهمية ما ويتكلم مع أي كان، أو أن يأخذ شيئاً ويأكله ويصرف نفسه عنه وعلى هذا المنوال ولن يطول الوقت حتى يختفي هذا الشك رويداً رويداً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: لا تعتنوا بهذا الخبيث أعني الخناس ولا تمكنوه منكم وسوف يولي عنكم إذا لم تبالوا به ولن يعود إليكم، فإن تجاوبتم معه أقبل عليكم.

وقول الإمام الصادق عليه السلام يستند إلى أصل قرآني:

﴿إنّه لَيَس لَهُ سُلطانٌ عَلىٰ الذَينَ آمنوُا وَعَلىٰ رَبِّهم يَتَوكَّلُون * إنّما سُلطانُهُ عَلىٰ الذين يَتَولَّونَهُ والّذِين هم به مُشرِكُون﴾[1] .

بعد تكرار التأكيد مما يعرفه أهل العلم جيداً يقول تعالىٰ:

ان الشيطان ليس له سلطان على الإنسان، ولكن أي إنسان؟

ذلك الإنسان الذي لجأ إلى الله واستعاذ به، ذلك الإنسان الذي قد أحكم ارتباطه بربه.

يتسلط الشيطان على الإنسان عندما يقف تحت رايته، أي انه عندما يسعىٰ نحو الشيطان فإن الشيطان يقبل عليه.

أما إذا ترك الإنسانُ الشيطان وأهمله، فليس للشيطان عندئذٍ أثر على الإنسان.

إذا وقف الإنسان تحت راية الله فان الشيطان يخشىٰ الاقتراب لقد وعد القرآن بأن الملائكة يبعدون الشياطين عمن عزز ارتباطه بالله! **﴿لَهُ مُعقباتٌ مِن بَين يَدِيهِ وَمِن خَلفِه يَحفظُونهُ مِن أمرِ اللَّهِ﴾**.

يعني ان من ألطاف الله الكبيرة ان جعل ملائكة مأمورين موكلين بحفظكم من شرور الدنيا، ومن شرور الجن ومن شرور الشياطين.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٩ و ١٠٠.

وعلى هذا فان أحكمتم علاقتكم بالله فان الشيطان سيكون عاجزاً عن متابعتكم، من هنا فإذا لم تبالوا به فإن الشك والشبهة سيرتفعان من أذهانكم، ولا يعودان إليكم.

زار شخص النبي ﷺ وقال: يا رسول الله هلكت وعدمت.

فقال له النبي ألأن الشيطان جاءك وقال لك من خلقك؟ فقلت: الله فقال ومن خلق الله؟ فعجزت عن الجواب. فقال الرجل: نعم.

فقال النبي إذا عرض لك شك مثل هذا فقل (لا إله إلا الله) واصرف نفسك عن ذلك.

كلمة (لا إله إلا الله) وكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) وقراءة القرآن وصيام شهر رمضان المبارك والصلاة أول وقتها علاج فعال لرفع الوسوسة.

هذا إذا كان الأمر في بدايته، أما إذا أصغىٰ لكلام الشيطان، فكلما سمعه أكثر يترسخ في قلبه أكثر. حتى يترسخ في قلبه الشك الأول والثاني و.. وهكذا.

فيصل حاله والعياذ بالله يسيء فيها الظن بالله، ويعتقد ان الله ظالم وهذا علاجه عدم الاعتناء أيضاً.

حتى ولو ذكر النبي الأكرم ﷺ بسوء، حتى لو خطر بقلبه ان الله ظالم وليس بعادل. فعليه أن لا يهتم ولا يؤذي نفسه ويقرأ قليلاً من القرآن وإذا كان الأمر يتعلق بالنبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام فليصل عليهم.

وقد ورد في كثير من الروايات ان الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يرفع الوسوسة وتتلاشىٰ هذه الوسوسة وتزول وليقو ارتباطه بالله، ويصلي الصلاة لوقتها وليهتم بالواجبات وخاصة الحجاب بالنسبة للنساء، وان يهتم

بالمستحبات ما لم تزاحم عمله، ويصلي صلاة الليل، ويقرأ القرآن، يدعو الله ويتوسل له، ويساعد الناس، ويعين الزوج زوجته، وتساعد الزوجة زوجها وخدمة المسلمين، والأهم من ذلك اجتناب الذنوب، وكلما كان اجتنابه أشد فان الوسوسة الفكرية ستزول شيئاً فشيئاً.

ولكن ذلك يحتاج إلى صبر وسعة صدر، شهر أو شهرين أو عدة شهور فسوف يتحسن ويتمكن من اقتلاع أصل هذه الرذيلة.

وما يقوله بعض علماء النفس من ان الوسوسة الفكرية لا علاج لها. فأنهم حتماً مخطئون في ذلك.

ذلك لأننا شاهدنا الكثير من الناس وقد أصيبوا بحالة الوسوسة الفكرية قد تحسنوا وتمكنوا من إحراق جذورها وتخلصوا منها بواسطة إهمالها وبواسطة الارتباط بالله.

نعم من الناحية الجسمية يجب ان ينظم نومه ويقوي أعصابه، وان لا يتشنج، ولا تتعرض أحاسيسه لصدمات، كل ذلك لازم ومؤثر جداً للتخلص من الوسوسة الفكرية.

ـ الوسوسة العملية:

أما الوسوسة العملية فهي تتفاوت في الأفراد. فعند غير المتعبدين تارة تكون في اختيار الثياب، فلا يعجبه مثلاً ان يلبس هذا الثوب ولا الثاني ولا الثالث وأخيراً فان أي بدلة يخيطها لا تعجبه، هذا نوع من الوسوسة العملية التي تلاحظ بكثرة في أوساط النساء.

وتارة تكون الوسوسة في مجال النظافة، فترىٰ بعض النساء والرجال من القذارة ان زجاج نوافذ بيوتهم قد أسود، وعندما تدخل البيت ترىٰ

حجابها سقط في جانب وثيابها في جانب آخر، وبنطال زوجها في جهة أُخرىٰ وتراها قذرة ومتهاونة بكامل المعنىٰ.

وتارة تجد آخرين على العكس من ذلك، يعني ان زجاج النوافذ نظيف جداً ويستنزف تنظيفه جُلّ وقتهم، ويكثرون من أعمال الكنس والتنظيف حتى يصابون أخيراً بوسواس النظافة.

وتارة في أوساط المتمدنين والمثقفين تجد الوسوسة من المكروب، فإذا مست يده ثيابه، طهر يده بالكحول، أحد الأطباء يفحص مائة مريض ويكتب مائة وصفة طبية فيغسل يده مائة مرة، وقد يصل به الأمر ان يقطع الخُبز بالسكين.

أما في مجال التدين: فقد تجد بعض المسلمين على درجة من اللامبالاة حتى أنهم لا يفرقون بين الماء والبول ولا بين الدم والمركروكرم ولا يعتني بالطهارة أو النجاسة مطلقاً.

وبعضهم يصل به الحال ان لا يكتفي بغسل يده بل يدعك يده ويغسلها ويواصل ذلك حتى يجرح يده ويدميها.

أحد الأشخاص قال لي منذ أذان الصبح وحتى آخر وقت صلاة الصبح لم أتمكن من اكمال الغُسل وقد فاتتني صلاة الصبح، وقد خجلت من صاحب الحمّام فذهبت إلى حمّام آخر وقد أتممت غسلي قبل الظهر وبعد مرور سبع ساعات.

هذا في الدنيا وفي الآخرة لا يجني شيئاً سوىٰ الخسران. وعلى مثل هذا الشخص ان يعلم وطبقاً لقول الإمام الصادق عليه السلام:

أولاً انه مجنون، وثانياً ان عمله هذا معصية، ومعصية كبيرة أيضاً.

وثالثاً بأن الخناس ألجأه إلى ذلك العمل وقد أصبح الشيطان قرينه.

ـ علاج الوسوسة الفكرية والعملية:

وماذا يجب ان نفعل الآن للتخلص من الوسوسة؟ عند الاعتناء بالشك فإن الحالة سوف تسوء يوماً بعد آخر. أما إذا أهمل الشك. مثلاً عندما يضع يده النجسة تحت ماء الماسورة، فيجب ان يعمل بقول مرجع التقليد والذي يقول طهرت لا أن يعمل بقول الشيطان الخبيث.

أو عندما يتوضأ يغسل وجهه بكف من الماء وبكف آخر يغسل يده اليمنىٰ ويريق كفاً على يده اليسرىٰ فيغسلها، ثم يمسح رأسه وقدميه ويكمل وضوءه في مدة لا تزيد عن نصف دقيقة فان سمع أحداً يقول لم يتم الوضوء، ان ينتبه ان القائل إنما هو الشيطان. الشيطان يقول لم يتم ولكن قل أنت لقد تم وقل ان مرجع تقليدي يقول لقد تم.

المرحوم آية الله العظمىٰ المرعشي ـ ذو الدرجات العالية أعلىٰ الله مقامه ـ كان يمتاز بصفة انه يضع الكثير من اللوازم الضرورية أمامه ومن جملتها قمقمة ماء، كان في مجلس له عند الغروب، وعندما حان وقت الصلاة وعليه ان يذهب إلى الحرم المطهر لأداء الصلاة. أخذ ماء القمقمة وغسل وجهه بكف من الماء وكذلك يده اليمنىٰ واليسرىٰ ثم مسح وأكمل الوضوء في وقت قصير.

مؤسس الحوزة العلمية في قم المرحوم الحاج الشيخ الحائري (أعلىٰ الله درجاته) كان قد جاء إلى المدرسة الفيضية، أخذ قليلاً من ماء حوضها وغسل وجهه وأراق كفاً على يده اليمنىٰ وكذلك اليسرىٰ ثم مسح رأسه وقدميه.

وقد رأيت بنفسي الإمام (قدس سره) يتوضأ هكذا أيضاً. والغسل أيضاً

يجب ان يكون كذلك خلال دقيقتين أو ثلاث يغسل رأسه ورقبته ويمينه ويساره، وان يتجاهل الخناس. وعلى قول أستاذنا الكبير المرحوم آية الله العظمىٰ البروجردي ـ رضوان الله عليه ـ.

لتقولوا (أصلي صلاة باطلة قربة إلى الله)[1] . وعندما يكون قد صلىٰ صلاة باطلة عدة أيام يفهم كم انه كان مجنوناً، ويشكر الله على خلاصه من حالة الجنون تلك، وكذلك عدة اغسال باطلة أو وضوءات أو صلوات كذلك وعندما يفهم بطلان صلاته. فيجب عليه أن لا يتأثر بالخناس، وألا يبالي بالطهارة.

وسوف لن يطول الوقت حتى يتحسن ويتضح انه ينال الثواب بمجرد عدم الاعتناء بالخناس.

هذه هي وظيفة الوسواسي، سواء كانت وسوسة فكرية أو وسوسة عملية، ولن يمر الوقت حتى يتحسن حاله.

أرجو الوسواسيين الفكريين والعمليين ان يعتنوا بكلام الله وان لا يقعوا تحت راية الشيطان، وان يلطموا الشيطان على فمه ويخالفوا قول ذلك الخناس.

---

(١) أقول: طبعاً هي لن تكون صلاة باطلة وإنما عبر الشيخ الحائري رحمه الله بذلك إشارة إلى صحة النية والصلاة حتى لو قال الإنسان في نفسه ذلك إذ النية أمر قهري إذ هي الدافع الواقعي الذي يحدو الإنسان للقيام بالعمل وهي لا تتأثر بما يخطره في باله أو يورده على لسانه.



الدرس العاشر

رذيلة التخيل

أقسام التخيل .

ألف ـ التخيلات الفردية .
١ ـ الوسوسة .
٢ ـ طول الأمل .
٣ ـ الخرافات .

رذيلة التخيل

وهي واحدة من الرذائل التي تسبب تعاسة الإنسان، ويسمىٰ الإنسان المصاب بهذه الرذيلة بالإنسان الخيالي، والتخيل والوهم تشارك رذيلة الجهل والوسوسة في كونها معاكسة لفضيلة اليقين. فعندما لا يترسخ الاعتقاد في القلب ويكون القلب مضطرباً تشرع قوة التخيل وتسبح الخيال بالعمل، وتسبب للإنسان سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

ـ أقسام التخيل:

التخيلات عن ثلاثة أقسام: الفردية، الاجتماعية، الدينية.

ألف ـ التخيلات الفردية:

١ ـ الوسوسة:

تشمل التخيلات الفردية أنواعاً كثيرة، وأحد تلك الأنواع هي الوسوسة الفكرية والوسوسة العملية التي تكلمنا حولها سابقاً والوسوسة في الحقيقة هي استخدام التخيل، الشيطان والنفس الأمارة تستغل قوة الخيال لدىٰ الإنسان وتبرز ذلك الاستخدام بصورة وسوسة فكرية أو عملية. ولأن

الموضوع طويل فسوف لن أتحدث أكثر مما سبق، ولكن ألفت الانتباه للخطر، ولي رجاء كذلك.

الخطر هو أن الوسوسة الفكرية والعملية إذا تمكنت منكم فسوف تأخذ منكم الدنيا والآخرة أيضاً، ومن المستبعد ان تكون دنيا الإنسان الوسواسي وآخرته عامرة.

وقد سبب الكثير من الوسوسة الفكرية والعملية وما زال يسبب التفرقة والتعاسة والمذلة.

والرجاء من الأشخاص المصابين بهذا الداء السرطاني هو ان يتخلصوا منه بالإهمال وعدم المبالاة، وحسب قول الإمام الصادق عليه السلام:

(لا تعتني بقول الشيطان، ولا تُعوِّد هذا الخبيث أن يقترن بك).

فإذا أهمله ولم يعمل بقوله، فربما لا تمضي ستة أشهر حتىٰ يرىٰ ان كلا الوسوستين الفكرية والعملية قد اختفتا من الوجود.

٢ ـ طول الأمل:

النوع الثاني من التخيل الفردي هو الأمل حيث يتحكم بسلوك الكثير من الأفراد الحالمين، الذي لا يكون فكرهم اعتيادياً حيث تتحكم الآمال والأماني وبلا مناسبة في قلوبهم.

هذه الأمال والأماني هي التي تحول الإنسان إلى إنسان خيالي.

وعلى قول القرآن الكريم ينسج حوله حتى يختنق ويصل ذلك اليوم الذي يرىٰ فيه سوء العاقبة ولا ينال فيه أياً من آماله وأمانيه.

والقرآن الكريم يتحدث عن هؤلاء بدرجة من الحدة بشكل يقول فيه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأن يترك هؤلاء وآمالهم الغير مجدية حتى تنكشف

التعاسة لحظة الموت:

﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾[1].

ذرهم وما اختاروا لأن الأشخاص بهذه الشاكلة لا يمكن هدايتهم، دعهم واعتقاداتهم الخرافية، ينسجون حولهم الآمال والأماني منشغلين بها فلا يفتحون عيونهم إلا فجأة ليشاهدوا لحظة الاحتضار.

القرآن الكريم في موضع آخر ينذر هؤلاء، وإنذاره أهم من هذا، فيقول: المؤمنون لهم نور يوم القيامة، سوف تنقلب صلاتهم وصومهم ووضوئهم وغُسلهم ومساعدتهم للناس إلى نور يسعىٰ بهم إلى الجنة.

أما أولئك الّذين انشغلوا بالأماني، ولم يفكروا بالآخرة فليس لهم نور وإنما يعيشون في الظلمة، يوم يقولون لأصحاب النور اصبروا وانتظرونا لنلتحق بكم لعلنا نستفيد من نوركم.

فيقول لهم المؤمنون إرجعوا إلى الدنيا كي تحصلوا على النور، ليس هذا موضع انتفاع أحد من نور الآخر، ليس هذا موضع تهيئة النور ثم يذكر القرآن ذهاب كل من أهل الجنة إلى جنتهم وأهل النار إلى النار والحوار الذي يحصل بينهم ويفهم من القرآن الكريم ان أهل الجنة وأهل النار يرىٰ بعضهم البعض الآخر ويكلم بعضهم البعض الآخر.

ومن تلك الحوارات ان أهل النار يخاطبون أهل الجنة، ألم نكن معكم؟ يعني كنا شيعة ومسلمين، فما الذي حدث لتكونوا من أهل الجنة ونحن من أهل النار.

فيجيبونهم: الفرق بيننا وبينكم انكم خدعتم أنفسكم، وتربصتم

(١) سورة الحجر، الآية: ٣.

وتحكم في قلوبكم الجهل والتردد والشك والتخيل.

وغرتكم الآمال، حتى حضركم الموت، فساقكم شيطانكم إلى النار، يقول القرآن الكريم:

﴿يومَ يقولُ المنافِقونَ والمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقتبس مِن نوركُم﴾[1].

يقولون اعطونا قليلاً من نوركم.

﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾.

فيقولون لهم عودوا إلى الدنيا وهيئوا لكم نوراً، هنا لا ينفعكم هذا الكلام.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُه فيه الرَّحمةُ وَظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العذابُ * يُنادُونَهُم أَلَم نكُن مَعَكُم قالُوا بلىٰ ولكنكُمْ فَتَنتُمْ أنفُسَكُمْ وَتَربصتُمْ وارتَبْتُم وغرتكُم الأَمانيُّ حتىٰ جاءَ أمرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم باللَّهِ الغُرورُ﴾[2].

هذه العبارة **﴿وغَرَّتكُمُ الأمانيُّ﴾** تخبرنا أن الآمال والأماني اللامعقولة خطرة وتحطم دنيا الإنسان وآخرته.

وحول هذا الموضوع ينقل عن النبي الأكرم ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام رواية بنص واحد وهي:

(ان أخوف ما أخاف عليكم إثنان: اتباع الهوىٰ وطول الأمل فأما اتباع الهوىٰ فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة).

قالوا: نخاف عليكم من شيئين الأول اتباع الهوىٰ والهوس.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٣ و ١٤.

والثاني الآمال والأماني اللامعقولة، فاتباع الهوىٰ يُعمي عن مشاهدة الحق، والأماني اللامعقولة تنسي ذكر الآخرة.

عادة الناس الغارقين في آمالهم وأمانيهم لا يفكرون بشيء من قبيل القبر، والقيامة وعالم البرزخ وان في الآخرة جنة ونار، ونفهم من الآية والرواية السابقة وأمثالها كثير، ان الآمال والأماني اللامناسبة خطر شديد على الإنسان.

ان الكثير من حالات ضعف الأعصاب والكثير من حالات الجنون تنشأ من هذا المنبع.

القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام تسمي هذه العلة بالآمال والأماني اللامعقولة.

ويسميها علماء النفس بالرغبات المكبوتة، ويقول هؤلاء إذا زادت الرغبات المكبوتة عند الإنسان فانه يتحول من حالة الضمير الحساس إلى حالة الضمير الميت، وعندها يصبح عنده عقدة الحقارة وعقدة الحقارة تسبب ضعف الأعصاب وتارة تسبب الجنون.

وضعف الأعصاب مرض العصر، فيكثر هذا المرض في المكان المتمدن أكثر ومن مظاهره قلة النوم وضيق الصدر والكآبة، والغم والتحسر، وكلما كان المكان أكثر تمدناً كلما انتشرت الآمال والأماني يعني الرغبات المكبوتة ـ.

ولهذا نلاحظ ان إحصائيات استهلاك المهدئات في أمريكا والمانيا وبريطانيا تبعث على القلق.

وفي إيران يكثر أيضاً وجود مثل هؤلاء الأشخاص الخياليين والنظريين

من ضعفاء الأعصاب.

وضعف الأعصاب هذا سبب لهؤلاء الكآبة والحزن والحسرة، وسبب لهم التشويش واضطراب الخاطر، وأخيراً يتحكم القلق الشديد بقلوب هؤلاء. وهو من آثار الآمال والأماني غير المعقولة.

أحد الأطباء النفسانيين يقول: أحضر أمامي للمعالجة امرأة مجنونة وبعد التحقيقات الكثيرة انتبهت إلى أن هذه المرأة وقبل زواجها كانت تأملُ أن تتزوج بشاب جميل، وان تلد أطفالاً جميلين، وأن يكونوا متمكنين مالياً، وان تسافر وتطوف البلدان مع هذا الزوج الوسيم والغني ومع أبنائها الوسيمين.

ولكن وخلاف هذه الآمال فقد تزوجت بشخص غير وسيم وفقير أيضاً ولم يرزقها الله أطفالاً وهذه العوامل أدت أخيراً إلى الجنون بعد الآلام والتخيلات الطويلة الأمد.

وفي مستشفىٰ الأمراض العصبية وعندما تتحدث مع الآخرين تقول لي زوج جميل، وطفل وطفلة جميلين. وعندي بيت كبير وأخيراً عندي ثروة كبيرة.

هذا الطبيب النفساني توصل إلى نتيجة ويوصي النساء الاقلاع عن الآمال والأماني التي لا محل لها، ويوصي بنسيان الماضي واغتنام الفرص الفعلية.

وذلك ما عبر عنه حضرة أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(ما فات مضىٰ وما سيأتيك فانِ فاغتنم الفُرصة بين العدمينِ).

يعني ان ما مضىٰ قد انقضى وما سيأتيك لم يأت بعد، فاغتنم الفرص

الحالية.

الآن ونحن في شهر رمضام المبارك، يجب أن نكون نشطين لأجل دنيانا وآخرتنا، وان لا نحزن بما جرىٰ يوم أمس، وأن لا نخاف مما سيجري غداً:

﴿ألا إنّ أولياء اللّهِ لا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾[1].

أولئك المؤمنون بالله لا يحزنون على ما مضى ولا يخافون مما سيأتي، ولا ينشغلون بالآمال والأماني، ويدعون الله ان يحفظهم بعيداً ودائماً عن الأماني، فاقرأوا أنتم تلك الأدعية أيضاً وخاصة دعاء أبو حمزة الثمالي فاقرأوه في أسحار شهر رمضان المبارك، حيث نقرأ في آخر هذا الدعاء:

(اللهم إني أسألُك إيماناً تباشِرُ بِه قلبي ويقينا صادقاً حتى أعلم انه لن يُصيبني إلا ما كتبت لي ورضني من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين».

يقول اللهم اعطني إيماناً، إيماناً راسخاً في قلبي وليس إيماناً استدلالياً فحسب وليس إيمان لقلقة، لكي أتمكن به من الخلاص من الأحزان والأماني، وليكن عندي يقين بأن ما تقسم لي في أيامي الآتية فهو ات.

تسعون بالمائة من حالات الجنون، ومائة بالمائة من حالات ضعف الأعصاب بسبب عدم الرضا بما قدر لهم. من هنا يأتي معنىٰ الزهد لو سألنا الناس من هو الزاهد، لقالوا: ذلك الذي استقر في زاوية ولا يملك شيئاً من حطام الدنيا، ولا يتغير حاله ازاء الدنيا مع أن هذا ليس زهداً، فقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام، يا علي ما الزهد فقال:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

«الزُهْد كُلُه بين كلمتين من القرآنِ قال اللّه سُبحانُه:

﴿لِكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم.﴾ »[1].

ويقول القرآن الكريم:

﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل ان نبرأها إن ذلك على اللّهِ يسيرٌ * لِكَي لا تأسَوا عَلىٰ ما فاتكمُ ولا تفرحُوا بِما آتاكُم﴾[2].

يعني ذلك ان أي شيء سوف يأتي، وأي شيء يوجد في الوقت الحاضر، وأي شيء قد مضىٰ كل ذلك مُقدر من قِبل الله، والقرآن يشير لذلك فيقول: قلنا لكم لا تحزنوا إذا ما فاتكم شيء، ولا تفرحوا أكثر مما ينبغي إذا ما أعطيناكم شيء، لأن الفرح الشديد يسبب التعاسة فيما بعد؛ وكذلك الحزن والغم يسبب التعاسة أيضاً، وبتعبير آخر فان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: الزهد ان لا يتعلق قلب الإنسان بشيء أو أحد سوىٰ الله.

فافعلوا شيئاً يجعل قلوبكم خالصة لله، فافعلوا شيئاً لكي لا تتعلق قلوبكم بشيء أو أحد غير الله، فإذا تعلقت قلوبكم بشيء فسوف يجلب زواله الحزن والحسرات لكم.

شوهد أحدهم وهو يبكي، فقالوا له لماذا تبكي؟ قال: لقد مات معشوقي. فقالوا: حسناً، هلا عشقت أحداً من لا يموت وهو الله.

إذن القسم الثاني من التخيل لا يقل عن الوسوسة الفكرية والعملية هو الغرق في الأحلام والآمال والأماني اللامعقولة، وتحكمها بقلب الإنسان.

---

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، حكمة ٤٣١.
(٢) سورة الحديد، الآيات: ٢٢ و ٢٣.

٣ ـ الخرافات:

النوع الثالث من التخيلات الفردية، هو الخرافات، ومعنىٰ الخرافات الشيء الذي لا يؤيده العقل أو الشرع. والخرافيون كثيرون وخاصة في الوسط النسوي واللائي يتسمن بالتعاسة وسوء الحال.

والخرافات أشبه بالشوكة التي تؤذي الروح كما تؤذي الشوكة اليد وتعيقها عن العمل، فالخرافة شوكة الروح التي لا تدعها سالمة ولا تدع الفكر سالماً. وأخيراً تبقىٰ الروح ليل نهار معذبة الخاطر.

ومن مصاديق الخرافة عملية التغريب التي سادت أيام النظام الطاغوتي والتي أخضعنا لها جميعاً وللأسف، ولا تزال بعض مظاهرها ملموسة لدى البعض، حيث يميلون لكل ما هو لدى الغرب، اللباس الغربي، واللغة الغربية، التصرفات الغربية، والمائدة الغربية والمأكولات والمشروبات الغربية، يعني الرغبة الصحيحة لتقليد المرأة الانكليزية في القول والفعل. أو الرجل الفرنسي كذلك. وواضح ان من الأهداف الاستعمارية هو ان نقلدهم لنكون مثلهم.

الغربيون عندما يبسطون نفوذهم على بلد لا يكتفون بالاستعمار الاقتصادي ونهب ثروة ذلك البلد، بل يهتمون بنقل الثقافة الغربية التي يصفونها بالعلمية، ولكن ذلك العلم لا ينفع شيئاً، ولا يساعد على الابتكار واستخدامه محدود ولا يفتح أفاقاً للعلم. والأهم هو الاستعمار الثقافي.

يعني ان دولة استعمارية مثل بريطانيا عندما تهيمن على الهند وإيران، أو مثل أمريكا عندما تتحكم في الكثير من البلدان الضعيفة، فان أحد الأعمال التي تقوم بها هو نقل وتزريق آدابها وأعرافها وتقاليدها إلى شعوب الدول المستضعفة.

هذا هو عمل الشيطان الأكبر، عمل الاستكبار العالمي، مثلاً أيام الشاه كانت نعمة تغيير الحرف، حيث سبق ذلك بعدة شهور مساع لكتابة القرآن الكريم للغربيين بالخط اللاتيني وقد أحبط ذلك المسعىٰ بعض المسؤولين، وكانت رغبتهم تبني استخدام الخط اللاتيني هنا.

المستعمرون يغيّرون التقويم المتبع لدىٰ الكثير من الشعوب، فالآن جميع الدول الإسلامية تتبع التقويم الميلادي عدا إيران فقط.

الشاه المقبور غير التاريخ الإسلامي واستبدله بالتاريخ الشاهنشاهي. ليس التقويم فقط هو الذي يتغير وإنما يجلبون معهم كل تقاليدهم وعاداتهم وهذا عمل الشياطين الكبار ويحققون بذلك نتائج مهمة.

والخلاصة فان اتباع عادات وأعراف البلدان الأُخرىٰ يسمىٰ بالخرافات. وهو أشد أنواع الخرافات ضرراً على دنيا الإنسان وآخرته.

ولآن هذا البحث يحتاج إلى التفصيل، فسوف نتناوله بالتوضيح يوم غدٍ إن شاء الله.

الدرس الحادي عشر

الخرافات

- تتمة البحث.
- الاقتباس والتقليد.
- الملاحظة والمحاكاة.

٤ ـ العشق المجازي.

- اضرار العشق المجازي.
- معالجة الآمال والأماني.
- معالجة الخرافات.
- معالجة العشق المجازي.

تتمة البحث

البحث السابق كان حول الخرافات، هذه الرذيلة التي لو تحكمت بأحد لأخرجته من سعادة الدنيا والآخرة، ولعله يجب القول بأنها تجعل ذلك الإنسان مجنوناً، لأن الخرافة تعني القبول بالشيء بلا برهان ولا دليل، والإنسان العاقل هو الذي لا يقبل بالشيء إلا مع الدليل والبرهان ولا يرفض الشيء إلا بدليل وبرهان، يقول القرآن الكريم:

﴿فَبَشِّر عِبادِ * الَّذِين يَستَمِعُون القولَ فيتبعون أَحَسَنهُ أولِئكَ الَّذِين هداهُمُ اللَّهُ وَأولِئكَ هُم أُوْلوا الأَلباب﴾[1] .

العقلاء أولئك الذين يميزون بين الحسن والسيّىء، فيتبعون القول الحسن ويتركون القول السيّىء.

ـ الاقتباس والتقليد:

تستعمل كلمة الاقتباس للدلالة على تقبل الشيء مع الدليل والبرهان ورفض الشيء بالدليل والبرهان، وعدا هذا الطريق يوجد طريقين لتقبل

(١) سورة الزمر، الآية: ١٧ و ١٨.

الإشياء.

الأول: التقليد، وهو تقبل الشيء من أحد ما مع الانتباه والوعي ولكن بدون المطالبة بالدليل والبرهان، والتقليد طريق خاطىء فيما عدا المجال الذي لا يتسعه فكر الإنسان.

حيث لا يكون بوسع الإنسان متابعة الدليل والبرهان مثل حالة تقليد المرجع، لأنه ليس بإمكان الجميع استخراج أحكام الفقه من مصادرها بالدليل والبرهان، ولهذا السبب لا يجوز للمجتهد التقليد.

أما في مجال الأمور العرفية والعادية فان فكر الإنسان يستطيع استيعابها وتميز الصالح عن الطالح منها، فيعدُ التقليد خطأً، والقرآن الكريم يذم هذه الطريقة، والقول عن الأشخاص الخرافيين من عبدة الأصنام إنهم حين يدعون إلى ترك عبادة الأصنام. يقولون:

﴿إنا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وَإنّا على آثارهم مقتدُونَ﴾[1] .

يعني لقد عمل بذلك آباءنا ونحن نعمل على طريقتهم. يعني نقلد الآباء والأمهات ونعبد الأصنام.

ـ الملاحظة والمحاكاة:

الثاني: الملاحظة والمحاكاة. وهي نفس التقليد ولكن بدون الوعي والانتباه يعني تقبل الشيء من أي كان بلا استدلال وبدون انتباه ولا التفات، وهو واضح في سلوك الأطفال، ومن عنايات الله والطافه بهذا الإنسان، انه وهب الأطفال موهبة الملاحظة والمحاكاة. يعني تبعية وطاعة المربي مائة بالمائة حتى يتمكن المربي أو الأب أو الأم أو المعلم من تربية الطفل.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

لقد ذم القرآن الكريم هذا الأسلوب في التلقي ومن الواضح انه ليس طريق الإنسان العاقل. الخرافات تعني التقليد والتقبل من الآخرين بغير التفات أو بالتفات ولكن بلا استدلال، ومن الواضح خطأ هذا الأسلوب لإنسان عاقل ولإنسان مسلم. ولكن ومع الأسف فان أكثر الناس خرافيون حتى في تلك البلدان التي قطع فيها العلم درجات الرقي فان الخرافات تتحكم في أعرافها وسننها الاجتماعية، ينقل ان علىٰ رأس كل زقاق في بريطانيا تجلس امرأة تقرأ الفال بالحمص وحولها جمع من الناس.

أو في أمريكا مع هذا الترقي العلمي فهم لا يستعملون الرقم ثلاثة عشر ويعتقدون انه من النحس، وعندما تشاد بناية من عشرين طبقة ينتقلون من الرقم إثنا عشر إلى الرقم أربعة عشر، وكما كانت أيام الشاه أرقام البيوت بدل ١٣ كانت تكتب ١٢+١ وتنتشر أمثال هذه الخرافات في كل مكان، وتوجد بكثرة في أمريكا وبريطانيا، كما توجد بكثرة في إيران، ولكوننا مسلمين فيجب ان نتبع العقل، وما أراده القرآن بأن لا نكون خرافيين.

ومع الأسف كلما كان الشخص تقدمياً أكثر كلما كانت خرافاته أكثر، وتقبل البلدان الضعيفة تقليد المستعمرين وخاصة المسلمين هو في المحاكاة وأخذهم عادات وتقاليد أولئك هو على الأقل من باب التقليد.

فيقلدون أولئك في آداب التعارف والمجاملة، استخدام كلمة (مرسي) يعتبرونها من الثقافة، طريقة الجلوس والنوم والمشية والأزياء، حتى وصل الأمر ان يسمي الرجل ابنه وابنته باسماء أولئك بدل تسميتهم باسماء الأئمة الطاهرين، ويعتقد ان اختيار الأسماء الأجنبية من الثقافة والتطور. ولكن الحقيقة أن ذلك ليس إلا خرافة، ويعني تقليد الغرب والهزيمة أمام القرب.

النبي الأكرم ﷺ يؤكد بقوله (من تشبه بقوم فهو منهم).

إذا تشبه أحد بالكفار في الاسم والتعامل واللباس فهو في الواقع منهم وليس من المسلمين، وفي رواية أُخرىٰ يقول: إذا أكل المسلم كما يأكل الكافر، وشرب المسلم كما يشرب الكافر وأصبح يغدو ويروح كالكافر، وتعلم آدابهم وسننهم، فهو يوم القيامة معهم يعني كما يذهب أولئك إلى جهنم فهو يذهب معهم.

وموضوع بحثي هو أن نتجنب التشبه بالكفار، فلا نكون أمثالهم في الزي والغذاء، وان ننتخب لأبنائنا اسماً إسلامياً، وان نقول بدل كلمة (مرسي) شكراً أو ممنون، وان لا ننتظر مجيء اشكال الأزياء من أوروبا، والحمد لله انه قد بذلت الجمهورية الإسلامية الكثير من هذا.

في زمان الطاغوت ولأن الغربيين يأكلون الضفادع والسرطان، فان المثقفين والمتنورين شرعوا أيضاً بأكل ذلك، وكتب لنا البعض ان الكثير من فنادق العاصمة تُعدُّ مثل هذه المأكولات يعني الضفادع والسرطان، وقد يصل الحال بالإنسان إذا كان خرافياً إلى هذا المستوىٰ فيأكل الضفادع بعنوان الثقافة والتجديد، ويدفع الكثير من المال ويفتخر بأنه تناول تلك الأطعمة وانه أكل الضفدع قلنا الخرافات لها مصاديق كثيرة، كالمتنورين ودعاة التمدن كما بينا، ولكن في أوساط المتدينين هناك خرافة من نوع آخر، كأن يرىٰ حلماً من أول الليل إلى الصباح ويبحث عمن يُعبر له ذلك الحلم، أو أن يتعرض إلى غم وحسرة ما، أو ان تتعسر بعض أموره فيذهب إلى هنا وهناك بحثاً عمن يكشف له عن فأله، أو يبحث عن شخص مُجرب بكتب الأدعية والعوذات ليكتب له دعاءً خاصاً.

المسلم ينبغي ان لا يكون أسير الفأل، وان لا يقع في شباك المحتالين

والكـذابيـن، وان لا يكـون أسيـر المعبـريـن، فكـل ذلـك نقـص في المسلـم المسلم ينطق بدليل ويسمع بدليل ويمشي بدليل، ويناصر بدليل، ويتراجع بدليل، وغير ذلك.

ولا يمكـن تسميـة الشخص بـأنه مسلـم، إذا سلك غيـر هـذا الطـريق، وأصبح أسير الإحساسات والخرافات والتخيلات.

هـذا جـانـب ممـا يـؤثـر فيـه التخيـل على الإنسـان فيجعـل منه شخصـاً خرافياً.

٤ ـ العشق المجازي:

ما هو أسوأ من الخرافات والآمال والأماني، وأسوأ من الوسوسة التي جرىٰ الحديث عنها، نوع آخر من التخيل ـ والعياذ بالله إذا ما تحكم بأحد ما ـ وهذا التخيل هو (العشق المجازي) الذي يبتلى به الإنسان أحياناً وخاصة الشباب، وبواسطة الاختلاط اللا صحيح والنظرات الخاطئة، والكلام المثير حيث يحرك هذا قوة كامنة في جسم الشاب ويبتلى بالعشق، وفي الحقيقة يجب ان نقول ان الشيطان هو الذي يسيطر على ذلك الشاب بواسطة التخيل وباسم العشق.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ما العشق؟ فقال عندما يكون القلب خالياً من حب الله، يُحل العشق المجازي فيه. فعندما يضعف ارتباط الإنسان بالله. وعندما تنقطع علاقة الإنسان بالله. فان الشيطان وبواسطة قوة التخيل يدخل قلب الإنسان عن طريق قوة جذب معينة والأمر يبدأ أولاً بشكل مودة، تصل بعد مدة قصيرة إلى العشق الذي يعد بلاءً خطراً بلاءً يسقط عفة امرأة متـزوجـة، ويسقـط ديـن رجـل متزوج، وأخيـراً يجعـل الشبـاب فـي مـأزق، ويذددل الفتاة العفيفة والشريفة.

مسألة العشق مسألة حساسة جداً وخطرة جداً، وعلى الشباب ان يكونوا يقظين إزاء هذه المسألة التي تنشأ وتتسع بتأثير الشهوة ونظرة السوء. وعادة يكون للعشق المجازي منشأ جنسي وهو ينشأ شيئاً فشيئاً من الاختلاط بين شابين ومن الحديث الذي يدور بين الرجل والمرأة من الجلوس معاً والوقوف معاً وكثرة تبادل النظرات المشوبة بالرغبة الجنسية حتىٰ تبرز حالة العشق يوماً بعد يوم، كما تنشأ حالة الوسوسة وتستحكم.

وقد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى مواقف دقيقة، مثلاً شاب عادي وفتاة عادية، لكنه يراها على جمال لا نظير له، ومنطقها عادي ولكنه يشعر ان منطقها موسيقي ولا نظير له، وكذلك مشيها وجلوسها، وشربها، حتى ولو كان عادياً أو سيئاً ولكن ذلك يراه بنظره على درجة عالية من الجمال والكمال والجاذبية.

الشيء الذي أود ان ألفت انتباه الشباب إليه ان الكثير من حالات الزواج التي قامت على العشق قد انتهت إلى الفرقة والطلاق وبنسبة مرتفعة تصل إلى تسعين بالمائة، وإذا لم يحصل الطلاق فان الأعراض والصدود تنشأ بين الزوجين، يعني ان العشق ذو نتائج عكسية.

فعندما يحصل الارتباط بين الاثنين بالزواج يبدأ رد فعله العكسي بالظهور بعد سنة بشكل نفور واعراض وينشأ الندم على ذلك الزواج وتكون العاقبة أما الطلاق وأما تحمل المشقة والعذاب إلى ساعة الموت.

ـ اضرار العشق المجازي:

هناك خطر واضح سواء للرجال أو النساء! وهو والعياذ بالله، إذا ما أصيبت المرأة المتزوجة بهذه الحالة وكذلك الرجل المتزوج، فان الأمر سيؤول حتماً إلى الفضيحة، وكأن الأثر الوضعي المترتب على العشق هو

إلحاق الفضيحة ممن يطلبه من الرجال والنساء، إلحاق الفضيحة بكلا الطائفتين، ويسبب الفضيحة حتى لغير المتزوجين، فالعشق أساساً نتيجة الفضيحة.

أحد الذنوب الذي أثره الوضعي الفضيحة هو زنا المرأة المتزوجة والرجل المتزوج فعدا عن كون ذنبهم من الكبائر فان أثره في الدنيا هو الافتضاح.

والشيء الآخر الذي أثره الوضعي الفضيحة هو العشق خصوصاً للمتزوجين. والنكتة الأُخرىٰ هي أن العشق يؤدي إلى الاضطراب، وتعطيل الإنسان عن العمل ويسبب تشويش القلب واضطراب الخاطر، وينسىٰ الإنسان ربه.

ويهيّيء الإنسان لأتيان الذنوب، وإذا لم يترك الدين دفعة واحدة يصير على الأقل إنساناً فاسقاً وفاجراً.

وكذلك فان العشق يعجل بهرم الإنسان.

هذا كله في الدنيا أما في الآخرة فان تلك الفتاة، وتلك المرأة وذلك الرجل لن يروا خيراً، وإذا ما غض النظر عن كل هذا، فان المرأة المتزوجة والرجل المتزوج سيعدون عديمي الوفاء لا سمح الله.

وعدم الوفاء والخيانة بحد ذاتها من الرذائل الخطيرة.

ودواء العشق المجازي هو عدم الاعتناء به حتىٰ يزول ويختفي.

ـ معالجة الآمال والأماني:

أما كيف نتخلص من الآمال والأماني لكي لا نكون أُناساً حالمين، فيجب ان نفكر كثيراً بالقبر والقيامة، يجب ان يفكر الإنسان لو كان رحيله

عن الدنيا هذا اليوم أو هذه الليلة وان هذه الليلة هي الليلة الأولىٰ في قبره فما الذي سيحصل.

في إحدىٰ الروايات، أخبروا الرسول الأكرم ﷺ ان فلاناً اقترض لعام، فتعجب النبي من ذلك وقال: عجباً من إنسان آملٍ فلو مات الليلة ماذا يفعل؟

إذا فكر الإنسان قليلاً بالقبر والبرزخ والقيامة والجنة والنار ولو بمقدار لحظة أو أكثر كل يوم فان عادة الآمال والأماني ستختفي منه بالتدريج.

طبعاً في الدرس السابق ذكرنا في علاجها بأن الآمال والأماني تختفي من فكر الإنسان إذا ما آمن بالقدر الالهي، وان الله رؤوف رحيم بحاله، عالم بحاله وانه حكيم لا يقوم بعمل في غير محله وانه كريم يعطي بما يناسب لياقة الإنسان واستعداده ويعطي بما يناسب صلاحه فسوف تزول من ذهنه الآمال والأماني، سواء أراد ذلك أم لم يرد وسوف يزول القلق واضطراب الخاطر وتشوش القلب حول المستقبل.

ولذا نبهت إلى قراءة آخر دعاء أبي حمزة الثمالي الذي فيه:

«اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً صادقاً حتى اعلم انه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين».

إذا أردت المعالجة القطعية، المعالجة التي تستأصل جدور الآمال والأماني يجب التحلي بالايمان العاطفي والقلبي، وكيف يحصل الايمان القلبي والعاطفي؟

لقد تحدثنا عن ذلك قبلاً وقلنا بأن الإيمان يثبت ويترسخ بالقلب كلما

اشتدت رابطة المرء بالله، واهتم بأداء الواجبات، خاصة الحجاب بالنسبة للنساء واهتم بالمستحبات، خاصة مساعدة خلق الله وإعانتهم، وكذلك أداء صلاة الليل، فان ذلك يساعد في هذا الأمر.

وان تؤدي الزوجة حق زوجها وترعىٰ أطفالها، وان يؤدي الزوج حقوق الزوجية ويرعىٰ أهل بيته.

واجتناب الذنوب وخاصة حق الناس واجتناب كبائر الذنوب. عندما يكون الإنسان كذلك، يترسخ الايمان في قلبه قليلاً قليلاً، ويرضىٰ بما قدر الله له، ويرىٰ ان الخير والصلاح فيما يحصل، فيصل إلى مقام عالٍ يكون فيه قانعاً كما أجابت الحوراء زينب عليها السلام ابن زياد عندما سألها؟ كيف رأيت صنع الله بكم؟ فقالت: (ما رأيت إلاّ جميلاً).

يعني لم أرَ من الله إلا الجميل.

الإنسان وبعد توكله على الله، يجب ان يتقدم بنشاط، مستفيداً من عقله، ومن المشورة، وأما إذا لم يوفق ولم يصل إلى ما يريد مع المشورة والعقل والعمل فيجب ان يكون متيقناً ان المقدر له هو ذاك الذي وصل إليه.

بعض الفقراء والقاجرين من حيث إمكاناتهم المالية ليتفكروا انهم لو كانوا بحال جيدة مالياً، ربما ذهبوا من أول ليلة للجلوس على مائدة القمار وحتى الصباح.

أو الجلوس أمام جهاز الفيديو ليشاهدوا أسوأ الأفلام.

فهل كانوا يرضون ان تكون إمكاناتهم المالية جيدة ولكن زوجتهم سافرة وتطوف في الشارع بلا حجاب؟

وماذا يفعلون لو كانت تقوم عندهم الاجتماعات المختلطة بين الرجال

والنساء وبلا حجاب إلى الصباح.

فهل الفقر أفضل؟ أم هذه النكبة؟

يجب أن يعلم الإنسان إذا ما عجز عقله ومشورته عن الوصول إلى ما يريد، ان ذلك صلاح له ومقدر له مائة بالمائة.

وعندها سوف لن تبقىٰ الآمال والأماني.

ـ معالجة الخرافات:

الخرافات تعالج أيضاً باستعمال الفكر، المسلم يجب ان يكون من أهل التأمل والتفكير، يجلس ويفكر بينه وبين نفسه وينظر أيهما أفضل كلمة (مرسي) أو كلمة (شكراً)؟ أم هل ان السفور أفضل أم الحجاب الذي يمنح المرأة شخصية معينة؟ وهل طريقة الغرب أفضل أم نهج النبي الأكرم ﷺ؟ وهل ان اسم زهراء أفضل أم الاسماء الأجنبية؟ وهل اسم صديقة أفضل أم الاسم الانكليزي أو الامريكي؟ ليفكر قليلاً، ومن المسلم ان التفكير هو الذي ينقذ من الخرافات.

أولئك الذين يجرون خلف قارىء الطالع ومعبري الأحلام عليهم ان يفكروا قليلاً، ويسمعوا كلام الآخرين قليلاً، ويستشيروا قليلاً، وبالتفكر والمشورة والعقل يبعدوا الخرافة عن أنفسهم.

إذا كان الإنسان من أهل التفكير فلا يكون خرافياً، وعدم الاستفادة من التفكير هو الذي يفسح المجال أمام الخرافة، وإذا طُبق شعار الإسلام (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) فلن يلجأ أحد نحو الخرافة.

وعلى سبيل المثال ما هو الاشكال الذي دعاك إلى ترك اسم حسن وحسين واتخاذ اسم سُهراب واسفنديار أو أي اسم أجنبي مكانه.

لذا ورد في الروايات أن الأبناء يشكون آباءهم يوم القيامة لأنهم اختاروا لهم اسماءً قبيحة.

والفرق واضح يوم القيامة عندما ينادىٰ باسم حسين وينادىٰ باسم أحد الكفار أو المشركين حيث يبعث على الخجل عند نفس صاحب الاسم.

فإذا أردت ان لا تكون خرافياً ففكر بهذا، وشاور الآخرين وتمسك بالمنبر والمحراب وراجع العلماء.

إذ أن أولئك الذين يرتبطون بالعلماء، لهم تفكيرهم ولهم تأملهم ألتمس الجميع وخاصة النساء ان لا يكن حساسات ولا يكن خرافيات، وان لا يسمحن للشيطان ان يستفيد من قوة التخيل لديهن، اضربوا الشيطان واطردوه بعيداً عنكم، وضعوا قوة الخيال بيد العقل وضعوا الإحساسات بيد العقل لكي يستثمرها بصورة نافعة، وإذا أخضعنا الإحساسات وقوة التخيل للعقل فتلك نعمة كبيرة.

أما إذا سُلمت الإحساسات وقوة التخيل بيد النفس الأمارة أو بيد الشيطان فيشبه ذلك وضع سكين بيد شخص إحترف الإجرام، أو وضع سيف بيد سكران أهوج.

ـ معالجة العشق المجازي:

أما علاج العشق فان الإسلام أمر بكف النظر، وألا يكلم الرجل المرأة، إلا بمقدار الضرورة، وإلا يجتمعان في خلوة أصلاً وأبداً، وان يمتنعا عن المزاح مع بعضهما ويقول انه إذا ما حصل مزاح بين رجل وامرأة مشوب بشهوة وماتا بلا توبة فسيعذبان بجهنم مائة عام، خاصة المرأة المحصنة والرجل المحصن.

وان يحتاطا من المماسة ويمتنعا عن تبادل الرسائل.

ورد في الروايات ان إذا سارت المرأة أمامك فلا تنظرها من الخلف لترىٰ طولها وقامتها لأن في ذلك خطر كبير.

وكذلك ورد في الروايات انه أيسر على الإنسان ان يضع يده في فم الأسد من ان ينظر طول وقامة امرأة أجنبية.

فالإسلام يدفع ويمنع ان تتحرك الشهوة لتصل إلى الموقف الحرج والدقيق إذاً يجب على الشباب خاصة، رجالاً ونساءً تجنب الاحتكاك والتماس.

وعندما يلاحظ إثنان من الشباب من جنسين مختلفين أو من جنس واحد، ان هناك إفراطاً في علاقتهما، فليتحكموا بذلك ولا يسمحوا للإفراط ان يأخد مداه.

والإفراط في العلاقة شيء خاطىء حتى بين الأم وابنها والأخت وأخيها فضلاً عن غير المحارم من جنس واحد أو من جنسين مختلفين

لا أدري أصحيح أم لا ان بعض علماء النفس يقولون: ان العشق قوة جذب تأتي عن طريق العين.

يعني من علل تحريم النظرة السيئة هو هذا، فعندما يقع نظر الرجل في عين المرأة تتحرك قوة جذب من عينه إلى بدنها. ومن هنا ينشأ أحد طرق العشق.

ولكن لو ابتلىٰ أحد بذلك فما العمل؟ العمل ما ذكره العامة بقولهم المشهور (انسىَ العشق)، يعني يجب قطع العلاقة بصورة تامة فلا تتكلم معها ولا تنظر لصورتها ولا تتصورها، وقد يكون هذا في البداية شاقاً، ولكن

(لا أدري) و (لا استطيع) و (لا يمكن) ليست لها معنىً في قاموس الإنسان، فإذا أراد فسوف (يدري) و (يستطيع) و (يمكن)، لقد استخدم الكثيرون هذا الطريق وقد توصلوا به إلى النتيجة، أوله مشقة ولكن لن يطول الوقت حتىٰ تختفي هذه المودة.

العشق أشبه بالنار، فتصور المعشوق، وصورة المعشوق وتبادل النظر والرسائل، تزيد في لهيبه.

والنار تنطفىء إذا لم يوضع تحتها الحطب، ويشتد لهيبها إذا أججت بالنفخ فيها أو القاء الوقود عليها.

نار العشق أسوأ من النار المعتادة، لأن النار المعتادة تحرق الإنسان فقط، أما نار العشق فانها تحرق دنيا وآخرة العاشق كما تحرق عشيرته أيضاً.

لذا أرجو من الشباب ان يتجنبوا هذا الداء الذي ليس له دواء، ان يتجنبوا هذه النار التي تحرق كل شيء، وان لا يقعوا بشراكه فجأة، وإذا ما وقعوا في حبائله، فلا يزيدوا النار حطباً، لأن تأججها خطر عظيم.

الدرس الثاني عشر

ب ـ التخيل الاجتماعي
سوء الظن والنظرة السلبية

- سوء الظن والنظرة السلبية تجاه الناس.
- سوء الظن.
- النظرة السلبية.

بـ ـ التخيل الاجتماعي: سوء الظن والنظرة السلبية

بحثنا لهذا اليوم حول التخيلات والأوهام والوسوسة الاجتماعية والتخيلات الاجتماعية تنقسم إلى قسمين:

الأول: سوء الظن بالآخرين.

الثاني: النظرة السلبية تجاه الناس حيث لا يرىٰ الإنسان الجوانب الإيجابية لدىٰ الآخرين وإنما ينظر فقط للجوانب السلبية فيهم، أي ان هذا الشخص مصاب بحالة الذباب فعندما يدخل بستان ورد وزهور لا يستقر عليها وإنما يبحث عن أماكن القذارة فيه.

وكلا البحثين مهم وفي مجتمعنا الكثير من الأشخاص المصابين بسوء الظن والمصابين بالنظرة السلبية.

ـ سوء الظن والنظرة السلبية تجاه الناس:

قبل الشروع بالبحث أود التذكير بأن سوء الظن بالآخرين، والنظرة

السلبية لهم، وتجاهل الإيجابيات لديهم، يعد مرتبة من حق الناس لا من حق الله، وحق الناس له مراتبه، منها ما يتعلق بأقوال الناس، فلا يكون من المبالين بذلك مثلاً.

ومنها ما يتعلق باعراض الناس وشرفهم واحترامهم، ومن المعلوم ان عدم رعاية كرامة الناس وعدم رعاية ذات الناس، جريمتها ستكون أكبر، من هذه الناحية فان سوء الظن بالآخرين، وسوء النظرة للآخرين وتجاهل الجوانب الإيجابية في الفرد والمجتمع، والتشبث بالحالات المعاكسة السلبية والبناء عليها في التعامل، كل ذلك يعتبر من حق الناس وإثمه كبير جداً.

أصحاب القلوب لهم أقوال حول حق الناس، تلفت الإنسان إلى أن الذي يتجاهل حق الناس فلن يحقق أي شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الفقيه الكبير، المرحوم آية الله العظمىٰ دُرچه أي كان أستاذ أستاذنا الكبير آية الله العظمىٰ البروجردي، كان قد دعاه أحد الأشخاص لتناول طعام العشاء، فلبىٰ الدعوة وذهب لتناول العشاء في دار ذلك الشخص وعندما أراد الخروج، وقف أمامه صاحب المنزل وطلب منه ان يمضي على سند معاملة، وفجأة تغير لون درچه أي. لأنه لاحظ شبهة الرشوة في ذلك العمل، يعني ان ذلك العشاء كان مقابل الإمضاء، وشرع بدنه يرتعش، وكان يقول لصاحب المنزل مع حالة من التضرع، ماذا فعلت لك لكي تسقيني سم الأفعىٰ هذا؟ ثم جاء وتوسط حديقة المنزل ووضع أصبعه في بلعومه وتقيأ ما كان قد تناوله.

ونقل البعض ان شخصاً كان يملك أرضاً زراعية وبقرة يستفيد من حليبها، وفي أحد الأيام انقطع رباطها وذهبت إلى أرض الناس تأكل من

علفهم ثم عادت إلى أرض صاحبها تحمل في أرجلها طين أرض الناس. فتألم هذا الشخص وباع البقرة وقال البقرة التي نبت لحمها من علف الناس لا ينفعني حليبها.

ثم باع الأرض وقال: الأرض التي فيها تراب مغصوب لا ينفعني زرعها.

وطبعاً هضم مثل هذه التصرفات صعب من قبلنا، ولكنه سهل على أهل القلوب.

أنا لا أنسىٰ ذلك اليوم الذي جاء فيه أستاذنا الكبير. مؤسس الجمهورية الإسلامية حضرة الإمام الراحل (رضوان الله تعالىٰ عليه) إلى مسجد السلماسي في مدينة قم لإلقاء درسه، فتسارعت أنفاسه وتعثر لسانه ولم يستطع عرض الدرس، وكان قد أصيب بالحمىٰ فعاد إلى منزله ولازمته الحمىٰ ثلاثة أيام لم يتمكن خلالها من إلقاء الدرس. ذلك لأنه سمع ان أحد طلابه لجأ إلى اغتياب أحد المراجع ليفيد الإمام بذلك.

ثم وجه إلينا نصيحة حادة. يعني مثل حضرة الإمام (قده) يرتجف عندما يسمع اسم الغيبة ويتغير لونه، ذلك لأن رواياتنا وقرآننا قد ركز على حق الناس، ولأنه يجب علينا يوم القيامة ان نجتاز مضايق ومنعطفات وانحناءات عسرة، ومنها المرصاد الذي يتحدث عنه القرآن:

﴿ان ربك لبالمرصاد﴾.

حيث يسأل الله هناك عن حق الناس، وقد أقسم بعزته وجلاله ان لا يعفو عن حق الناس.

أحد رفقائي ذكر لي بأن أحد الأشخاص كان مستأجراً في الأراضي

التابعة لأوقاف حرم الإمام الرضا عليه السلام ، وكان يذهب كل سنة مرة إلى مدينة مشهد لدفع الإيجار وللزيارة أيضاً، وكان لهذا الشخص كلبة تفيده في الحراسة، وفي سنة ولدت تلك الكلبة وانشغلت بصغارها ولم ترع الحراسة جيداً، فحمل الرجل صغارها إلى قرية أُخرىٰ، وبقيت الكلبة منطوية على نفسها عدداً من الأيام وتئن، حتىٰ عادت إلى حالتها الأولىٰ شيئاً فشيئاً.

يقول هذا الشخص: عندما ذهب إلى الزيارة في ذلك العام وبعد زيارة حضرة الإمام، أخذتني غفوة ورأيت في المنام وكأني تشرفت بزيارة الحرم ورأيت الإمام الرضا عليه السلام ، وعندما تقدمت وسلمت ولكن الإمام أشاح بوجهه عني فكررت السلام مرة ثانية وثالثة وقلت: سيدي أنا من رعيتكم ولم أخن، فلماذا أنت لست براضٍ عني؟

فأجابني حضرته وبحدة: أنين ذلك الكلب آلم قلبي.

ان الذي يؤلم قلب صاحب الزمان عليه السلام ، آهات الآخرين، حق الناس. حتىٰ ولو كان تفريقاً بين كلبٍ وصغاره.

شخص من أصحاب القلوب كان يقول مررت من مكان في أحد الأيام وشاهدت صغاراً يلعبون بعصفورة صغيرة، فتجاهلت ذلك ومررت، إلى ان ماتت العصفورة بيد الصغار، وفي غد ذلك اليوم حصلت لي حالة قبض وهي في اصطلاح العرفانيين حالة من عدم التوفيق، فلم يبق عندي توجه لأداء صلاة الليل، ولا لأداء الصلاة أول وقتها، وبشكل عام اقترنت علاقتي بالله بعدم التوجه، فتعجبت من ظهور تلك الحال، فرأيت في المنام من يقول لي: (شكت عنك عصفورةٌ في الحضرة) اشتكت عليك أمام الله عصفورة.

فتألمت لذلك وتبت إلى الله وتضرعت وتوسلت بأهل البيت عليهم السلام وبسبب الغم والضيق ذهبت يوماً إلى الصحراء، وفجأة رأيت عصفورة في فم

أفعىٰ، فرفعت العصا، فألقت الأفعىٰ العصفورة من فمها وهربت. فأخذت العصفورة ولاطفتها وأعدتها إلى أمها.

فرأيت في الليل مناماً قيل لي فيه «شَكَرَتْ عنك عصفورة في الحضرة».

وقال: فذهب عني حال عدم الموفقية.

إثم الإنسان يسقط الإنسان، أياً كان ذلك الإثم صغيراً، أو كبيراً وإذا لم يجبر الإنسان ذلك بالتوبة، فان مصيره الضياع(حق الناس) مشكلة صعبة.

توفي عبد الرحمن بن سيابة. أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، فجمع أصدقاءه مالاً واعطوه آنية بعنوان أمانة لكي يعمل به، وقالوا له هذا قرض لك فاشتغل به فإذا حصل لك رأس مال أعد القرض.

وقد بارك الله في عمله واستطاع إعادة القرض والذهاب إلى مكة في عام واحد، وكان ذهابه لمكة كي يتمكن من زيارة الإمام عليه السلام.

يقول ذهبت إلى مكة وعدت إلى المدينة لأزور الإمام عليه السلام، وقد كنت وحدي والإمام عليه السلام.

وقد علم الإمام عليه السلام بموت أبي وتأثر لذلك، ثم قال لي ماذا تفعل؟ فعرضتُ عليه الأمر وقبل أن أكمل كلامي قال: ماذا فعلت بمال الناس؟ فقلت: سيدي أعدت المال أولاً، وحججت وجئت لزيارتكم.

فتبسم الإمام عليه السلام وقال: بارك الله. ثم قال انتبه لحق الناس ما دمت شريكاً لهم في أموالهم.

وشبيه هذه الأمور شيء كثير، وعلى هذا أرجوكم رجالاً ونساءً ان تجتنبوا الذنوب، وخاصة حق الناس، لئلا يكون في رقابكم لأنه أمر

صعب.

ـ سوء الظن:

سوء الظن بالآخرين أحد مراتب حق الناس، يعني ان ينظر الإنسان إلى الناس نظرة تشاؤم. سواء كانت هذه النظرة من الزوج لزوجته، أو من الزوجة لزوجها، أو الصديق لصديقه، أو الغريب إلى الغريب، وسواء كان سوء الظن هذا يتعلق بالشرف، أو بالمال، أو بشيء عرفي، أو شيء آخر، فسوء الظن إثم وذنب عظيم حيث يقول القرآن الكريم.

﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾[1].

يقول: تأتون بسوء الظن على ألسنتكم وبلا حياء وتظنون ان إثمه قليل، ولكنه إثم كبير، أي انه من الكبائر، ويقول في موضع آخر.

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[2].

لا تكن سيّىء الظن ولا تتبع التخيلات والأوهام، لأنك في يوم القيامة ستكون عرضة للسؤال، ستسأل عينك واذنك وسيسأل قلبك، وسوف يشهدون عليك، فالسيّىء الظن يشهد عليه قلبه يوم القيامة وإذا نطق بشيء فإن لسانه سوف يشهد عليه.

وإذا فعل شيئاً فان يده ورجله سوف تشهد عليه.

أمير المؤمنين عليه السلام ينصح ويقول «ضع أمر أخيك على أحسنه»[3].

---

(١) سورة النور، الآية: ١٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) أصول الكافي، ج٤ ص٥٨ (باب التهمة وسوء الظن).

كل ما تراه من الآخرين فاحمله على المحمل الحسن، وانتبه ان لا تظن سوءاً بالآخرين.

قال أمير المؤمنين والإمام الصادق عليه السلام: يجب على المرء ما استطاع ان يحمل قول وفعل الآخرين على الخير حتى سبعين محملاً، وإذا عجز بعد السبعين فلا يقولن سوءاً بل ليقل كم أنا سيّىء إذ عجزت عن إيجاد محمل حسن.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام «لا تُظنّنّ بِكلمةٍ خرجتْ مِنْ أحدٍ سُوءاً وأنتَ تَجِدُ لها في الخير مُحتملاً»[1].

كلما كان هناك مجالاً للمحمل الحسن فاحمل القول عليه، وإذا عجزت فلا تلومن أحداً سواك، واعلم ان نفسك ليست سليمة، ولو كانت نفسك سليمة وكنت مهذباً وإنساناً سوياً لما ظننت بالآخرين سوءاً.

أحياناً يؤدي سوء الظن إلى المفاسد، فعندما ترىٰ أحداً ينظر أحداً ما، فتظن انه ينظر إلى أجنبية، ولا تكتفي بذلك وإنما تشرع بتفسيقه، والشيطان لا يقنع بالقليل فيحيل سوء ظنك هذا إلى ذنب فوق ذنب فتقول إنه ليس بمسلم أصلاً.

وعندما نجري بحثاً نجد أن أفراداً نظير مجموعة فرقان، نظير المنافقين وأمثالهم، والذين قتلوا أمثال الشهيد مطهري، إنما بدأوا من سوء الظن.

فأساؤوا الظن بمطهري. هذا الرجل الذي قل نظيره، ذلك العالم العامل، والذي لم يترك صلاة ليلة حتى موته، ذلك الذي يخفق قلبه للإسلام، ففسقوه بسوء الظن ثم كفروه وقتلوه بهذا التفكير.

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٣٦٠.

وقضية المرحوم بهشتي ألم تجري كذلك؟ ذلك الرجل الذي كان لائقاً لكل شيء. ذلك الرجل الذي كان بمرتبة عالية في السياسة والعلم والدراية، ذلك الرجل الذي كان فرداً استثنائياً، ذلك الرجل الذي لم يبك الإمام (قده) على شهادته وإنما بكىٰ على مظلوميته.

لقد كان مظلوماً لذلك المستوىٰ الذي قال فيه الإمام (رضوان الله تعالىٰ عليه) ان قلبي يحترق لمظلومية الدكتور بهشتي.

وكذلك شهادة اثنين وسبعين فرداً من أعضاء الحزب الجمهوري الإسلامي كانت من هذا الباب.

ان قضية سوء الظن كثيرة في الوسط الاجتماعي، خاصة في أوساط الرجال والمتقدسين الجافين والجاهلين، مثلاً يكون ماشياً مع زوجته وقد تلتفت إلى دكان فيظن ان زوجته نظرت إلى رجل أجنبي فتنبت شوكة في ذهنه وروحه، فيبدأ بالشك بعفة زوجته ويحمل نظراتها على انها نظرات سوء، ويستمر ذلك الشك يوخزه ويديم الشيطان تأجيج النار. وفجأة يتغير الشك إلى يقين بعدم عفة زوجته ولا ينتهي الأمر إلا بالطلاق.

أو ان أحد الأزواج قد يأتي متأخراً ساعة أو ساعتين، فيكون هذا التأخير باعثاً لثورة حسدها، وليس السبب هنا هو الغيرة أو التدين الجاف، فيتحول ذلك شوكة تؤذي روح تلك المرأة وإذا كانت تلك المرأة سليطة، فتشرع بالجدل والمنازعة عند مجيء زوجها. والتي يعد ذنبها كبيراً حتى أن المرأة السليطة إذا ماتت بدون توبة، تُعلق في جهنم من لسانها.

أو ان امرأة تكون شكاكة يؤذي زوجها ذلك الشك، وشيئاً فشيئاً يصبح لديها يقين ان زوجها يسعىٰ لأجل الزواج، هنا شيئاً فشيئاً تنجر إلى المفاسد الكبيرة.

فقد تفقد المرأة أحياناً عفتها بسبب سوء ظنها لأجل الانتقام من زوجها، زوجها طاهر ولكن سوء ظنها يوصلها إلى الطريق المسدود لذا أرجو ان لا يظن أحدكم بالآخر سوءاً. خاصة المرأة بالنسبة لزوجها والزوج بالنسبة لزوجته، سوء الظن هذا حرام، وإثمه كبير، فقد يؤدي أحياناً إلى الطلاق، وقد يؤدي أحياناً إلى انحراف الأبناء وإلى حملهم للعقد النفسية.

ـ النظرة السلبية:

الموضوع الآخر حول النظرة السلبية، يعني ان الإنسان أحياناً لا يرىٰ الشيء الإيجابي، وإنما يرىٰ السلبيات فقط. فيكتسب حالة الذباب.

مثلاً يدخل الرجل بيته، وقد أجهدت زوجته نفسها برعاية أطفالها وبيتها وهيأت الطعام، وهيأت نفسها استعداداً لمجيء زوجها، ولكنه عندما يدخل لا يرىٰ كل ذلك المجهود، فيلتفت إلى هذه الجهة أو تلك ليعثر على شيء ما وأخيراً يعثر على شيء فيجد ان عباءتها مثلاً قد سقطت في جانب، فيعلو صياحه لماذا هذا الإهمال، فتذهب هدراً جهود تلك المرأة من الصباح إلى الليل بهذا الكلام ونحوه. الزوج بجملته هذه لا شك في كونه يدخل النار وإذا لم يتب فإنه سوف يعلق بلسانه في النار.

هذا اللسان الذي سوف يطول يوم القيامة حتى ان أهل المحشر يطأونه.

وهذا الذنب من العظم والكبر إلى درجة انه من لم يتب فحين رحليه من الدنيا يتعرض لضغطة القبر، ويعاقب من أول ليلة ينزل فيها القبر.

وأما النتيجة في الدنيا فهي فتور المرأة وبرودها في رعاية بيتها وزوجها وأطفالها.

وأحياناً المرأة تكون سلبية بنظرتها، مثلاً زوجها يكدُّ من الصباح إلى العصر لتهيئة مصروف البيت، وعندما يعود إلى البيت تكون حواسه مجهدة فقد لا يغسل يديه أو شيئاً من هذا القبيل. ولكن هذه المرأة تنسىٰ كل تلك الجهود، ولا ترى إلا هذا الفعل سيّىء فيعلو صياحها، وتسمىٰ هذه المرأة سلبية النظرة امرأة سليطة جهنمية.

أما في المجال الاجتماعي العام فكذلك أيضاً، فقد لا يرىٰ الأفعال الحسنة الكثيرة في سلوك صديقه، ولكن إذا رأىٰ منه خطأ اتخذ منه علماً، يلوح به خلفه وأمامه ويصرح به هنا وهناك.

أو عندما يجتمع عدد من الأشخاص في مجلس ويشرعون بالغيبة لأحد أصدقائهم وعندما يقوم من المجلس أحدهم مثلاً يبدأون باغتيابه، ويأكلون لحم الميتة طالما كان المجلس منعقداً وكلما استمر المجلس كان إثمه أشد من الزنا.

وعندما ندقق نرىٰ ان هؤلاء سلبيي النظرة، فلا بد ان يكون ذلك الشخص الذي اغتابوه ذو صفات حسنة تجاهلوها وبدل الإشارة إليها عدلوا إلى الغيبة.

لذا فان الأشخاص الذين يغتابون الآخرين من ذوي النظرة السلبية وعليهم ان يعلموا ان قلوبهم غير سليمة ويعلموا ان رذيلة التخيل والتوهم تتحكم بقلوبهم وكذلك رذيلة النظرة السلبية.

وإذا ترسخت هذه الرذيلة في القلب فلا يمحوها من القلب إلا نار جهنم.

الذين يقترفون الغيبة لماذا لا يرون الشيء الحسن عند الناس،

ويذكرونه.

مر عيسىٰ عليه السلام مع الحواريين على عنزة ميتة، فاقترب أحدهم منها ثم نهض بسرعة وهو يقول يفوح منها رائحة نتنة.

جاء الثاني وذكر عيباً آخر، وهكذا قال كل أحد منهم.

أما عيسىٰ عليه السلام فقد نظر إلى تلك العنزة الميتة وقال: ما أشد بياض أسنانها يعني ان عيسىٰ عليه السلام، يقول لنا عملياً (كونوا إيجابيين ولا تكونوا سلبيين).

فان الكثير من الناس يتحلون بصفات جيدة كثيرة فلماذا تترك المحاسن وتتمسك بالمساوىء.

لماذا لا تكون كالبلبل؟ عندما يرد بستاناً ليس فيه الا وردة واحدة، فإنه يقف على تلك الوردة، ولا يذهب إلى أماكن الأوساخ والقذارة.

لماذا لا نكون مثل نحل العسل عندما يدخل بستاناً يبحث عن الأزهار الجميلة وإذا ما جلس على زهرة غير مناسبة فإن نحل الحراسة يقطعه نصفين.

لماذا لا نكون بلابلاً لنكون من أهل الجنة.

لماذا نكون ذباباً حتى نكون من أهل النار؟

تماماً كما تكون القذارة محلاً للذباب، الإنسان السلبي مكانه في جهنم.

عد وابحث عن محاسن الناس خاصة المرأة حول زوجها والزوج حول

امرأته.

اطلب من الرجل ان يشكر زوجته عندما يدخل بيته، وادعو المرأة أيضاً ان تشكر زوجها، وليغض بعضكم النظر عن مساوىء البعض الآخر. ليلتفت البعض إلى إيجابيات البعض الآخر.

ولا تكونوا عديمي الوفاء لأن الإنسان لم يخلق كذلك.

يقول القرآن الكريم: **﴿قُتل الإنسانُ ما اكفرهُ﴾**(١).

الموت لذلك الإنسان الذي لا وفاء له.

امرأة رعت زوجها سنين عديدة، تخطىء في يوم ما فتذهب مثلاً إلى خارج البيت بدون إذن. فيهدر كل أتعابها الحسنة الماضية، رجل كهذا لا يسمىٰ رجل. بل هو عديم الرجولة، وكذلك بعض النساء.

لذلك أرجو ان تدخلوا المجتمع بنظارات جيدة الرؤية. فالإنسان يرىٰ كل شيء أسود. إذا نظر إلى الناس بنظارة سوداء.

في الروايات ان الصديق الحسن هو الصديق الذي لا يرىٰ أفعاله الحسنة بحق الآخرين، ولا ينسىٰ الأفعال الحسنة للآخرين.

آمل أن تأخذوا مأخذ الجد هاتين الصفتين الأخلاقيتين، وان تبذلوا الجهد للتخلص من رذيلة التخيل الاجتماعي، إذا كانت موجودة.

لتردوا المحشر بقلب صافٍ، يقول القرآن الكريم:

---

(١) سورة عبس، الآية: ١٧.

﴿يَومَ لاَ ينفعُ مالٌ ولا بنون * إلا من أتىٰ اللَّه بقلبٍ سليم﴾[1] .

فيوم القيامة لا ينفع شيء سوىٰ القلب الطاهر .

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٨ و ٨٩.

الدرس الثالث عشر

فضيلة التوبـة

- ما هي التوبة؟
- توبة العوام.
- توبة الخواص.
- توبة خواصّ الخواصّ.
- لنكن تائبين دائماً.
- أنواع الذنوب وكيفية التوبة منها.

ما هي التوبة؟

حالة التوبة من الذنب إحدىٰ الفضائل المطلوبة عند الله بشكل استثنائي أي ينبغي ان يكون للإنسان حالة خضوع وحالة تواضع وحالة إنكسار القلب أمام الله سبحانه والرجوع من النفس الأمارة إلى ذلك البُعد الملكوتي هو رجوع من جهة الشيطان إلى جهة الرحمن، ورجوع من هذه الدنيا الفانية والتوجّه إلى الآخرة، وأخيراً حالة خضوع وحالة خشوع وتواضع في مقابل الله سبحانه. وهذه حالة. وإذا كان هناك من قول في العمل فيجب أن يصدر عن هذه الحالة لتكون توبة. ومجرّد قول «استغفر الله ربي وأتوب إليه» فيه ثواب، وهو ذكر من الأذكار المطلوبة بشكل ملح أيضاً، ولكن إذا كان هذا الذكر نابعاً من القلب يُقال له «توبة». وأمّا إذا كان مجرد لقلقة لسان فهو ليس بتوبة على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام، بل ذكر فقط وفيه ثواب. وذلك الذي سبب أن يرد في القرآن الشريف أكثر من مائة آية هو تلك الحالة التي تحصل للقلب إنها شيء يحبه الله جداً. إلى درجة أننا نقرأ في الروايات: «إن الله تعالىٰ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها. فالله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين

وجدها»[1] وأخيراً يقول القرآن:

﴿إنّ الله يحبّ التوابين﴾[2].

إنّ الله يحب الإنسان التائب، والمذنب الذي يعود عن عمله القبيح ويصلح نفسه.

وهو يحبّ ذلك القلب الذي يطهر بماء التوبة.

وضع القرآن على الرؤوس في هذه الليالي فيه ثواب عظيم، لأنه ثواب ودعاء أيضاً، وكلاهما مطلوبان بشكل أكيد من وجهة نظر القرآن الكريم وأهل البيت ولكن أحياناً يكون مجرد الدعاء وقول «استغفر الله» فقط وقول «العفو» فقط وأمثال ذلك من الذكر والدعاء، وان كان مطلوباً ولكنه لا يكون منتجاً. ليس توبة واقعية، ليس توبة حقيقية. التوبة الواقعية توبة القلب لا توبة اللسان والدعاء الحقيقي دعاء القلب لا دعاء اللسان.

إذا كان القلب خاضعاً ومتواضعاً أمام ربّ العالمين، ووجدت حالة الخشوع فيه فستجري دموعه شاء أم أبىٰ ويكون لسانه ناطقاً أيضاً بـ «العفو العفو»، وتجد حالة من الخضوع في العين والوجه والبدن وترتفع منه بين الفينة والأُخرىٰ «استغفر الله». هذه توبة القلب وإذا أراد أحد التوبة وأن يكون دعاءه نافعاً له فيجب عليه تصفية قلبه؛ يجب إيجاد حالة الخضوع أمام الله سبحانه، وهذا يُستمد من ينبوع المعرفة. فكلما كانت معرفة الإنسان بالله أكثر كلما وجدت فيه هذه الحالة أكثر. ويقسّم أهل القلوب التوبة إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٣٥ باب التوبة ٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

توبة العوام:

لدينا توبة لعموم الناس؛ وتلك التوبة هي ان يكون القلب خاضعاً لأنه ارتكب ذنباً. يذكر ذنوبه ومعاصيه أمام الله سبحانه؛ يضطرب قلبه؛ يندم على ماضيه؛ ولا يسير ثانية في ذلك الطريق ويُصلح نفسه. ويقال لهذا توبة العوام أو العموم.

توبة الخواص:

التوبة الثانية توبة الخواصّ. بعض معرفته أكثر. أي يكون خجلاً أمام المكروهات. يكون قلبه خاضعاً وخاشعاً، بكىٰ آدم عليه السلام مائتي عام على ترك الأولىٰ. وكانت ليونس عليه السلام في بطن الحوت حالة من التذلل وكان يرىٰ نفسه ظالماً ويقول:

﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين﴾[1].

قال ذلك من أجل تركه الأولىٰ حينما خرج عن قومه بدون إذن من الله سبحانه وأخيراً فانّ بعض الأنبياء وبعض الأفراد الذين يقتدون بالمعصومين يتألمون وتضطرب قلوبهم من المكروهات، ومن الشبهات، وأخيراً من ترك الأولىٰ لأن معرفتهم أكثر من معرفة الآخرين، وبنفس هذا المقدار تتألم قلوبهم وتكون قلوبهم أمام الله ذليلة أكثر؛ وبكائهم أكثر.

ونقرأ حول آدم عليه السلام أنّه عندما أخرج من الجنة وجاء إلى هذه الدنيا، لم يرفع رأسه مائتي عام. كان يطأطىء رأسه دائماً حياءً لم يكن قد فعل شيئاً، لم يرتكب ذنباً، كان معصوماً. قيل له فقط لا تأكل من هذه الحنطة، وإذا أكلت منها فيجب أن تخرج من الجنّة. أي أنّه فهم أنّ الله سبحانه يريد منه أن لا يأكل من هذه الحنطة. أكله منها عمل غير جيد؛ مكروه، ومستحب له أن لا يأكل منها. ومن أجل هذا العمل الذي لم يكن في محلّه ولم يكن

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

ذنباً أيضاً بكىٰ مائتي عام. كان يطأطىء رأسه مائتي عام حتى جاءه جبرائيل وقال: يا آدم إن الله تعالىٰ يقول لك: توسل بأهل البيت وارفع رأسك فإنّي قد غفرت لك. ونطلق على هذه التوبة توبة الخواصّ.

توبة أخصّ الخواصّ:

والأعلىٰ رتبة مما سبق هي توبة أخصّ الخواصّ، توبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين يقول: انه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة[1]. أي لأجل تطهير قلبي من الالتفات لغير الله. فيستغفر ذلك الاستغفار الذي يخرج من القلب لا من اللسان. وأمير المؤمنين عليه السلام كان له اتصال مع الناس في النهار، يأكل ويشرب وينام. وهذا الالتفات إلى غير الحقّ في نظره عليه السلام ذنب. وهذا ليس من ترك الأولىٰ، ولا إتيان للمكروه، بل وعلى حد تعبير الحاج السبزواري رحمه الله: هو مجرد ذلك الالتفات إلى غير الحقّ؛ ومعرفة أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفة الزهراء عليها السلام ومعرفة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام تقتضي أن يتوجهوا إلى الحقّ دائماً. ولهذا فانّ دعاء كميل وذلك البكاء والدموع من أمير المؤمنين عليه السلام، ودعاء أبو حمزة الثمالي وذلك التضرع والأنين من الإمام السجاد عليه السلام، وأخيراً تلك الأدعية في مفاتيح الجنان وتلك التضرعات من الأئمة الطاهرين عليهم السلام جميعها تستقي من هذا النبع. فهم تضطرب قلوبهم حقيقة وتخشع أمام الله سبحانه، وخضوعها أمام الله سبحانه أكثر بكثير من خضوع الإنسان المذنب، لأن من كانت معرفته أكثر فانّ استغفاره وخضوعه أكثر أيضاً. كان النبي يستغفر سبعين مرّة في اليوم. وكانت هذه عادته عليه السلام. ولم يكن للزهراء عليها السلام ذنب أو ترك الأولىٰ، ولكن أحياناً يكون لها التفات لغير الحقّ، ولهذا كانت تبكي في الأسحار بحيث تملأ دموعها قنينة. ولم يكن

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٥ ص٢٢٠.

أمير المؤمنين عليه السلام يرتكب ذنباً، ولا يترك الأولىٰ، ولكن قد يلتفت إلى غير الحقّ أحياناً، وبهذا المقدار من الالتفات لغير الحق كان يضطرب قلبه، ويخضع قلبه ويخشع بحيث يغشىٰ عليه في البستان ويصير كالميت. يقول ضرار بن ضمرة لمعاوية: «فاشهد لقد رأيته في بعض مواقفه؛ وقد أرخىٰ الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين»[1] لماذا؟ لأنّ معرفته بالله أكثر.

لنكن تائبين دائماً:

والموضوع الآخر الذي يجب ان ينتبه إليه الجميع في ليالي القدر هذه وكذلك بعد هذه الليالي وهو انه يجب ان تبقىٰ التوبة والإنابة حيّة في قلوبنا إلى حين الموت، يجب ان يبقىٰ القلب مضطرباً دائماً مقابل عظمة الخالق تبارك وتعالىٰ. ويجب الالتفات إلى أنّ الذنب مهما كان نوعه، ومهما كان كبيراً، ومهما كانت الذنوب كثيرة، إذا كانت هذه الحالة موجودة عند الإنسان فانّ الله تعالىٰ يغفر له. «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[2].

فإذا تاب أحد من الذنب توبة صادقة فكأنه لا ذنب له أصلاً والإنسان بعد التوبة من الذنب مثل الطفل الذي ولدته أمّه تواً.

يُتلف ملفه الأسود. وإذا ارتكب أحد معاصي كثيرة ويقول انّ الله لا يغفر لي، فنفس هذا الكلام ذنب كبير على شفا حدود الكفر.

وكل من ييأس من روح الله فقد ارتكب معصية كبيرة على شفا حدّ الكفر. إذ يستطيع الإنسان التوبة ما دام قبل الموت، وبناءً على هذا لا ينبغي

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٥، نهج البلاغة، فيض الإسلام: الحكمة ٧٤.
وسدوله: أي حجب ظلامه، والسليم: الملدوغ من حية ونحوها.
(٢) بحار الأنوار: ج٤ ص٤١ (الحديث مروي عن الباقر عليه السلام).

اليأس من رحمة الله تعالىٰ. ولا ييأس أحد من رحمة الله تعالىٰ إلاّ إذا لم يكن يعتقد بالله.

ولهذا مهما كان الذنب كبيراً إذا رجع عنه العبد حقيقة وأصلح نفسه، واختلج قلبه، واستشعر الندم على ماضيه، فمن المسلَّم أنّ الله تعالىٰ يغفر له.

(شعر):

عد إلي عد مهما كنت عُدْ، لو كنت كافراً أو عابداً للصنم عُدْ.

فعتبتنا هذه ليست عتبة يأس حتى لو كسرت توبتك مئة مرة أيضاً عُدّ.

﴿إن الله يحب التوابين﴾ أي أن الله تعالىٰ يحب الإنسان التائب ولو أنّه نقض توبته سابقاً.

أقسام الذنوب وكيفية التوبة منها:

والموضوع الثالث هو أنّ الذنوب تنقسم إلى أربع أقسام: وتختلف توبة هذه الأقسام.

الأول: حق الله، مثل قول الكذب الذي هو أحد الذنوب الكبيرة وشرب الخمر الذي هو ذنب كبير جداً، ومثل ذاك الذي قد امتلأت خلايا بدنه من النغمات والموسيقىٰ المبتذلة.

وأفلام الفيديو، ومن هذه الأشرطة المبتذلة التي يُتعامل بها يكون الذنب أحياناً من هذا النوع، ويسمىٰ «حق الله». ما هي توبة هذا النوع من الذنوب؟ يجب إحراق هذه الأشرطة وإتلاف هذه الأفلام، والتنزه عن قول الكذب وشرب الخمور، والندم على ما مضىٰ وإصلاح نفسه وأن لا يرتكب هذه الذنوب ثانية، فإذا أصلح نفسه حقيقة فانّ الله يغفر له. أو مثل تلك

المرأة الرديئة الحجاب إذ هي قد ارتكبت ذنباً عظيماً بعدم ارتدائها الحجاب الكامل. وهذا الذنب كبير إلى درجة انا نقرأ في الروايات ان المرأة إذا تعطرت وشمَّ عطرها رجل ليس من محارمها. فانّ السماوات والأرض والملائكة والحائط والباب تلعنها، إذا أثارت المرأة شهوة شاب بإظهار جمال وجهها فقد ارتكبت ظلماً، وذنباً كبيراً. ولكن إذا وضعت عباءتها على رأسها وأصلحت حجابها بصورة صحيحة وتركت ما كان منها من عدم الاهتمام بحجابها فانّ الله تعالىٰ يغفر لها. هذا هو القسم الأول.

القسم الثاني: وهو حق الله أيضاً. ولكن حق الله الذي يجب تداركه. مثل ترك الصلاة. فالإنسان الذي يترك الصلاة فانّ عمله خطير جداً «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» انّ مَن ترك الصلاة ليس بمسلم حقيقي، بل هو كافر واقعي ولو كان مسلماً ظاهراً، هو كافر وفي صف الكفار يوم القيامة، وفي صف اليهود والنصارىٰ. وحتى أنّ القرآن ليقول أكثر من ذلك يقول: انّ الإنسان الذي يتهاون في صلاته ويستخف بها فهو ليس بمسلم واقعي وفي صف الكفار.

﴿فويل للمصلّين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[1].

الويل لمن يتساهل في صلاته، ولا تكون الصلاة في صلب حياته، فأحياناً يصلي وأحياناً أُخرىٰ لا يصلي. وإذا صلىٰ صلّىٰ سريعاً سريعاً. إنّه ذنب كبير. أو انّه لا يصوم. والإنسان الذي يترك الصيام ذو ذنب عظيم، وحكم تارك الصوم أن يعزّر بالسياط في المرة الأولى والثانية ويقتل في المرة الثالثة. انه ذنب كبير بحيث إذا ترك أحد صوم يوم واحد عمداً فيجب عليه صيام ستين يوماً كفارة عن ذلك بالإضافة إلى قضاء ذلك اليوم الذي أفطر فيه

(١) سورة الماعون، الآية: ٤ و ٥.

عمداً، أو إطعام ستين مسكيناً.

وأما إذا لم يعطِ الخمس أو الزكاة فهو في الحقيقة يأكل ناراً.

أكل مال اليتيم. أكل مال صاحب الزمان عليه السلام. وهو ذنب كبير جداً. وعندما ينظر إليه أصحاب القلوب الحيّة فهم يرون ناراً تخرج من فمه، مثل خروج النار من التنور، هذه الذنوب كبيرة جداً. وأمّا إذا تاب المذنب، أي ندم على ماضيه، وصمم من هذه اللحظة فما بعدها على الصلاة وقضاء الصوم الذي في ذمته وإعطاء الخمس الذي عليه الآن وفيما مضىٰ وتدارك كل ذلك، فانّ الله سبحانه يغفر له مهما كانت ذنوبه كبيرة.

وهذا هو القسم الثاني، وكلاهما ـ أي القسمين الأول والثاني ـ كانا حقّ الله. أحدهما له جبران، والآخر لا يُتدارك.

القسم الثالث: حق الناس الذي لا يحتاج إلى تدارك، مثل الغيبة والغيبة معصية كبيرة، بحيث أن ألسنة صنفين من الناس في يوم القيامة تكبر أولاً ثم تسقط على الأرض فيطأها الناس بأقدامهم، الصنف الأول النساء اللائي يتطاولن على أزواجهن بألسنتهن. والصنف الثاني أولئك الذين يفتشون عن عيوب الناس ويغتابونهم. يقول القرآن: **﴿ويل لكل همزة لمزة﴾**[1] ويل لصاحب اللسان الجارح، الذي يفتش عن العيوب، ويتهم الناس. ويحبس المغتابون والمتهمون يوم القيامة فوق تل من الدماء والصديد مدّة خمسين ألف عام حتى يفرغ الناس من الحساب، ثم ينقلون إلى جهنم. ولكن إذا تابوا ولم يعودوا إلى الغيبة ثانية، وندموا على أعمالهم القبيحة، وأصلحوا أنفسهم فانّ الله تعالىٰ يغفر لهم حتىٰ كأنهم الآن مثل ما ولدتهم أمهاتهم. وإذا استطاع ان يزيل التهمة التي ألصقها بالآخرين ويحفظ

---

(١) سورة الهمزة، الآية: ١.

ماء وجوههم، ويذهب إلى كل من اغتابه ويطلب رضاه، فانّ هذه الأعمال جيدة قطعاً. ولكن تداركها هو في الندم عليها. وهذا هو القسم الثالث.

القسم الرابع: حقّ الناس الذي يجب ردّه إلى الناس، مثل أكل أموال الناس ولو بقدار قيراط واحد، ولو حبة حنطة، وحق الناس أمر مُشكل إلى حد أنّ القرآن يقول:

﴿ومَن يغلل يأتِ بما غلَّ يوم القيامة﴾[1].

وكل من أكل أموال الناس بالباطل يأتي يوم القيامة وفي ذمته ذلك المال. ويؤتىٰ به يوم القيامة إلى صف المحشر مفضوحاً بهذه السرقة.

وقد نزلت هذه الآية الشريفة في جبهة القتال حين جاء جندي إلى مسؤول بيت المال وقال: لقد خطت هذه الرقعة بخيط من بيت المال وهو غصب، والآن ماذا أفعل، فهل أرفع هذه الرقعة من ملابسي أم أبقيها؟ فقال المسؤول: لا أعلم. فمزق الجندي الرقعة وسلّم الخيط إلى بيت المال. حقّ الناس أمر مُشكل.

ولكن نفس حقّ الناس هذا له توبة. يجب الندم على ما مضىٰ منه وأن لا يأكل مالاً حراماً مرة أُخرىٰ. وأن لا يكون مثل الدودة التي تمتصّ دماء الناس. وبالإضافة إلى ذلك يجب أنّ يردّ أموال الناس فإذا كان لديه مال فيجب عليه ردّه إليهم. وإذا لم يكن يمتلك المال فيجب عليه أن يصمّم على ردّ أموال الناس متىٰ ما استطاع ذلك. وعند ذلك تُقبل توبته.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

الدرس الرابع عشر

فضيلة الدعاء والمناجاة

- معرفة الله وفطرة الإنسان.
- الدعاء من امتيازات الشيعة.
- الصلاة: حوار مع الله.
- حلاوة العبادة والدعاء.

فضيلة الدعاء والمناجاة مع الله

إنّ الدعاء والمناجاة مع الله هي إحدىٰ الفضائل الكبيرة جداً للإنسان وينبع الدعاء والمناجاة مع الله من عمق روح الإنسان، وبناءً على هذا فقول يا الله يا الله وقول يا ربّ يا ربّ وأخيراً طلب الحاجة هو بنفسه فضيلة هذا دعاء لساني. وفيه أيضاً ثواب كثير، وقد ورد التأكيد الشديد عليه ولكن الدعاء الواقعي هي العلاقة بين العبد والله، وهذه العلاقة تنبع من عمق روح الإنسان.

معرفة الله الفطرية لدىٰ الإنسان:

إذا وقع الإنسان في مأزق وطريق مسدود، ولو كان هذا الإنسان لا يعترف بالله سبحانه، فانّه يستغيث بشكل لا إرادي بالله تبارك وتعالىٰ يقول القرآن الشريف:

﴿فإذا ركبوا في الفُلك دعَوُا الله مُخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يُشركون﴾[1].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

وهؤلاء المشركون وهؤلاء الكافرون الذين يعترفون بالله تعالىٰ، إذا وقعوا في طريق مسدود وعجزوا عن الحصول على النجاة، فانّه يستيقظ ويحيا فيهم البحث والتفتيش عن الله في ذلك الوقت، بحيث انه يرتفع منه صوت يا الله يا الله من غير ان يلتفت إلى ذلك؛ يرتفع منهم الدعاء، ويطلبون من الله انقاذهم من هذا المأزق. ولكن عندما يخرجون من ذلك المأزق ينسون ذلك ويرجعون إلى عملهم الأول.

وهذه الآية الشريفة بالإضافة إلى أنها تثبت بحثنا وتقول الدعاء فضيلة، فهي تُعتبر أيضاً أفضل دليل على معرفة الله سبحانه، وهي تتحدث عما يسمىٰ بـ «الفطرة». الإنسان باحث عن الله ومفتش عن الله. وحتى أنّ دليل الفطرة يقول لنا شيئاً أكثر من ذلك. فهو يقول بالإضافة إلى أنّ أعماق روح الإنسان باحثة عن الله ومفتشة عن الله هي باحثة عن التوحيد ومفتشة عن التوحيد، وقائلة أيضاً بوجود فضائل وكمالات لله تعالىٰ أي أن عمق روحه يُدرك بأن الله عالم، وأنّ الله رحيم، وأنّ الله كريم وجواد، وأن الله قدير وسميع؛ وأخيراً فان عمق روح الإنسان تشعر بوجود شيء مستجمع لجميع الكمالات.

ومن هنا فعندما يقع الإنسان في طريق مسدود فانّ كل همّه وغمّه يتوجه إلى مبدأ. أي يقول بأن الله واحد وهو مستجمع لجميع الكمالات. ولهذا يطلب حاجته من الله، يتكلم مع الله. مما يدل على أنه اكتشف سميعاً وهو عالم وقادر ورؤوف، وهو ربّ حقاً.

يقول أحد السادة: كان لي صديق لا يعترف بوجود الله سبحانه. لي معه مناقشات وحوار طويل ولم استطع أن أصل معه إلى نتيجة. وكان له ولد وحيد وقد أُدخل المستشفىٰ لإجراء عملية جراحية له. وكان صديقي هذا

طبيباً أيضاً، فجلس خلف باب غرفة العمليات وأجهش بالبكاء وهو يقول: يا إلهي إني أريد ولدي منك! فاغتنمت الفرصة وقلت له: من إلهك هذا الذي تُريد ولدك منه؟ فقال: ليس هذا محل جدال. يقول القرآن:

﴿فإذا ركبوا في الفُلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾ [1].

إنّ اللجاج والغرور العلمي أثناء الجدال لا يسمح للفطرة أنّ تستيقظ. ولكن عندما يقع في طريق مسدود فانّه حينئذٍ ينسىٰ كل شيء آخر، ولا يستطيع العلم والغرور العلمي أن يصنع له حينئذٍ شيئاً، ولا تستطيع القدرة والتمكّن أن تعمل له حينئذٍ شيئاً، ولا تستطيع اللجاجة الآنية والعصبية أن تصنع له حينئذٍ شيئاً، تستيقظ الفطرة فجأة. يرىٰ بأن شيئاً ما يستطيع أن يفعل له شيئاً، وذلك الشيء هو الله. تستيقظ الفطرة. وبشكل لا إرادي تجري دموعه وبشكل لا إرادي ينطق لسانه عالياً بقول يا ربّ يا ربّ وقد جاء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي من أجل ذلك، أي من أجل ان يحافظوا على يقظة الفطرة، من أجل ان يبقىٰ الإنسان دائماً باحثاً عن الله ومفتشاً عن الله. وبتعبير القرآن الكريم:

﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [2].

جاء الأنبياء من أجل أن يعلم الإنسان أنّه دائماً في مرأىٰ ومسمع من الله وليس عنده جلوة وخلوة، ولا يكون هناك فرق عنده بين أن يكون وحيداً أو في وسط الناس، وأخيراً لكي يبقىٰ قلبه نابضاً على كل حال قائلاً يا ربّ يا ربّ.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

الدعاء من امتيازات الشيعة:

أحد الأمور التي يمتاز بها الشيعة عن غيرهم هو الدعاء. فللشيعة مثل الصحيفة السجادية التي تُسمىٰ زبور آل محمد ﷺ. وزبور أهل البيت هذا هو كتاب دعاء. أي أنّ الإمام الرابع عليه السلام عندما وقع في طريق مسدود ولم يستطع التبليغ وقول الحقّ فقال في ثنايا أدعية الصحيفة السجادية كل ما أراد ان يقوله. ولكن بالإضافة إلى ذلك فانّ الصحيفة السجادية تعني إيقاظ الفطرة.

وللشيعة كتاب مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي وكتاب الإقبال للسيد ابن طاووس، وأخيراً كتاب مفاتيح الجنان للمحدّث القمي وكتاب زاد المعاد للعلامة المجلسي. لا تحسبوا مفاتيح الجنان للمحدث القمي قليلاً. كتاب المفاتيح بنظر إمام الأمة قدّس سره كتاب أخلاق. معمل لصناعة الإنسان. ومفاتيح الجنان بنظر هذا الرجل الكبير كلام صاعد والقرآن الكريم كلام نازل، وكلاهما حديث مع الله. يقول الإمام قدّس سره: القرآن الكريم نازل. أي أنّه نازل من الله عز وجل إلى عباده، وتنزل من الحجب النورانية والظلمانية ليكون قابلاً للفهم، قابلاً للرؤية والاستماع. مفاتيح المحدث القمي كلام صاعد، أي كلام يذهب من ناحيتنا إلى ربّ العزّة. أي أنّ قولكم يا ربّ يا ربّ وقراءتكم لدعاء أبي حمزة الثمالي وقولكم يا الله في هذه الليلة تذهب جميعها إلى حضرة الباري جلَّ وعلا. الكلام الصاعد يعني الكلام الذاهب إلى الأعلىٰ. وأخيراً فانّ القرآن الذي هو الكلام النازل مفيد جداً لتهذيب النفس، والمفاتيح التي هي كلام صاعد مهمة جداً لصناعة الإنسان. وكلاهما كلام مع الله. فعندما يقرأ شخص القرآن فانّ الله يتكلم معه، ولكن للأسف ان الأذنَ لا إصغاء لها لتسمع.

ولذا من المستحبّ عندما تصلوا إلى قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أن تقولوا: «لبيك»، أي أن الله تعالىٰ حين يناديكم يا أيها المؤمنين! قولوا «نعم»، كما ان الله سبحانه قد وعدكم الإجابة حينما تتكلمون معه وتدعونه: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ قولوا «نعم» حين يناديكم الله لتسمعوا «نعم» الله حين تدعوه.

الصلاة حوار مع الله:

الدعاء هو الكلام مع الله سبحانه. ومن هنا فانّ الصلاة حوار ومعراج. والمصلي يتكلم مع الله ويكلمه الله، فعندما يقرأ الحمد والسورة يكلمه الله. وفي بقية أجزاء الصلاة يتكلم هو مع الله.

وأخيراً فانّ من أول قوله الله أكبر إلى تسليم الصلاة إما ان يتكلم مع الله أو يكلمه الله. ولذا يقول أهل القلوب الحيّة: «الصلاة معراج المؤمن» وقد ذهب النبي الأكرم ﷺ إلى مقام ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ من أجل أن يتكلم مع الله. وقد أوجب الله تعالىٰ علينا الصلاة بواسطة هذا النبي، وجعل صلاة الليل علينا مستحبة، حتى نعرج إليه تعالىٰ في أي وقت نشاء، وفي أي وقت نريد أن يتكلم الله معنا أو نتكلّم مع الله فانّا نستطيع ذلك. فهنيئاً لمن كانت صلاته معراجاً له.

حلاوة العبادة والدعاء:

هنالك جملة قالها الإمام الحسين والإمام السجاد عليهما السلام كذلك وبعض هذه الأدعية ذات مضامين عالية بحيث إذا تعامل الإنسان مع مثل هذا النوع من الكلام فانّه يصل إلى مقام الوجد حقاً، ويصير مجذوباً حقاً. يقول:

«يا مَنْ اذاق أحبائه حلاوة المؤانسة».

أي يا من أذاق أحبائه حلاوة المناجاة وحلاوة الدعاء والصلاة فيُعلم أنّ أحباء الله لا يتلذذون بالأكل والشرب فقط، بل يتلذذون بالدعاء والصلاة أيضاً.

ونقرأ في الروايات ان البعض عندما يدخلون الجنّة يغرقون في عالم الرحمة، وتبقىٰ حور العين التي أرسلها الله سبحانه إليه متحيرة سبعمائة عام، فتشتكي بعد ذلك وتقول: إلهي ألم تخلقني من أجل هذا؟ إنّه ليس له أي اهتمام بيَ. فيأتيها الخطاب: دعيه غارقاً في عالم رحمتي فإنّه عاشقي.

وينقل المرحوم الديلمي في الإرشاد حديثاً مبسوطاً باسم حديث المعراج. وفي وسط هذا الحديث يقول: خوطب رسول الله ﷺ في المعراج (ما مضمونه) يا أحمد في الجنّة أُناس لا شغل لهم إلا مناجاتي وإني لأخاطبهم وأقول لهم ذروا أهل الجنة يتنعمون في الجنة بنعمهم أما نعمتكم ولذتكم فهي مخاطبتي لكم ومخاطبتكم لي. كلما نظرت إليهم ازدادوا كمالاً.

إنّ هذه أشياء لا يفهمها أنا وأنتم، ولا يفهمها من هو أعلىٰ رتبة مني ومنكم. ويجب ان يكون لنا في هذه الدنيا عمل وعلاقة بالدعاء إن شاء الله لندرك قليلاً قليلاً خطاب الله.

يجب ان نجعل كل شيء في ذكر الله. الشباب يذكرون الله من أجل نسائهم وعوائلهم. والرجال المسنون يذكرون الله من أجل الليلة الأولىٰ في قبورهم. وأخيراً الجميع يذكر الله من أجل دنياهم، ومن أجل حلّ مشاكلهم، ومن أجل القضاء على الظلم. يجب ان تكون هذه الأمور موجودة جميعاً ولكن لا ينبغي ان نخطىء ونسعىٰ لقول يا الله من أجل الدنيا.

فانّ هذا نقص للإنسان. بل يجب ان تقولوا: نريد أن نهتم بالقرآن

كتاب صناعة الإنسان، تلك النعمة الإلهية الكبرىٰ التي نزلت في ليلة القدر نريد ان نذهب لنكرر اسم النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام. نريد ان نذهب لنتكلم مع عاشقنا. إذا لم يكن الله معشوقنا فانّ الله عاشقنا. نقرأ في الروايات انّ الله أرأف على عبده من سبعين أباً رؤوفاً. وهنيئاً لمن كان عاشقاً لله ومعشوقاً له. أي كما ان الله يعشقه ويقول له: يا عبدي تعال لآخذ بيدك. فكذلك العبد يعشق الله، ولا يكون شيء أحبَّ إليه من الحديث مع الله. ولا شيء يلهيه عن ذكر الله.

﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾.

لا تكفروا إذا لم يُستجاب دعاؤكم أوّل مرّة أو تعتبوا وتشتكوا من الله بل ادعوا لتصلوا إلى مقام القرب الإلهي.

وكان أستاذنا الكبير السيد الإمام رضوان الله عليه في درسه الخاصّ يقول أحياناً: «أسف على من يذهب إلى بيت الله ويقسم على الله بأسمائه وصفاته، أي أنه يُقسم على الله بالنبي وآله لكنه حين ذلك يطلب من الله الدنيا» هذا الكلام ليس من شأني وشأنكم وإنما هو كلامه هو رحمه الله. وعلى كل حال الليلة ليلة عظيمة، الليلة هي الليلة التي ينتظرها بعض الأفراد سنة كاملة، سنة كاملة ينتظرون ليلة الثالث والعشرين. ينتظرون العشق مع الله، ينتظرون أن يضعوا القرآن ـ هذه النعمة الإلهية العظيمة ـ على رؤوسهم ويقولوا يا الله وعندما يقول المرء يا الله فكأنما قد أعطاه الله الدنيا.

أرادوا أن يمتحنوا إبراهيم عليه السلام، فجاء جبرائيل وميكائيل معاً فصاح أحدهما من المُشرق بصوت مرتفع: «سُبّوح قدّوس» وصاح الآخر من المغرب: «ربُّنا وربُّ الملائكة والروح» فأحدث هذا الصوت ضجيجاً على سطح الأرض. فصرخ إبراهيم عليه السلام وقال: يا مَن نطق باسم محبوبي إن

كررته ثانية فإني أعطيك نصف مالي. فقال جبرائيل: «سبوح قدوس» وقال مكيائيل: «ربّنا وربّ الملائكة والروح»، فأثر اسم المعشوق على قلب العاشق على قلب إبراهيم عليه السلام فقال ثانياً: يا مَن نطق باسم محبوبي إن نطقت باسم محبوبي مرّة أُخرىٰ فاني أهبك جميع مالي. فكررا قوليهما. فقال إبراهيم: لم يبق شيء عندي، فإني نطقت باسم محبوبي أُخرىٰ فاني أملّكك نفسي. أي إني أهب نفسي في طريق محبوبي، فكرر جبرائيل وميكائيل اسم الله. فقال إبراهيم: لا شيء عندي تعالوا فجميع مالي مالكم وروحي فداء اسم محبوبي. ولمثل هذا العبد يقال انه أدرك ما هو الدعاء وأدرك ما تعني «يا الله» و «يا ربّ».

وتنقل قصة عن محمود الغزنوي وأياز ـ لقد كان أياز هذا إنساناً عجيباً، كان غلاماً أسوداً، ومحمود الغزنوي هو فاتح الهند. وكان محمود يحب هذا الغلام الأسود حبّاً شديداً، وفي ليلة حينما كانا يسيران في إحدىٰ الأزقة ووصلا إلى موقد حمام فوجدا شيئاً عجيباً هناك، وجدا رجلاً أسود وامرأة سوداء وقد افترشا الرماد وقليل من الخمرة مقابلهما وكانت المرأة تسكب الخمرة في وعاء من خزف وتسقيه زوجها، وهو يشرب وينظر إلى زوجته ويقول: إنك امرأة جميلة فهل خلق الله امرأة أجمل منك؟ فضحك محمود الغزنوي ساخراً. فقال أياز لمحمود الغزنوي: أتعلم أيها السلطان بوجود أفراد يسخرون من دولتك؟ قال لقد ضحكت على هؤلاء وكان ضحكاً في محلّه، ولكن من الذي يضحك على قصري؟ قال: أشخاص ينهضون من فراشهم نصف الليل ويكسرون الجليد ويتوضأون به ويصلّون، وعندما يقولون الله أكبر فانهم يضعون الدنيا وما فيها تحت أقدامهم. وحينئذٍ فإنّك وقصرك لا تكون شيئاً عندهم.

ويقول بابا طاهر (شعر):

هنيئاً لأولئك الذين قد عشقوا الله فكل شغلهم بالحمد وقل هو الله.

هنيئاً لأولئك الذين في صلاة دائمة وجنة الخلد صارت سوقهم.

وقد أخطأ بابا طاهر هنا، فليس محلّهم جنّة الخلد بل مكانهم عند الله وجوار الله.

فهنيئاً لأولئك الذين هم في صلاة دائمة وقد صار مكانهم جوار الله.

وهنيئاً لأولئك الذين استطاعوا أن يركلوا في الدنيا ما في الدنيا بأقدامهم.

هنيئاً لأولئك الذين استطاعوا ان يركلوا في الآخرة الجنة وما فيها، وليس في قلوبهم سوىٰ الله.

يقول هلال بن نافع: ذهبت إلى المقتل فرأيت كأنه عريس في حجلة عرسه كم هو مشع!! رأيت بعد ان نزف الدم من بدنه المبارك انه لم يبق لصوته جوهر، لم يترك العطش لصوته جوهراً. يقول: رأيت شفتيه المباركتين تتحركان، فتعجبت ماذا عساه أن يقول، هل يلعن هؤلاء القوم في آخر المطاف؟ تقدمت نحوه خطوات فسمعته يقول وقد ركل جميع الأشياء بقدمه:

«رضياً» بقضائك، صبراً على بلائك، لا معبود سواك، رضا الله رضانا أهل البيت» افتخاري أن كل شيء أعطيته في سبيلك. إلهي راضٍ برضاك. إلهي جئت إلى هنا من أجل دينك. جئت لتكون راضياً عني. إلهي انّ رضانا هو رضاك. ورضاك هو رضانا أهل البيت. يعني يا إلهي أنه أمر صعب، ولكني حاضر أن تكون زينب أسيرة وأطفالي مشردين في الصحراء من أجلك وأجل دينك «رضا الله رضانا أهل البيت».

الدرس الخامس عشر

من هو علي؟

- كلام القرآن في علي عليه السلام.
- مظلومية علي عليه السلام.
- خدمة الخلق منشأ سرور الأئمة عليهم السلام.

من هو علي؟

اليوم ذكرىٰ استشهاد مولىٰ الموحّدين، أمير المؤمنين عليه السلام والمصيبة عظيمة على العالم الإسلامي وعلى عالم البشرية. وقد تحدثوا عن كثير في فضائله وكتبوا كثيراً ولكن لم يجيبوا على هذا السؤال إلى الآن: «من هو علي؟» ولا يمكن أيضاً أن نجيب على ذلك. وقد كُتب الكثير حول هذا الموضوع من الشيعة والسنة والنصارىٰ، وحتى كتب عن علي عليه السلام بعض الأشخاص الذين لا يؤمنون بالله سبحانه، ولكن إلى الآن لم يستطع أحد الجواب على هذا السؤال.

ـ كلام القرآن حول علي عليه السلام:

يوجد في القرآن تعريف عن علي عليه السلام بشكل مختصر فقط بناءً على تفسير الإمام الهادي عليه السلام لذلك وبناءً على ما نقله الخوارزمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ولو ان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة

أبحر ما نفدت كلمات الله﴾[1] .

أي إذا كان البحر حبراً، وجميع الأشجار أقلام، وجميع الناس كتّاب، وأرادوا كتابة فضل علي عليه السلام فانّ البحر ينفد وفضائل علي لا تنفد.

ثم يعقب القرآن: إذا ملىء البحر سبع مرات وكتبوا منه فضائله فانّ ماء البحر ينفد وفضائل علي عليه السلام لا تنفد.

ينقل الخوارزمي وهو سني المذهب: سُئل رسول الله: يا رسول الله مَنْ هم كلمات الله؟ فأجاب صلى الله عليه وآله وسلم: عترتي، علي والأحد عشر من أولاده.

سُئل الإمام الهادي عليه السلام: ما هي كلمات الله؟ فقال: نحن أهل البيت. يعني إذا سُئلت عن علي من هو؟ فيجب أن تقول: علي هو ذلك الذي يقول عنه القرآن: لو امتلأ البحر سبع مرات وكتبوا فضائل علي عليه السلام لنفدت قبل ان تنفد فضائله.

وقد اقتبس شاعر هذا المعنىٰ من الآية الشريفة وقال ما يليق به «كتاب فضلك لا يكيفه ماء البحر فمتىٰ اتمكن من عده وتقليب صفحاته».

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«جميع القرآن في سورة الحمد، وجميع سورة الحمد في بسم الله الرحمن الرحيم، وجميع بسم الله الرحمن الرحيم في نقطة باء بسم الله، وأنا النقطة قال الشاعر (ما معناه):

أنت النقطة التي فوق فاء «فوق أيديهم» نزلت تحت باء بسم الله حين التنزل.

عجب أن نفتخر بأننا شيعة هذا إذا عملنا بالتشيع.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

ـ مظلومية علي عليه السلام :

لم يأتِ في العالم مظلوم مثل أمير المؤمنين عليه السلام ولن يأتي. ومظلوميته عليه السلام أكبر من مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وأكبر من مظلومية الزهراء عليها السلام بالرغم من عظيم ما وقع عليهما من الظلم.

عاش علي عليه السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون عاماً، خمسة وعشرين عاماً منها كان جليس البيت ولكنه أنجز أعمالاً كثيرة أهمها إشرافه الكامل على الإسلام، إلى حدّ أن الزمخشري يقول في كتابه: لقد استجد ثلاث وسبعون مورداً حساساً لو لم يكن علي موجوداً فيها لفنى الإسلام. وقال عمر في ثلاث وسبعين موضعاً: «لولا علي لهلك عمر» أي أن الإسلام كان قد وقع في خطرٍ شديد. كما أنّه عليه السلام استطاع في تلك المدّة إحياء وإعمار (٢٦) مزرعة وأوقفها على الضعفاء والمحتاجين.

وعلي بأعماله يقول لنا إن كنتم شيعة حقيقة فيجب ان تكونوا بالحالة اللائقة وتفكروا بالضعفاء والفقراء وأن تفكروا بالثغرات الموجودة سواء في الأفراد أو المجتمع.

لقد كانت هذه المدّة صعبة على علي عليه السلام إذ يقول: صبرت خمسة وعشرين عاماً وفي الحلق شجىٰ وفي العين قذىٰ.

وعندما فرضوا الخلافة بإصرار شديد قال لهم: لا يمكن عمل شيء، لأنّ الطريق قد صار معوجّاً إلى حدّ لا يمكن إصلاحه. ولكنه أخيراً حُمِّل الخلافة.

وقال: أكون خليفة لكم ولكن بشرط ان أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيه فقبل الجميع شرطه. ولكن لم تمضِ شهران حتىٰ شهر السيف مجموعة

من الطالبين للزعامة والمشعوذين وعبدة المال، حفنة من الأشخاص لم يكونوا يعرفوا علياً حق معرفته، جاءت أولاً مجموعة منهم إلى علي عليه السلام وعندما وصلوا كان الإمام مشغولاً في حساب بيت المال. وبعد أن أتم عمله بدى هؤلاء بالشكوىٰ وقالوا: لقد جئناك لأمر لماذا لا تهتم بأمورنا؟ وحينما بدأوا بالشكوىٰ أطفأ علي عليه السلام الشمعة. فقالوا: لماذا أطفأت الشمعة؟ قال: منذ ذلك الوقت إلى الآن كنت أعمل في حسابات بيت المال، وأمّا الآن فانكم تريدون أن تتحدثوا بأمر شخصي وخارج عن بيت المال ولا يمكن ان اشعل شمعة بيت المال لأمر كهذا.

فقال هؤلاء في أنفسهم: إنّه على غير استعداد أن يحرق شمعة واحدة من أموال المسلمين في كلام خاص فكيف يمكن أن يعطي الرئاسة أو الأموال في غير محلها؟

وأخيراً ذهبوا وأشعلوا نار حرب الجمل، وجمعوا في معركة الجمل أربعين ألفاً من الناس العوام حولهم من مكة والمدينة والبصرة ومُدن أُخرىٰ وقاتلوا علياً. وكانت هذه الحرب صعبة جداً على علي عليه السلام ـ نظير الحرب المفروضة على إيران ثمان سنوات ـ قتل المسلمين كان أمراً صعباً جداً على أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن لا سبيل غير ذلك، وقد رأىٰ أن الإسلام في خطر ويريد هؤلاء المجرمون وعبدة المال أن يمحوا ذكر الإسلام. ولهذا فقد حفظ الإسلام بسيفه فقتل بعضهم وتفرق الآخرون. وانتهت حرب الجمل ولكن تركت في قلب علي عليه السلام حسرة.

وقد قام بحرب الجمل أهل الرذيلة وعبّاد المال وطلّاب الرئاسة والأشخاص الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، لماذا القىٰ عليه السلام نفسه في هذه الحرب لأنه كان متعهداً بالمحافظة على بيت مال المسلمين، وقد كتب إلى ولاته: «أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا عني فضولكم

وَاقصدوا قصد المعاني وإياكم والإكثار فانّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار»[1] .

يا شيعة علي خذوا الدرس من كلام علي هذا وعند خروجكم من المجلس. فإذا كنتم ـ لا سمح الله ـ غير دقيقين في أموال المسلمين، وكنتم لا أباليين، فكونوا من هذه اللحظة فما بعدها من شيعة علي. ودققوا إلى حد الشعرة. فقد كان علي مع دقة حسابه يبكي في الأسحار ويدور حول نفسه (خوفاً من احتمال كونه غير دقيق إلى حدٍ كافٍ أو كونه مقصراً) ويدعو الله قائلاً: «اللهم إني أعوذ بك من نقاش الحساب» إلهي أعوذ بك من حسابك يوم القيامة حيث لا تترك الشعرة.

ولهذا كان يبكي ويئن ويضج خوفاً من أن يكون قد علق في يده شيء من أموال الناس. ويقول في موضع آخر من نهج البلاغة:

«والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته»[2] .

وهذا ليس إفراطاً، هذا كلام المعصوم. يريد ان يقول لنا: إحذر من أن يكون في عملك ظلم! واحذر ان تظلم زوجتك وأطفالك في البيت! وأنت أيتها السيدة إحذري أن تظلمي زوجك! إحذروا من وجود الظلم في حياتكم.

فليحذر الجميع وليحافظوا على ماء وجوه الناس. الغيبة ظلم، التهمة ظلم. الشائعة التي تفرق الناس ظلم، وظلمها جسيم. يقول عليه السلام:

أكل درهم من الربا تعادل سبعين زنية بذات محرم. ثم يقول: والغيبة

---

(١) خصال الصدوق: ج١ ص١٤٩.

(٢) نهج البلاغة فيض الإسلام: خطبة ٢١٥.

ذنب أعظم من الربا. احذروا لا تظلموا المسلمين وتذهبوا بماء وجوههم! إن الله يحب ماء وجوه المسلمين.

خدمة الناس منشأ سرور الأئمة عليهم السلام:

إذا كنت تريد قضاء حوائجك، وإذا كنت تريد ان تكون عاقبتك على خير، وإذا أردت تأمين مستقبل أولادك، فاسع ما استطعت لقضاء حوائج الناس، لأن رضا الله ورضا رسوله ورضا الأئمة المعصومين عليهم السلام في هذا العمل. وسخطهم في ظلم المسلمين وحتى في التمييز في التعامل معهم.

يقول الراوي: كنت جالساً تحت منبر الإمام الصادق عليه السلام فقال ضمن خطبة له: يا شيعتنا لماذا تؤذون قلوبنا إلى هذا الحد؟ لماذا تؤذوننا إلى هذا الحد؟ فقام إليه رجل في وسط المجلس وقال: يا ابن رسول الله متى آذيناكم؟ فقال عليه السلام: قبل يومين. وأضاف قائلاً: ألم تكن قد أتيت من مِنى راكباً ألم تصادف في وسط الطريق رجلاً متعباً كان على جانب الطريق وطلب منك أن تركبه معك، وأنت تستطيع إردافه معك ولكنك لم تفعل إنك قد آذيت رسول الله، وآذيت أمير المؤمنين، وهذا وضع من يكون لا أبالياً.

لقد تحمل أمير المؤمنين عليه السلام معركة الجمل من أجل مواجهة الرذيلة، من أجل أن لا يكون هناك ظلم، من أجل إيصال حق المسلمين إليهم، وقد كانت المصيبة الأكبر أي معركة صفين ومعركة النهروان وحرب الخوراج كانت من أجل مواجهة الرذيلة والدناءة والظلم أيضاً.

الدرس السادس عشر

فضيلة الدعاء (٢)

- الدعاء حوار مع الله .
- الدعاء سبب لتعرف الإنسان على واقع نفسه .
- الدعاء هدوء الروح .
- الدعاء سبب الابتعاد عن الذنوب .

فضيلة الدعاء (٢)

الدعاء حوار مع الله:

يقع البحث حول الدعاء والمناجاة مع الله. الدعاء والمناجاة مع الله هي حالة قبل أن تكون مجرد قول. وبما أنّها تنبع من عمق روح الإنسان فانها تُعدّ من الفضائل، كما أن التوبة هي فضيلة أيضاً قبل أن تكون مجرد قول.

وبحث اليوم هو في الفوائد العظيمة للدعاء بحيث يعتبر استجابة الدعاء عند أصحاب القلوب الحيّة في مقابل هذه الفوائد لا شيء. ومن جملتها الحوار مع الله. والإنسان مهما كان مقدار حبه لله وارتباطه به تعالىٰ ـ لا يشترط أن يكون عاشقاً لله ـ يجب ان تكون أحسن لذة لديه هي الدعاء. ومن هنا فانّ من لا يجد لذة في قراءة القرآن والدعاء والصلاة فيجب ان يعلم أنه في مصيبة كبيرة.

نقرأ في الروايات ان موسىٰ عليه السلام ذهب للمناجاة فقال له رجل: قل لربك اني صاحب ذنوب كبيرة فلماذا لا يعذبني؟ وذهب موسىٰ للمناجاة وعندما عزم على الرجوع خوطب: يا موسىٰ لماذا لم توصل رسالة عبدي

لي؟ فقال موسىٰ: إلهي استحييت منك وأنت تعلم ماذا قال عبدك. فخوطب: يا موسىٰ قل لعبدي لقد ابتليته بأعظم شيء ولكنه لم يلتفت إلى ذلك، قل له: لقد سلبت منه لذّة دعائي ومناجاتي.

وتعتبر هذه الرواية عند علماء الأخلاق والعرفان وأهل القلوب الحيّة رواية أساسية. فالإنسان الذي ليس له مع الله مناجاة ليس شيئاً أصلاً. والإنسان الذي لا يجد لذة في قراءة القرآن والصلاة فهو مريض وصاحب قلب أسود، يقول القرآن:

﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾[1].

ويل لذلك القلب الذي صار من أثر الذنوب والانشغال بهذه الدنيا قاسياً وللقلب الأسود علامات، وإحدىٰ علاماته هي عدم الشعور باللذة حين الصلاة وقراءة القرآن.

ولذا فالفائدة الأولىٰ للدعاء هي الحوار مع الله، التحدث إلى الله. ونضرب لذلك مثلاً: إذا أعطيت فرصة عشرة دقائق للقاء خاص مع الإمام قدّس سره لكي تتحدث معه، فانّ قلبك سيحمل همّ ذلك، وسوف لن تنام في تلك الليلة، وستكون تلك الدقائق ذات قيمة كبيرة لك.

إذ ستكرر الحديث حول ذلك اينما ذهبت. مع أن الإمام عبد من عبيد الله.

الدعاء سبب معرفة الإنسان لواقع نفسه:

والنتيجة الثانية للدعاء هي أنّ الإنسان يعرف ربه ونفسه في الدعاء وفي رواية: «مَن عرف نفسه فقد عرف ربه»[2] إذا استطاع الإنسان أن يعرف نفسه

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٢) غرر الحكم.

فقد عرف ربّه.

وفي دعاء النبي الأكرم ﷺ: «اللهم أرنا الأشياء كما هي» يعني اللهم أرنا عالم الوجود كما هو، اللهمَّ أرنا أنفسنا كما هي كيف أنا حقيقة؟ فقر محض.

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾(١).

الغنى المحض له سبحانه. والفقر المحض لنا. إذا كانت واحدة من نِعم الله التي أنعمها علينا غير موجودة فما هو مقدار المصيبة التي ستحل بنا. هل قلت في وقت ما عندما تتنفس: «الحمد لله ربّ العالمين»؟.

كل نفس يُستنشق يمدّ الحياة وعندما يرجع يُفرح الذات. إذن في كل نفس نعمتان. والشكر واجب على كل نعمة.

﴿اعملوا آل داوُد شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾(٢).

نحن فقر محض، لو حبس الله سبحانه عنا الهواء لحظة واحدة على حد تعبير القرآن الشريف لو غار ماؤكم فمن يأتيكم بماء معين، وأخيراً لو حبس الله عنا نعمه التي لا تُعد ولا تحصىٰ فماذا عسانا أن نفعل؟ من غير الله سبحانه يستطيع إعادة هذه النعم لنا؟ إن ارتباط الإنسان بنعم الله سبحانه كارتباطه بظله لا يمكن أن ينفك عنه.

﴿الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القيوم﴾(٣).

الله قيوم على هذا العالم. يعني أنّ عالم الوجود مرتبط به سبحانه.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥، سورة آل عمران، الآية: ٢.

وإدراك هذا الغنىٰ واجب، كما ان إدراك فقر الإنسان واجب أيضاً. إذا أدرك الإنسان «الفقر» فلن تأتي «الانانية» إلى الوجود. الروح الفرعونية موجودة في الجميع. وإذا تهيأت الأرضية المناسبة فانّ أكثر الناس تقول: «أنا ربّكم الأعلىٰ» إلاّ من استطاع كسر أنانيته. ولم تتهيأ الفرصة لأمريكا المجرمة وصدام المجنون أن يقولوا «أنا ربكم الأعلى» وإلاّ لقالوها. وقد تهيأت الأرضية لفرعون فقال ذلك. وبالنسبة لنا أيضاً فانه إذا توفرت الأرضية المناسبة فاننا نقول لأطفالنا ونساءنا «أنا ربكم الأعلىٰ». والآن إذا لم نستطع ان نقول ذلك ولكن نبدأ بامتداح أنفسنا ونساءنا وأطفالنا. الجميع يقولون أنا! أنا! وهي نفس قول «أنا ربكم الأعلىٰ».

أرجو منكم، من النساء ومن الرجال أن لا تتحدثوا عن أنفسكم فهذه صفة سيئة، وكل من يتحدث عن نفسه فانه سيخسر بنفس ذلك المقدار، وسيهبط بمقدار ما يتحدث عن نفسه. وإذا أردنا ان نرتفع إلى الأعلىٰ فعلينا بالتواضع. نقرأ في الروايات: «مَن تكبر وضعه الله ومَن تواضع رفعه الله».

وأكثر الصفات الرذيلة تنبع من هذه «الأنانية». ومع الأسف فانّ كثيراً من الناس لا يستطيعون كسر هذه الأنانية، ولذلك فهم يرتكبون ذنوباً. كبيرة. وعندما يستطيع الإنسان كسر هذه الأنانية فانه يستطيع ان يدرك نفسه يقول علي عليه السلام:

«عجبت لابن آدم أوله نطفة وآخره جيفة وهو قائم بينهما وعاء للغائط ثم يتكبّر»[1].

يعني أيها الإنسان أولك نطفة وآخرك جيفة، ورائحة الجيفة قد انتشرت في كل مكان، وأنت بين النطفة والجيفة تحمل العذرة، إنك كنّاس

(١) بحار الأنوار: ج٧٣ ص٢٣٤.

في هذه الدنيا فلماذا تتكبر؟

إنّ الدعاء والمناجاة مع الله يقلع جذور هذه الأنانية من الإنسان، في ذلك الوقت الذي يبكي فيه وينتحب. في البداية يرى نفسه ضئيلاً أمام الله، وفي نفس الوقت الذي يطلب فيه شيئاً من الله فإنّه يثبت الغنىٰ المطلق لله تعالىٰ والفقر المطلق لنفسه عملياً.

الدعاء يعني إدراك الفقر المطلق له والغنىٰ المطلق لله سبحانه. وبمرور الزمن يصل الإنسان إلى هذه النتيجة بأن الدعاء فضيلة كبيرة جداً. ولا يكون هذا الشخص حينئذٍ ممن يجلس ويتحدث عن نفسه ولم يكن الإمام قدس سره يتحدث في المجالس الخصوصية والعمومية شيئاً. وحينما يقال له لماذا لم تتحدث في المجلس الفلاني الذي كان فيه الحديث عن البحث العلمي، كان يقول: لم يكن شيئاً ضرورياً لماذا يتحدث الإنسان؟ لماذا يقول الإنسان الشيء الذي يوجب التفاخر وتركيز الأنانية؟ ومن هذا المنحىٰ كانت إحدىٰ الصفات الرفيعة التي يتصف بها الإمام قدس سره هي أنه كان بطلاً في مجالس الدرس والمباحثة ولكنه كان ساكتاً تماماً في المجالس الأُخرىٰ ويحتاج هذا إلى تهذيب متواصل ليستطيع الإنسان الوصول إلى هذه الدرجة والدعاء والمناجاة مع الله يمنح الإنسان هذه القدرة على بناء نفسه.

وإذا كنت قد قلت لكم بأنّ «مفاتيح الجنان» للمحدث القمي معمل صناعة الإنسان فاني لم أخطىء في ذلك فاقتفوا أثر هذه النصائح. الدعاء يجعل الإنسان متواضعاً، ويفهم بأنّ العظمة فقط لله سبحانه.

طلب أحد الملوك نصيحة من أحد العرفاء، فقال العارف: إذا كنت عطشاناً وقد أشرفت على الموت لشدة العطش فماذا كنت تعطي لتشرب الماء؟ فقال: نصف مُلكي وسلطاني. فقال العارف: إذا انحبس الماء الذي

شربته في بدنك فماذا كنت تعطي ليخرج بولك؟ قال: نصف سلطاني.

فقال العارف: إذن لا فخر لك في سلطانك الذي ساوىٰ قدح من الماء شربته ثم أرقته. فليس محلاً للتفاخر ولا للشعور بالعظمة.

وهذه «الأنا» كثيرة في أوساط الجميع. موجودة في أوساط النساء، وموجودة في أوساط الرجال. ويستطيع الدعاء والمناجاة مع الله أن يزيل ذلك.

ـ الدعاء هدوء الروح:

وللدعاء فائدة أُخرىٰ أيضاً وهي لدنيانا أيضاً جيدة. فإذا ترك الإنسان الهموم والغموم في قلبه تتحول إلى عقدة. فانّ الكثير من المجرمين أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي وجنكيز كانوا من وجهة نظر علم النفس معقدين. وأغلب النساء اللجوجات أو النساء اللاتي لا تستطيع التوفيق في حياتها الزوجية هنَّ نساء معقدات. وتبدأ العقدة من هنا إذ تنتقل الآلام والغموم من الشعور إلى اللاشعور. ومن هنا يقول علماء النفس: إذا كان عندك هم وغم فتحدث به إلى من تراه أميناً، الزوجة تحكي لزوجها والزوج يحكي لزوجته.

وكثير من الاختلافات العائلية تنشأ من هذا الأمر إذ يكون هناك مشكلة تشغل القلب ولكن لا يحدث أحدهما الآخر بها. بدل أن تحتفظ بها في قلبك اذهب وقل له ما يؤلم قلبك، قل له ان هذا الحزن هو منك. وأمّا إذا خزنته في قلبك فستسبب به عقدة، والعقدة تجرّ إلى ضعف الأعصاب، وضعف الأعصاب يتبعها التعاسة وسوء الحظ.

ولذا يقوم الأطباء النفسانيون المخلصون بالدخول في حوار طويل لمدة طويلة مع هؤلاء المرضىٰ المصابين بضعف الأعصاب. وأخيراً يتماثل المريض للشفاء بالكلام والتحادث معه.

المناجاة مع الله يعني إخراج هموم القلب وأحزانه مع أمين وذلك الأمين مثل الله، مع قادر مثل الله، مع رؤوف ورحيم مثل الله. ومن هو أكثر عطفاً من الله؟ ومن أكثر من الله أمانةً وكتماناً للسرّ؟ فالدعاء والمناجاة هي في الواقع بث الهم والحزن إلى الله. وحتى لو لم يكن هناك صلاح في استجابة دعاءك ولكن قلبك سيفرغ من الهموم. وعلى حدّ تعبير العوام: يصير خفيفاً. ومن هنا فانّ من يُحيي هذه الليالي يجد نفسه مرتاحاً، وعندما يخرج من مجالس الإحياء يحسّ بالهدوء والنشوة، ويحسّ بالفرح. فذلك البكاء وقول يا الله يا الله قد جلب إليه الهدوء والطمأنينة.

ـ الدعاء سبب الابتعاد عن الذنوب:

والنتيجة المهمة الأُخرىٰ للدعاء هي أنه صمام أمان:

﴿انّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾[1].

يقول القرآن: الصلاة صمام أمان ووسيلة سيطرة، ولكن ذكر الله في القلب يُبعد الإنسان عن الذنوب أكثر من الصلاة.

ونستفيد من هذه الآية بأن فضيلة الدعاء والمناجاة مع الله في مرتبة أعلىٰ من الصلاة. وقد جاء في الروايات: «الدعاء مخ العبادة»[2].

وأصل الصلاة هو الدعاء أيضاً. والدعاء هو خلاصة جميع العبادات. تقول هذه الآية الشريفة بأن الصلاة قوة سيطرة، ولكن أيُّ صلاة؟ فإذا كانت الصلاة حقيقية وواقعية فلا تدع الإنسان يرتكب ذنباً أبداً.

وإذا صلّىٰ شخص صلاة الصبح الواقعية، الصلاة وليس في القلب

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٠ ص٣٠٠.

تكبر، ولا حسد، ولا حقد وأنانية، الصلاة والإنسان غير ملوث بالذنوب، فهاتان الركعتان بالإضافة إلى أنها توجب للإنسان الجنة فانها ستحافظ عليه من ارتكاب الذنوب إلى الليل. وقد ضمن القرآن هذا الموضوع. فلا تأخذ الصلاة الإنسان إلى طريق مسدود.

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾[1].

يعني والعياذ بالله إذا تهيأ المجال للسرقة وعدم العفة والغيبة... الخ فانّ الصلاة تمنع منها. صلاة الصبح لا تدع صاحبها يفتضح بهذه الذنوب.

وبناءً على هذا فانّا ندق جرس الخطر إلى غير المصلين، وإلى الذين يصلون وهم كُسالىٰ: احذروا فانّ الصلاة إذا لم تقيد أيديكم فانكم ستحولون إلى قتلة وزناة وكل عمل يمكن ان يصدر عنكم. وأوصي الشباب خاصة أيها الشباب إذا أردتم أن يأخذ الله بأيديكم في المآزق، ان تأخذوا الصلاة بأيديكم، فاهتموا بالصلاة، وخصوصاً بالصلاة في أول الوقت. وإذا لم تولوا أهمية للصلاة فاعلموا ان الله لا يستجيب لصرخاتكم في المآزق، وعندما لا يستجيب الله لصرخاتكم فانكم ستنكفئوا على وجوهكم.

وقد وعد الله الرحيم في القرآن ان يأخذ بأيدي المصلين في المآزق، ووعد الله في القرآن ان يأخذ بأيدي أهل الدعاء والمناجاة في المآزق. ولهذا لا تقول دعوت فلم يُستجب لي. اذهبوا إلى مجالس الدعاء والإحياء

في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك هيئوا لأنفسكم قوة السيطرة لمدة سنة، اضمنوا أنفسكم عند الله سنة، ادعوا فإن كانت هناك مصلحة فانّ الله يستجيب لكم، وان لم تكن هناك مصلحة فانّكم ستعطون شيئاً أفضل من الإجابة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

وخلاصة البحث ان الدعاء بالإصافة إلى انّه مُستجاب، وبالإضافة إلى أن فيه ثواباً كثيراً، فانّ فيه فوائد أُخرىٰ جليلة بحيث ان إجابة الدعاء لا تساوي في مقابلها شيئاً.

وبناءً على هذا فانّ عليكم إيجاد حالة المناجاة مع الله التوبة والإنابة لا في ليالي القدر فقط بل في جميع أحوالكم. أحيوا الفطرة التي وهبها الله لكم. وليكن دعاءكم وتوبتكم دائماً نابعين من أعماق الروح، اجعلوا ماء تلك العين زلالاً. عين الإيمان واليقين. دعوا هذا الماء يخرج ويسيل حتى تكون ان شاء الله ألسنتكم وقلوبكم تقول بشكل لا إرادي العفو العفو ويا الله يا الله.

الدرس السابع عشر

فضيلة الدعاء (٣)

- أسباب عدم استجابة الدعاء.
- الذنب يمنع إجابة الدعاء.
- الصفات الرذيلة مانع آخر.
- التوسل بالمعصومين عليهم السلام شرط إجابة الدعاء.
- ربما تكون إجابة الدعاء ليست من المصلحة.

فضيلة الدعاء (٣)

ـ أسباب عدم استجابة الدعاء:

كان البحث حول فضيلة الدعاء والمناجاة مع الله سبحانه، وقد تقدم الكلام فيه. وهناك سؤال حول هذا البحث تتوفر في هدا الدرس للإجابة عليه:

والسؤال هو: يقول الله تعالىٰ: ﴿ادعوني استجب لكم﴾[1] إذن فلماذا ندعو فلا يستجاب لنا؟

الذنب يمنع إجابة الدعاء:

جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: آيتان في القرآن لا أعرف معناهما، احداهما قوله تعالىٰ: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ فاني مهما دعوت لم يُستجب لي، فقال عليه السلام: إنّ الله لا يخلف وعده. ولكن للدعاء طريق وطريقه أن تبتعد عن الذنوب، فإذا كان الدعاء توأماً مع الذنب فانّ ذلك الذنب يمنع من إجابة الدعاء.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

ونقرأ في ليالي الجمعة في دعاء كميل: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء» أي ان الذنب يمنع من وصول الدعاء إلى الحضرة الربوبية، يمنع الدعاء من الوصول إلى السماء الأولىٰ فكيف يصل إلى الحضرة الربوبية.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: لا تذنب وحينئذٍ ترىٰ كيف يُستجاب دعاؤك. والآية الثانية التي سأل الإمام عنها فهي قوله تعالىٰ: **﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾**[1] يعني إذا تصدقتم فانّ الله سيعوضكم، وإذا أخرجتم الخمس من أموالكم فانّ الله يُعوض لكم ذلك.

يقول أحد أصدقائي: في نفس اليوم الذي أخرج فيه الخمس من أموالي يأتيني ما يساويها. وفي مرة أخرجت الخمس صباحاً ولكن لم يدخلني في صباح ذلك اليوم شيئاً فتعجبت من ذلك ولكن في عصر ذلك اليوم دخلني ضعف ما أعطيت.

سُئل الإمام عليه السلام: يا بن رسول الله اني أنفق الكثير من أموالي ولكن الله لم يعوضني شيئاً. فقال الإمام عليه السلام: أفيخلف الله وعده؟ فقال لا ولكن لا أفهم معنى هذه الآية: فقال عليه السلام: انفق من طريق الحلال وإذا لم تُعوض فحينئذٍ.

وعندما يكون المال مال شبهة وملوث وقد حصل عن طريق الغلاء والاحتكار والرباء والرشوة وأخيراً من طريق الحرام فانه لم ينفق في الحقيقة. وإذا كان الانفاق من ماله الواقعي فان الله تعالىٰ حتماً سيخلفه.

حفرت زبيدة زوجة الملعون هارون الرشيد قناةً على بُعد ستة فراسخ من مكة لجلب الماء إلى مكة، ومنذ ألف عام إلى الآن لم تجف هذه القناة

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

وماء زمزم من تلك القناة، وقد شوهدت زبيدة في عالم الرؤيا بحال سيّىء. فقيل لها: ان حالك كان ينبغي أن يكون أفضل لهذا العمل الكبير الذي أنجزتيه. فتحسرت وقالت: لم أعط ثواباً علي. حفر تلك القناة لأنه كان من أموال المسلمين، كان من بيت مال المسلمين، وقد أعطى الله ثوابه إلى أصحاب المال الأصليين.

وبعضهم يأكل أموال الناس بالباطل ويقرأ مجالس التعزية. حسناً، انّ قراءته لمجالس التعزية يصير إلى الناس ولا يستطيع هو ان يأخذ ثوابه من الإمام الحسين عليه السلام. يجمع المال من طريق الحرام ثم يذهب إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، ويبقىٰ عشرة أيام هناك. يذهب إلى رأس قبر الإمام الرضا عليه السلام ويبكي وينتحب. ولكن لا خير، ثم يشتكي من الإمام الثامن انه لماذا لم يعطني جوابي. أيها السيد بمال من ذهبت إلى هناك؟ إذ لا يجوز الذهاب إلى مشهد بمال الغير ومن ثم نيل الإجابة والمراد. ان الإمام الرضا عليه السلام يعرض بوجهه عنك حين يراك، لا تقل لماذا لا يُستجاب دعائي. اذهبوا وانظروا أولاً هل امتلأت بطونكم من الحرام أو لا؟ وهل توجد الغيبة في منازلكم أم لا؟ كم توجه من التهم للمؤمنين؟ وهل النميمة والدس موجودان بين الزوجة والحماة كثيراً أم لا؟ عندما تكون الذنوب كثيرة في البيت فانّ الدعاء لا يُستجاب تذهب المرأة إلى مشهد بقميص بلا أكمام. وجوراب يحكي عن بدنها ويصطدم بدنها بالناس لكي تصل يدها إلى الضريح. وفي ذلك الوقت سيعرض الإمام عليه السلام بوجهه عنها، تبكي وتنحب ولكن دعاءها غير مُستجاب. فيا ليتها لم تذهب إلى مشهد بوضعها هذا. أفيمكن حين تأتي إلى حرم الإمام عليه السلام بالجوراب الذي يحكي بدنها والملابس التي تحكي بدنها وحين تضرب ببدنها غير المحارم أن يستجيب الله دعاءها؟.

وعندما تأتي إلى حرم السيدة المعصومة عليها السلام ويرىٰ وجهها المزين في الشارع ألف من غير محارمها من الرجال، وتتوقع في ذلك الوقت قضاء حاجتها؟ من المعلوم أنها لا تُقضىٰ. أرجو منكم على الأقل ان لا تعتبوا على الله.

(شعر):

كل ما يحصل هو من عدم استقامتنا وإلا لكان لكل زياراتنا ثمر وحساب.

الإمام الرضا والسيدة المعصومة عليهما السلام حاضران لقضاء الحوائج. وبنظرة لطف واحدة منهما ينقلون العالم من هذه الجهة إلى تلك الجهة. ولكن لا تؤلموا قلب الإمام الرضا عليه السلام. ولا تكونوا كحشرة النحل التي تلدغ بدن السيدة المعصومة عليها السلام لتقضي حوائجكم.

ـ الصفات الرذيلة مانع آخر:

الصفات الرذيلة مانع آخر من استجابة الدعاء حيث لا تدع الدعاء يرتفع إلى أعلىٰ. إذا أغلقتم فوهة قنينة وألقيتم بها في البحر فانّ قطرة واحدة لا تدخل القنينة، ولكن إذا تركتم فوهة القنينة مفتوحة فانها ستمتلىء من الماء خلال مدة قصيرة، لأن فوهتها كانت مفتوحة وقلب الإنسان كذلك. فهنيئاً للقلب المفتوح.

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾[1].

فذلك القلب البعيد عن الرذيلة هو قلب مفتوح، ويدخل إليه نور الله. وأمّا ذلك القلب الأسود الذي أغلقت الرذيلة بابه وإن كان نور الله منتشراً في

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

كل مكان ورحمة الله في كل مكان ولكن الرحمة لا تدخل في قنينة ذلك القلب. وهذا ليس قصوراً في رحمة الله بل تقصير الفوهة المسدودة لقنينة قلوبنا.

افتح باب قلبك فان رحمة الله ستدخلها، وحينئذٍ تدعو فيستجاب لك وأمّا القلب المملوء حسداً، والمملوء حقداً حتى لأمه أو أخته، فهو حسود إلى درجة لا يستطيع ان يرىٰ أخته ثرية، وبخيل إلى درجة أنه لا يصل أخته الفقيرة، فهذه القنينة بابها مغلق، وإذا قال ألف مرة يا الله فانّ رحمة الله لا تدخلها.

(شعر):

اغتسل ثم اقصد نحو الخرابات لئلا يتلوث هذا الدير منك.

فإذا نظف الإنسان قلبه وذهب إلى بيت الله وقال يا الله، فانّ «يا الله» هذه نور يدخل قلبه، أي أن دعاءه سيكون مستجاباً.

ـ التوسل بالمعصومين عليهم السلام شرط إجابة الدعاء:

الدعاء بلا توسل لا يؤدي إلى نتيجة. فمثلاً لو أردت أن أتحدث إليكم من خلف مكبر الصوت (المايكرفون) وأنتم أيضاً تستمعون، ولكن لم نتوسل بالكهرباء ولم نتوسل بمكبر الصوت فمن البديهي أنه لا يحصل شيء. وإذا لم يكن راديو قم موجوداً فانّ صوتي لا يصل إليكم يا أهل قم، فهذا الراديو واسطة بيني وبينكم.

والنبي الأكرم والأئمة الطاهرين عليهم السلام وسائط الفيض لهذا العالم، وحتى لو كان هذا الفيض هو تنفسي وتنفسكم، فانّ هذا التنفس هو بواسطة النبي الأكرم والزهراء والأئمة الطاهرين عليهم السلام. وقد طرح هذا الموضوع

القرآن والروايات. فهذه الزيارة الجامعة زيارة عالية جداً. أوصي وخاصة أصحاب الحاجات أن يقرأوا هذه الزيارة أربعين يوماً فانّ حوائجهم ستقضىٰ فوراً مهما كانت هذه الحوائج، اقرأوا هذه الزيارة الجامعة للأئمة الطاهرين متزلفين، وهناك في أواخر هذه الزيارة جملة تعلمنا كيف ندعوا تقول:

«بكم يفتح الله وبكم يختم وبكم يُنزل الغيث وبكم يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم يُنفس الهمّ ويكشف الضرّ».

أي أن عالم الوجود موجود بواسطة النبي وفاطمة الزهراء والأئمة الطاهرين عليهم السلام.

وعالم الوجود يعني جميع السماوات والأرض وما بينهما. «وبكم يُنزل الغيث» أي إذا نزل المطر فهو بواسطتكم. وإذا جاءتنا نعمة فهي بواسطتكم.

وإذا كنا نتمتع بنعمة السلامة ونعمة العقل فهي بواسطتكم. وكل نعمة ظاهرة وباطنة تأتينا من جانب الحق سبحانه فهي بواستطكم.

﴿وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾.

سيدي يا إمام الزمان بواسطتكم استقرت هذه الأرض. وإذا كانت هناك جنّة فهي من نور الزهراء. وإذا كانت هناك نعمة في هذه الدنيا فان الإمام الحسين عليه السلام هو واسطة فيضها، والآن ولي العصر عجّل الله فرجه الشريف، كذلك ولهذا نسميه بقطب عالم الإمكان، ومحور عالم الوجود. والواسطة بين الغيب والشهود.

«وبكم ينفس الهمّ ويكشف الضرّ».

وإذا أزيل همّ وغمّ عن قلب شخص فهو بواسطتكم. وإذا رُفع بلاء أو

مصيبة عن أحد فسببه أنتم. والشخص المبتلىٰ يجب أن ينادي: يا سيّدي يا إمام الزمان. ومَن كانت له حاجة عليه أن يقول: يا حسين يا علي: ويتقدم متوسلاً ويطلب حاجته من الله.

ربما تكون المصلحة في عدم إجابة الدعاء:

وبحث آخر وهو ان الله سبحانه يفعل وفق المصلحة فإذا كان في الشيء مصلحة فانّ ربَّ العالمين يوجده. وإذا لم يكن في الشيء مصلحة فليس من المعقول إيجاده، لأنه خلاف الحكمة والله حكيم. إذا كان الأمر كذلك فربما يرىٰ رب العالمين المصلحة في شيء فيعطيه من غير دعاء، وربما تكون المصلحة في أن يعطيك الله ما تُريد ولكن مع الدعاء، ولكن ربما لا تكون هنالك مصلحة في أن يعطيك الله شيئاً، ومهما تدعو حينئذٍ فلا يُستجاب لك كالطفل المصاب بالزكام والبطيخ مضرّ بصحته ولكنه يصرّ ويبكي يريد البطيخ، فقلبك يتألم عليه ولكنك لا ترىٰ مصلحة في إعطائه منه.

ولكي يتركز هذا الموضوع فقد بيّن القرآن الشريف قضية الخضر. وهذه القضية مهمة جداً وهي عرفانية وفلسفية بُينت في آخر سورة الكهف، يقول الإمام قدّس سره:

لقد حلّت هذه الآيات جميع المسائل الإسلامية الدقيقة: مسألة القضاء والقدر، الجبر والتفويض، مسألة البداء، كيفية نسبة الحدوث للقدم.

والقضية هي قتل الخضر للصبي، واعتراض موسىٰ عليه: لماذا قتلت هذا الصبي بلا سبب؟ فأجاب الخضر: قتلت الصبي لأنّه عندما يكبر سيكفر وتكون له سلطة على أمه وأبيه فيجعلهما كافرين، فأراد الله أن يبدلهما بولد صالح. وقد ورد في الروايات: «أبدلهما الله عزّ وجلّ به جارية ولدت سبعين

نبيّاً»[1] .

كان ثعلبة أحد أصحاب النبي الأكرم ﷺ، لم يكن رجلاً سيئاً ولكن عاقبته لم تكن على خير. جاء إلى النبي الأكرم ﷺ وقال: يا رسول الله ان قلبي يشتهي أن أملك شاة. فأخبره النبي بعدم صلاح ذلك له وأمره بالمواظبة على عبادته. ولكنه أصرّ ولم يعبأ بنصيحة النبي. فأعطاه النبي ﷺ شاة وجعل الله تعالىٰ فيها البركة فصارت الواحدة اثنتان والاثنتان أربعة وبعد عدة سنين صار قطيعاً. وكلما كانت تزداد شياهه كان يقلل مجيئه إلى صلاة الجماعة، فكان يأتي أحياناً وأُخرىٰ لا يأتي (مثل الناس المشغولين بالدنيا الذين لا يأتون إلى المسجد إلا قليلاً) وكان النبي يذكر أحياناً: يا ثعلبة كأن الدنيا أخذتّك.

ثم ازدادت غنمه فانتقل إلى خارج المدينة وذهبت من يده الصلاة والمسجد والمحراب حتى نزلت آية الصدقة:

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم ان صلاتك سكن لهم﴾[2] .

وأرسل النبي الأكرم ﷺ إلى ثعلبة شخصين أو ثلاثة ليأخذوا منه الزكاة، وعندما حسب ثعلبة وجد أنه يجب عليه ان يعطي زكاة كثيرة. فقال لهم: إني سأذهب إلى النبي. فأرسل له النبي أشخاصاً آخرين مرّتين لجباية الزكاة فلم يخرجها أيضا. وقال في المرة الثالثة: انّ هذه الزكاة كالجزية التي تؤخذ من النصارىٰ، أفيريد النبي ان يؤخذ منا جزية كما يأخذ منهم، إذن فما هو الفرق بين المسلمين والنصارىٰ؟ وأخبر النبي ﷺ بما قاله ثعلبة،

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥ ص١٠٢ ح٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

فتأذىٰ من ذلك. ثم التفت ثعلبة إلى سوء ما قاله فجاء إلى النبي وقال: يا رسول الله لقد أخطأت.

ولكن النبي أعرض عنه حتى ارتحل ﷺ عن هذه الدنيا. ثم تغيرت الأمور فلم يستطع أبو بكر أيضاً ان يأخذ الزكاة منه، جاء ليُعطي فلم يقدر. ولم يستطع عمر أيضاً ان يأخذ منه الزكاة، حتى جاء عثمان فأخذ الزكاة منه.

ماذا تبين لنا هذه القضية؟ نحن لا نقتنع فالآن أيها الشاب أمن الأفضل أن لا يستجيب الله دعاءك أم يستجيب ولكن تكون عاقبة أمرك إلى سوء كثعلبة؟ إذا أُزيحت الستائر حينئذٍ نعلم الحقيقة ومهما ازداد فانه يبقىٰ في مقابل جهلنا كنقطة في بحر. وحينما ينكشف الغطاء يُعلم ما الخبر. وأولئك الذين ارتفعت عنهم الحُجب بمقدار قليل عندما يريدون ان يدعوا يقولون: إذا كنت تعلم فيه مصلحة فاستجب لنا.

أحياناً ترىٰ شاباً يواظب على الدعاء من أجل تحسين وضعه المادّي. ويستجيب الله تعالىٰ له دعاءه ويصبح هذا الشاب ثرياً، ولكنه لا يعطي الخمس. وعندما لا يعطي الخمس ماذا سيكون؟ يذهب من الدنيا حين الموت مع بغض أمير المؤمنين عليه السلام. فهل هذا هو الأفضل له أم يبقىٰ فقيراً؟ لا تعتبوا علىّ الله. إذا كانت هناك مصلحة في أن يُعطيكم شيئاً عن طريق الدعاء فانّه يعطيكم ذلك.

وجملة أُخرىٰ هي ان الدعاء سوف لن يكون بلا نتيجة. أي أنه في نفس الوقت الذي ليس من المصلحة ان يعطيك ما دعوت به لكنه يعطيك بدله. أي أنه ليس من المصلحة ان يعطيك بيتاً مستقلاً ولكن يجعل عاقبتك على خير. وقد لا تستفيد من توبتك الخير الذي تريد لكنها تجعل عاقبتك خيراً.

قد تصرخ وتستغيث من أجل أداء القرض الذي يكون في ذمتك ولكن

لا يكون من المصلحة ان تبقىٰ بلا قرض. ومهما دعوت فلا يُستجاب لك. ولكن بدلاً من ذلك فانّ الله تعالىٰ يهبك ولداً صالحاً، أو إذا لم يكن من المصلحة أن يُستجاب دعاؤك في الدنيا أو إعطاء البدل، فانّ الله عزّ وجلّ يعطيك عوضه في يوم القيامة ونقرأ في الروايات أن كل من لم يُستجاب دعاؤه، كان فقيراً واكتوىٰ بنار فقره في الدنيا حتى مات. فانّ الله سبحانه يعطيه شيئاً إلى حد أنه يقول يا ليتني لم يستجب لي دعاء في الدنيا لأُجزى اليوم بثواب أعظم(١).

وكتب الشهيد في «مسكّن الفؤاد» يقول: كانت هناك امرأة تطرح في كل سنة جنيناً، وقد أسقطت عشرة أطفال تقريباً، وفي ليلة ناجت الله تعالىٰ قائلة: إلهي لقد ولدت عشرة أطفال ولكن ليس عندي منهم طفلاً. وعاتبت الله قليلاً. فرأت تلك المرأة في الليل مناماً كأنّها تُريد أن تدخل قصراً جميلاً جداً ولكن لم يُسمح لها بذلك وقيل لها: انّ هذا القصر لك ولكن بعد الموت لا الآن. وقال لها حارس القصر. ان الله تعالىٰ قد خلق هذا القصر لك بسبب المشاق التي تحملتيها. فسرّت المرأة كثيراً حينما سمعت هذا الكلام، واستيقظت من نومها فوراً وهي مسرورة. يقول المرحوم الشهيد: حينما استقيظت هذه المرأة من نومها مسرورة قالت: إلهي إني على استعداد ان أُسقط في كل سنة مرتان أو ثلاثة.

نحن غير ملتفتين وإلا لقلنا يا ليتنا لم يُستجب لنا دعاء أصلاً ليكون ثوابنا أعظم في يوم القيامة. أو نقول في يوم القيامة: إلهنا ليتنا كانت مصائبنا في

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٠ ص٣٧٤ ـ ٣٧٥.

الدنيا أكثر أو بلاءنا في الدنيا أكثر .

(شعر) :

كل من كان مقرباً أكثر إلى هذه العتبة يسقونه كؤوساً من البلاء أكثر .

الدرس الثامن عشر

فضيلة الإخلاص في العمل (١)

- معنىٰ الخلوص.
- إخلاص علي عليه السلام.
- نزول آية الولاية.
- رواية من منية المريد حول الإخلاص.
- أويس القرني.
- نموذج الإخلاص في القرن الأخير.

فضيلة الإخلاص في العمل (١)

كان البحث حول الفضائل والرذائل الأخلاقية. وبحث اليوم حول فضيلة عالية جداً بحيث يجب أن تكون جميع الأعمال والأقوال والأفكار مصبوغة بلون هذه الفضيلة. وتلك الفضيلة هي الإخلاص في العمل.

وكلمة «الاخلاص» و «الخلوص» كلمة مقدسة. وعندما يفكر الإنسان بهده الكلمة يجد الفرح والنشاط في نفسه. وكأن هذه الكلمة ممتلئة نوراً وتشع بالنور.

والرياء والتظاهر ضد هذه الكلمة، سنتحدث عنهما في المستقبل بمشيئة الله تعالىٰ ولطف بقية الله عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف. وكلمة «الرياء» و «التظاهر» كلمة مظلمة جداً وكلمة شؤم، وبمجرد ان يتصورها الإنسان يجدها مظلمة من رأسها إلى مقدمها.

وأما كلمة «الاخلاص» و «الخلوص» فهي مقدسة. ويقبل هذا حتى غير المسلمين أو من لا دين له.

ـ معنىٰ الخلوص:

الخلوص حالة للإنسان تكون أعماله وأقواله مظهراً لها. وإذا كانت صفة الخلوص حاكمة على قلب إنسان فستكون أقواله مخلصة، أعماله مخلصة، ولا شيء في نظره غير الله. وإذا استطاع الإنسان أن يصبغ جميع أقواله وأفعاله بصبغة الإخلاص فانه أمر جيد، يقول القرآن:

﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾[1] .

أي أن أحسن صبغة هي صبغة الله، وكذلك يقول القرآن الشريف: ان الدين جاء أصلاً من أجل العبادة، لا صرف العبادة، بل العبادة التي فيها لون الخلوص.

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾[2] .

لم يؤمروا بغير العبادة، ولكن العبادة المصبوغة بلون الخلوص، والذي يريد أن يكون عمله نورانياً ومملوءاً بركة، وفيه خير الدنيا والآخرة، يجب ان يكون ساعياً لا في صلاته وصيامه فقط بل لتكون جميع أعماله مصبوغة بهذه الصبغة؛ لتكون جميع أعماله مخلصة، فمثلاً المرأة التي تقوم بأعمال المنزل وترعىٰ زوجها وأطفالها إذا أرادت سعادة الدنيا والآخرة، إذا أرادت لبيتها ان يزدهر ويمتلىء فرحاً؛ إذا أرادت أن يكون لها أولاداً صالحين، وإذا أرادت محبة زوجها، فيجب عليها ان ترعىٰ زوجها وأولادها في سبيل الله، أن يكون في عملها صبغة الله، وصبغة الله هذه تجعل أعمالها مباركة وتعطي لها ثواب المجاهدين في الخطوط الأمامية للجبهة. وكلما كان الخلوص أكبر كان ثوابه أكثر، حتى يصل إلى درجة تعطي هذه المرأة ثواب الشهيد.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

وكذلك الرجل فبالإضافة إلى أن عليه الإخلاص في صلاته وصيامه يجب عليه الإخلاص في أعماله الدنيوية. أي ينبغي أن يكون الاخلاص أيضاً في المشقة التي يتحملها في سبيل رفاه زوجته وأطفاله ليحفظ ماء وجهه، أي يكون عمله قربة إلى الله تعالىٰ، فبالإضافة إلى البركة والنورانية يعطىٰ ثواب الشهادة أيضاً، وكلما كانت درجات الخلوص أكثر كان ثواب هذا الرجل أكثر، ويمكن ان يرفع الإخلاص قيمة عمل ما إلى حدّ يكون أفضل من الدنيا والآخرة.

ـ إخلاص علي عليه السلام:

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»[1].

ذلك السيف الذي ضرب فيه أمير المؤمنين عليه السلام رأس عمرو بن عبد ود وتلك الضربة ثوابها أفضل من عبادة الجن والإنس، أي لو جعلنا عبادة جميع الإنس والجن في جهة وثواب تلك الضربة في جهة أُخرىٰ لكان ثواب تلك الضربة أفضل، لأنّ فيها صبغة الإخلاص، إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام. وهناك قضية ينقلها مولوي وآخرون، وهي أنّه عندما أسقط علي عليه السلام عمرو على الأرض ليحزّ رأسه صدر منه فعل بقصد إهانة علي، فقام علي عليه السلام، وفي ذلك الظرف العجيب الذي كان يضطرب فيه المسلمون، وفي ذلك الظرف الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما برز علي عليه السلام إلى الميدان:

«برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٣.

أي أن الإيمان والشرك صار وجهاً لوجه. أي أنه إذا خسر علي خسر المسلمون جميعاً، وإذا خسر عمرو خسر المشركون جميعاً. في ذلك الظرف العجيب والاستثنائي ترك أمير المؤمنين عليه السلام عمرواً. سار عدّة أقدام ثم جثا على صدره وقطع رأسه. فسأل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عن سبب تأخير قطع رأس عمرو. فقال علي: يا رسول الله لقد أهانني فغضبت منه فلو قطعت رأسه حينئذٍ لم يكن جميع عملي خالصاً لله تعالىٰ بل كان جزء منه انتقاماً لنفسي، فأردت أن يكون جميع عملي خالصاً له سبحانه، ولهذا قمت عنه وتمشيت قليلاً حتى ذهب عني الغضب وحينئذٍ رجعت إليه وقطعت رأسه ليكون عملي مائة بالمائة لله تعالىٰ. لم تكن أكثر من ضربة بالسيف ولكنها «أفضل من عبادة الثقلين» لأنها قد صبغت بالإخلاص، وذلك أيضاً إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام.

ـ نزول آية الولاية:

وبالإضافة إلى ذلك فانّ ثلاثمائة آية في القرآن نزلت في شأن علي عليه السلام، وقد أجمع على ذلك الشيعة والسنّة. وبين تلك الآيات آية تُسمىٰ آية الولاية ليس في القرآن أفضل منها، وهي مفتخر للشيعة.

وهذه الآية الشريفة دليل جيد على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وعلى كونه الخليفة بلا فاصلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من وجهة نظر الشيعة وكثير من علماء أهل السنة. وتلك الآية الشريفة هي:

﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ (1).

مديركم ووليكم الله ورسوله الذين آمنوا، الذين وبالإضافة إلى

(1) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

الإيمان يهتمون بشأن الفقراء والضعفاء ويؤتون الزكاة وهم في أثناء الركوع. وقد وضعت هذه الآية الشريفة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولاية الله تعالىٰ. وقد نزلت هذه الآية في شأن أمير المؤمنين عليه السلام، عندما كان عليه السلام في صلاة مستحبة فدخل فقير إلى المسجد ولم يعطه أحد شيئاً وأراد أن يخرج يائساً من المسجد، وكان علي في حال الرجوع فمدّ يده، ففهم ذلك الفقير وأخذ الخاتم من أصبع علي، فنزلت هذه الآية الشريفة في هذه الأثناء.

وأنا أظن بأنّ هذا الخاتم كان رخيص الثمن لأن المسلمين كانوا في ذلك الوقت في ضائقة عجيبة، ومن المعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام لا يتختم بخاتم غالي الثمن، إذ لم يكن من عادته عليه السلام أن يلبس شيئاً ثميناً، فقد كان لباسه من الكرباس، بسيطاً جداً، وكان حذاءه بسيطاً جداً، والشيء الوحيد الذي لم يكن بسيطاً هو سيفه ذو الفقار الذي جاء به جبرائيل من عالم الغيب، وإلا فانّ جميع وسائل أمير المؤمنين عليه السلام كانت بسيطة جداً، ومن جملتها خاتمه، ولكن قد طلي بصبغة الإخلاص، ولقد أعطىٰ هذا الخاتم قيمة بحيث أنّ عمر قال: أنا مستعد ان أعطي الدنيا إن كنت أملكها وقوافل الإبل إن كنت أملكها، وتكون هذه الآية نازلة في شأني.

وبعد هذه القضية تخيلوا بأن كل من يتصدق في الركوع تنزل في حقه آية! ولهذا كانوا يتصدقون أثناء الركوع ولم يعلموا بأن الحساب حساب آخر، ليس حساب التصدّق بالخاتم في ركوع الصلاة بل حساب إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام.

وانصافاً إذا قيل بأن قيمة آية الولاية تعادل قيمة عالم الدنيا والآخرة لم يكن جزافاً. وإذا قيل بأن قيمة آية الولاية تساوي قيمة الجنّة لم يكن خطأً. وقد أعطىٰ الله سبحانه هذه الآية لعليّ عليه السلام ثواباً لأنّ علياً لم يعمل من أجل

الثواب.

من يعمل لله فقط لا للثواب فانّ ثوابه سيكون عظيماً. العمل للثواب أمر جيد. وإذا استطاع أحد أن تكون عباداته وأعماله المنزلية وأعماله الاجتماعية مخلصة ومن أجل رضا الله سبحانه فهو أمر مهم جداً.

وفي الحديث:

«تفكر ساعة خير من عبادة سنة».

أو على ما نقله أستاذنا الكبير الإمام قدّس سره: «تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة» أو «سبعين سنة». أي أنّ هناك رواية تقول انّ تفكير لحظة في تحصيل العلم واكتشافه وفي تحصيل الحقيقة واكتشافها تعادل عبادة سنة، ورواية أُخرىٰ تقول تعادل ستين سنة، ورواية ثالثة تقول تعادل سبعين سنة. لماذا هذا الاختلاف؟ لأنّ ميزان الإخلاص كان مختلفاً، فكلما كان الإخلاص أكثر كلما ازدادت قيمته أكثر حتى يعادل عبادة ستين سنة أو سبعين سنة، إلى أن يصل إلى درجة يكون «أفضل من عبادة الثقلين».

ويقول أستاذنا الكبير العلامة الطباطبائي رحمه الله: هذا الإخلاص صبغة عجيبة. فإذا صادف شيئاً صغيراً، شيئاً بحسب الظاهر لا قيمة له أصلاً، صار كالكبريت الأحمر، وإذا لم تصادف هذه الصبغة شيئاً، فمهما كان ذلك الشيء ذات قيمة عالية ظاهراً فانه لا يساوي في الحقيقة جناح ذبابة. ولكلام العلامة الطباطبائي أصل روائي وقرآني.

ـ رواية من منية المريد حول الإخلاص:

نقل المرحوم الشهيد في كتاب منية المريد رواية تقول: جيء بشخص إلى صف المحشر وسُئل ماذا كان عملك؟ فقال: قضيت سبعين سنة من

عمري في ترويج أحكام الدين، وكان كلامي قال الباقر وقال الصادق، وأخيراً فقد طالعت في العلوم الدينية كثيراً حتى صرت عالماً. تحملت المشقة سبعين عاماً في سبيل دين الله، وصار شعري أبيضاً في سبيل الدين.

فيأتي الخطاب: نعم ولكن كان هذا منك لأجل أن يُقال لك ما أكثر علمك! قضىٰ سبعين عاماً من عمره ولكن بدون إخلاص. ويأتي الخطاب: ألقوه في جهنم.

ويقول: ثم يؤتىٰ بشخص آخر إلى صف المحشر فيقال له: ما كان عملك؟ فيقول: لقد جمعت خلال عمري مالاً كثيراً، ولكن كل ما جمعته أعطيته للفقراء والضعفاء. سبعون عاماً من عمري قضيتها في خدمة خلق الله. فيأتي الخطاب: نعم لقد كنت إنساناً خيراً ورأىٰ الناس من يدك خيراً كثيراً ولكن لماذا كان منك هذا العمل؟ كان من أجل أن يُقال لك: بارك الله فيك انّك إنسان خير ومحبّ للخير. كان عملك تظاهراً ورياءً ولم يكن قربة لله. وهذا يجب أن يذهب أيضاً إلى جهنم.

ثم يؤتىٰ بشخص ثالث إلى صف المحشر ويقال له: ماذا كان عملك؟ فيقول: كنت مجاهداً في الخطوط الأمامية من جبهات القتال، ضربت وقتلت حتى استشهدت. فيأتي الخطاب: نعم ذهبت إلى الجبهة وقتلت الأعداء حتى قُتلت ولكن من أجل ماذا؟ من أجل أن يقال ما أكثر شجاعته. نعم هذا الشخص الذي كان في الجبهة نراه هنا لم يكن عمله في سبيل الله وليس لعمله تلك الصبغة. ويأتي الخطاب: ألقوه أيضاً في نار جهنم. لكن يأتون بمذنب إلى صف المحشر، وعندما ينظر إلى حسابه وكتابه يرىٰ بأنّ مصيره إلى جهنم لأنّ أعماله خفيفة وذنوبه ثقيلة، ولكنه قد ذرفت عيناه قطرة من الدمع في إحدىٰ الليالي في سبيل الله، فبكىٰ لذنوبه، وذرفت عيناه قطرة من الدمع في عزاء الإمام الحسين عليه السلام، ومن أجل الإمام الحسين فقط لا

من أجل نفسه، لأن بكاءنا نحن من أجل أنفسنا لا من أجل الإمام الحسين عليه السلام، فيغفر لهذا ويدخل الجنّة.

عندما نقيم عادة مجالس العزاء والمساجد وليالي الإحياء نرىٰ بأن كل شخص قد جاء لأجل مشاكله الخاصة. والذين جاؤوا قربة لله قليل جداً.

وفي الرواية انّ من صلىٰ ركعتين قربة إلى الله حقيقة فانّ الجنة واجبة له. وإذا استطاع أحد أن يقدم عمله إلى يوم القيامة قائلاً إلهي هذا العمل قربة لك، فانّ دنياه تكون عامرة وآخرته أيضاً.

يقول أحد أهل الكشف والشهود: كنت عند رأس الإمام الحسين عليه السلام أبثّ إليه همَّ قلبي، فجاء شاب دخل وسلَّم، فردّ عليه الإمام عليه السلام وعظم هذا الشاب، ولكن ذلك الشاب لم يرَ الإمام، فتعجبت من جواب الإمام على سلامه وتعظيمه له. فقلت في نفسي: يجب أن أعلم ماذا فعل هذا الشاب حتى وصل إلى هذا المقام.

وعندما أتمَّ زيارته، ذهب الشاب خارجاً، فذهبت أيضاً على أثره، وقلت له: يا شاب ماذا عملت جديداً حتى وصلت إلى هنا؟ وحكيت له القضية. فقال الشاب: الحقيقة كانت لي ابنة عم وقد أمرني أبي ان أتزوج منها، ولم أكن أرغب فيها ولكن من أجل إطاعة والدي قربة إلى الله تعالىٰ تزوجتها. وفي ليلة الزفاف التفت إلى وجود نقص في بدنها، ولكني صبرت قربة إلى الله تعالى وحتى لا يذهب ماء وجهها وحذراً من إزعاج والدي أيضاً، ولم أخبر أحداً بالموضوع. وكذلك فقد حملت والدي على كتفي وأتيت به من قريتنا إلى كربلاء، وقد جئت به عدة أيام إلى الحرم وتوفي البارحة فدفنته وأتيت تواً لوداع الإمام الحسين عليه السلام.

يقول هذا الرجل الذي هو من أهل الكشف: فعلمت أن اللقاء مع

الإمام الحسين عليه السلام والأئمة الآخرين عليهم السلام هو في القرب من الله سبحانه، وليس هو في كثرة الذهاب إلى كربلاء ومشهد. بل المسألة شيء آخر.

(شعر):

لو كنت في اليمن وقلبك معي فأنت عندي

وان كنت عندي وقلبك ليس معي فكأنك في اليمن

لم يشاهد أويس القرني النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولكن عشق النبي كان راسخاً في قلبه إلى درجة أنّه عندما كسرت رباعية النبي فانّ رباعيته كُسرت أيضاً وهو في اليمن مع ما بينهما من فاصلة بعيدة. لقد كانت العلاقة عجيبة بين أويس والنبي. وينقل المولوي أنه عندما جاء أويس إلى المدينة كان النبي صلى الله عليه وآله قد ذهب في غزوة له. فرجع أويس لأن أمّه أوصته أن يرجع سريعاً. وحينما وصل النبي المدينة قال: أرىٰ هنا نور الله وأشم رائحة الله.

أي أن أويس القرني نور الله ورائحة الله. وهذا لا أفهمه أنا ولا من هو أعلىٰ مني ولا أنتم أيضاً تفهمونه. ولكن توجد أشياء في هذا العالم لا نفهمها. يوجد غوغائية في هذا العالم.

(شعر):

نحن نسمع ونبصر ونفهم لكننا معكم أيها الأجانب (غير المحارم) خرس.

ولكننا نعلم أنّ أويس القرني وصل إلى هذه الدرجة بإخلاصه بحيث يقول النبي صلى الله عليه وآله: أرىٰ نور الله في المدينة، لأن أويس القرني على حدّ تعبير الإمام قدّس سره: سحق بقدمه على شهوة عقله؛ فلم يترجل عن بعيره ورجع ولم يرَ النبي.

فهل يمكننا أن نجد الدرجة الأولى للإخلاص؟ فيكون عملنا حقاً في سبيل الله، وحينئذٍ يقلّ ما نتوقعه من الآخرين. لا ننتظر أحداً يقول لنا أحسنتم وبارك الله فيكم. ولكن ذلك الذي لا يكون عمله خالصاً لله تعالىٰ يتضجر إذا لم يُقل له بارك الله فيكم، وتراه يزعق كم قد عملت من أجلكم ولكن لم تقولوا «أحسنت» ولو لمرة واحدة، وأمّا إذا كان العمل لله تعالىٰ فالله تعالىٰ هو الذي يقول لكم أحسنتم. وكل من قال له الله «أحسنتم» فليعلم بأنّ جميع العالم يقول له «أحسنتم».

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾[1].

يقول: ان من يعمل لله تعالىٰ بصدق وعلى ضوء إيمانه فانّ ربّ العالمين سيجعل محبته في القلوب حتى يحبهم الجميع.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَن أراد عزّاً بلا عشيرة، وغنىً بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»[2].

إذا كنت تريد أن تكون عزيزاً بين أصدقائك، وإذا كنت تريد الهيبة في قلوب أعدائك، فاخلع لباس ذلّ المعصية والبس لباس عزّ الطاعة، واتصل بنور الله.

ـ نموذج الإخلاص في القرن الأخير:

لقد رأيتم نموذجاً بأم أعينكم ولا يحتاج إلى الإتيان بمثال من التاريخ. لقد رأيتم حياة الإمام قدّس سره ووفاته، وترون الآن قبره. وسبب كل هذه

(١) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٥ ص١٩٢.

العظمة هو شيء واحد فقط وذلك هو «الإخلاص».

مع انه لم يكن قبل الثورة صاحب قدرة بحسب الظاهر. جاء أحد المقربين للشاه إلى قم والتقىٰ بأحد مراجع التقليد الكبار وقال له: إنّنا لا نستطيع ان نأتي باسم آية الله الخميني، أمام الشاه لأنّه يضطرب ويتغير لونه بمجرد أن يسمع اسمه.

ويقول الإمام قدّس سره: في المرة الأولىٰ التي ألقي فيها القبض عليَّ كانوا يخافون ان أصلي إلى أن وصلنا إلى خارج قم، وهناك خارج قم فقط كانوا على استعداد لايقاف السيارة لكي أتيمم ثم يكملون المسير. وعندما تيممت قمت إلى الصلاة في نفس الوقت. فرأيتهم يرتعدون، فسألتهم لماذا أنتم مضطربون؟ من أي شيء تخافون؟ (مع أنهم من ذوي الرتب العالية).

ثم رأيتم ان العالم يرتعد منه، والآن تخاف أمريكا من اسمه أيضاً. ولم نسمع ومنذ وفاة الرسول الأكرم ﷺ وإلى الآن بتشييع كالتشييع الذي حصل لجنازة الإمام قدّس سره. وليس هناك قبر بُني بهذه السرعة وبمثل هذه الجلالة. وجميع ذلك من أجل إخلاص الإمام.

بعد وفاة آية الله العظمىٰ البروجردي لم يكن مستعداً لقبول المرجعية. ولكن عندما استجدت بعض الضرورات السياسية تقدّم على الجميع، ووزّع المنشورات واطلق صرخته المدوية وأخيراً كان يخفق قلبه من أجل الإسلام، ولم يكن له أي صبغة سوىٰ الإسلام. وكل هذه العظمة كانت له في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

يقول الله تعالىٰ: الصوم لي وأنا أُجزي به فأنا جزاؤه الى الجنّة أو شيء آخر الصوم من العبادات التي يقل تلوثها إذ يقل فيها التظاهر والرياء. اللهم إلا إذا أفسده نفس الصائم يروىٰ انه كان هناك شخص واقف في الشمس

يُصلي فقال أحدهم: ما أحسن صلاته! فقطع هذا الرجل صلاته وقال: وأنا مع ذلك صائم.

فأحياناً يكون الأمر كذلك، وإذا كان كذلك فدنياه خربة وآخرته في نار جهنم.

الدرس التاسع عشر

فضيلة الإخلاص (٢)

- موجز عن المراتب الثلاثة للخلوص.
- الشكر والحياء: المرتبة الرابعة للخلوص.
- المحبة لله: المرتبة الخامسة للخلوص.
- المرتبة الأخيرة للخلوص: المحرّك الوحيد هو الله.

فضيلة الإخلاص (٢)

موجز عن المراتب الثلاثة للخلوص:

البحث حول فضيلة الإخلاص والخلوص. وتوجد ثلاث مراتب للخلوص.

المرتبة الأولىٰ: وهي أن يكون العمل لله فقط ولكن المحرك هي الدنيا.

المرتبة الثانية: يكون العمل لله، والنية لله، ولكن المحرك والداعي هي الآخرة. والدخول إلى الجنّة أو عدم الدخول إلى جهنم.

المرتبة الثالثة: تكون النية لله ولكن المحرك مقام لقاء الله ووصول الإنسان إلى مقام عند الله.

وهذه المراتب الثلاث وخاصة المرتبة الثالثة عالية جداً. والعبادة فيها مقبولة، وفيها ثواب الدنيا والآخرة. ولكن ينبغي الإلتفات إلى أنّ لكل مرتبة من هذه المراتب الثلاث حجاب نوراني، وفي كل من هذه المراتب توجد إنّية مختبئة.

فإذا كانت الدنيا المحرك فقد جاء بالعمل لنفع نفسه، وإذا كانت الآخرة فقد جاء بالعمل أيضاً لنفع نفسه، وإذا كانت المرتبة الثالثة فهي غير خالية أيضاً من الذاتية. وليس فيها حجب ظلمانية، ولكن فيها حجب نورانية، ويُقال له في اصطلاح أهل القلوب الجنّة: الشهوة العقلية لا الشهوة الجنسية، وان كان يوجد بين المرتبة الثالثة والمرتبتان الأولىٰ والثانية من فرق كبير.

ـ الشكر والحياء المرتبة الرابعة للخلوص:

المرتبة الرابعة من الخلوص هي ان لا تكون أي ذاتية في العبادة وتكون العبادة أو ترك المعصية من أجل شكر مقام الربوبية فقط. تقول أم سلمة: قلت لرسول الله ﷺ لماذا كل هذه العبادة؟ (ونقرأ في الروايات أنّ النبي الأكرم ﷺ والزهراء عليها السلام عبدا الله سبحانه حتى تورمت قدماهما، وكانت الزهراء عليها السلام تقف على رجل واحدة من شدة التعب ثم تقف على الأُخرىٰ) سألت أم سلمة النبي الأكرم ﷺ لماذا كل هذه العبادة؟ فقال:

«ألا أكون عبداً شكوراً».

ألا ينبغي ان أشكر الله الذي أعطاني كل هذه النعم؟ وكل نعم الله تعالىٰ لها شكر، وإذا أردنا أن نحصي مليوناً من نِعم الله سبحانه فانّا لا نستطيع.

﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[1].

اللقمة التي نضعها في أفواهنا تجري عليها نعم كثيرة حتى تصل إلى أنسجة الجسم. وكريات الدم الحمراء التي يتجاوز عددها المليارات في

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.

بدن كل إنسان مسؤولة عن توزيع الأغذية والأوكسجين في البدن، وتحمل في رجوعها غاز ثاني أوكسيد الكاربون إلى الرئتين وعن طريق عملية التنفس تخرجه إلى خارج البدن وإذا توقفت الكريات الحمر عن العمل فان الإنسان يموت.

والميكروبات التي تدخل الجسم عن طريق الأذن والأنف والفم قد جعل الله تعالىٰ لها حارساً دواراً لدفع أضرارها وهي كريات الدم البيضاء، ويتجاوز عددها في جسم الإنسان على المليارد.

وارتفاع حرارة البدن هي نعم الله لأنها لاسلكي وجرس الخطر وحارس دوار للحفاظ على البدن. وأعظم النعم هي نعمة العقل، أكنت ترضىٰ لو أن الله أعطاك جميع إيران والدنيا وسلب منك عقلك؟ أبداً.

وأنتم أيها الموالون أترضون أن تُعطىٰ لكم الدنيا ويُسلب عنكم حبّ أمير المؤمنين عليه السلام؟ أبداً. ﴿**واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾[1]. أنزل عليكم نعمه كالمطر ولكنكم ـ مع الأسف ـ غافلون وبدل أن تشكروا الله عليها فانكم مع ذلك تعتبون.

وبناءً على هذا فان مراتب الخلوص هي عبادتنا له سبحانه شكراً على نعمه التي وهبها لنا.

والأهم من ذلك الاجتناب عن الذنوب لأننا في مرأىٰ ومسمع منه تعالىٰ. أي ان الدافع لترك الذنوب هو الخجل والحياء منه سبحانه، يقول القرآن:

﴿**وقل اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾[2]

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

أي ارتكب أي ذنب تريد ولكن لا تغفل انّك في مرأىٰ ومسمع من الله تعالىٰ، وفي مرأىٰ ومسمع من رسول الله ﷺ، وفي مرأىٰ ومسمع من جميع الأئمة الطاهرين، وخاصّة في مرأىٰ ومسمع قطب عالم الإمكان، محور الوجود، الواسطة بين الغيب والشهود وليّ العصر عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

ومن هذا القبيل إن الإنسان إذا نظر وإذا تحدث وإذا تصور يجب أن يعلم أنّه في مرأىٰ ومسمع من الله ورسوله والأئمة الطاهرين عليهم السلام. فجميع هؤلاء حاضرون وناظرون. وشيء جيد ألا يقدم الإنسان على المعصية على الأقل حياءً من الله تعالىٰ. ويُطلق أهل القلوب الحيّة على هذا اسم العبادة الاستحيائية. أي أن الإنسان عندما يرىٰ بأنّ الله تعالىٰ ناظر إليه يستحي فلا يغتاب ولا يتهم ولا يكذب ولا يمدّ بصره وترتدي المرأة الحجاب الصحيح ولا يأكل أموال الناس بالباطل، وأخيراً لا يكون في ذمته حقٌّ لله ولا حقٌّ للناس لأنّه في مرأىٰ ومسمع من الله سبحانه.

يريد الله منا ان نكون أوفياء، ويقول عن غير الأوفياء له سبحانه: **﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾**[1].

أي أنّ هؤلاء الناس لم يعرفوا حق الله. هؤلاء الناس غير أوفياء لله تعالىٰ. ولكن ربما يكون الخطاب ممزوجاً بالعتاب، يقول: **﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾**[2].

قُتل الإنسان ما أكثر خيانته، لأنّه في ملك الله يأكل رزق الله وفي مقابل ذلك يعصيه. قد أعطاه الله تعالىٰ جميع نِعم وخيرات هذا العالم ولكنه لا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١، وسورة الحج، الآية: ٧٤.
(٢) سورة عبس، الآية: ١٧.

يُصلي ركعتين لله، أو يصليها كسلاناً، أو يصليها بشكل سيّىء، وحقيقة أنّ مثل هؤلاء الأشخاص هم من أتعس أفراد البشرية الذين لا يهتمون بالمقام الإلهي المقدس.

واني أرجو من الجميع وخاصّة الشباب إذا أرادوا ان يعملوا عملاً أو يقولوا شيئاً أو حتى إذا فكروا أنّ يجعلوا هذه الآية القصيرة نصب أعينهم ثم ليرتكبوا أي عمل أرادوا، وهذه الآية هي:

﴿ألم يعلم بأنّ الله يرىٰ﴾[1] .

اقرأوا هذه الآية الشريفة في اليوم عدّة مرات فبالإضافة إلى كونها قراءة للقرآن تعلمون أيضاً بأنّ الله يرىٰ. وكرروها حتى تصدقوا بأنّ الله يرىٰ، بل يرىٰ بشكل جيد، أقرب إليَّ من حبل الوريد، بل يفهم هو أولاً ثم نفهم نحن.

﴿ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾[2] .

وهذه هي المرتبة الرابعة للخلوص.

المرتبة الخامسة للخلوص: المحبة لله:

المرتبة الخامسة للخلوص وهي تلك المرتبة التي تكون العبادة فيها لله تبارك وتعالىٰ فيجتنب عن الذنب من أجل الله سبحانه، ودافعه إلى ذلك هو محبة الله تعالىٰ في قلبه عشق الله؛ وذلك العشق والمحبة له سبحانه يلجئه ليصلي ولا يخالف الخالق جلّ شأنه.

ومحبّة الله تعالىٰ قد أحرقت جميع الأوثان في قلبه. ومحبّة الله هي من

(١) سورة العلق، الآية: ١٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

النيران التي تحطم الأوثان، تحطم الأوثان ثم تحرقها أيضاً. وإذا تمكّن حبّ الله في قلبٍ فانّه لا يرىٰ شيئاً في هذا العالم إلاّ الحسن.

(شعر):

استحسن العالم لأنه قد أخذ حسنه منه   واعشق كل العالم لأنه منه

وإذا استطاع المرء أن يجعل محبة الله في قلبه وكانت محركاً له للاجتناب عن الذنوب، فانّ هذه العبادة هي عبادة الأحرار كما قال الإمام السجاد عليه السلام.

ماذا تعني عبادة الأحرار؟ ربما كان الإنسان عبداً لبطنه، وربما كان عبداً للرئاسة، وربما كان عبداً لهواه، وربما كان عبداً للشيطان.

ولكن حينما يمزق كل هذه العبوديات ولا يكون عبداً إلاّ لله سبحانه، فمثل هذا الإنسان هو إنسان حرّ. وعندما يكون إنساناً حراً فانّ عبادته تكون عبادة الأحرار، فعبادة الأحرار هي تلك العبادة التي لا يكون في القلب أي شيء سوىٰ محبة الله تعالىٰ.

وإذا أردنا محبّة الله تعالىٰ، وإذا أردنا محبة أهل البيت عليهم السلام، فيجب ان تكون العلاقة مع الله سبحانه هي الإيمان الكامل، وذلك الشيء الذي يحطم المحبّة هو الذنب، وذلك الشيء الذي يحرق المحبّة هو الذنب. وذلك الشيء الذي يُنمي محبة الله هي الصلاة في أول وقتها، الصلاة مع الخشوع والخضوع، الصلاة مع حضور القلب، الصلاة مع التعقيب.

أيها الشباب إذا أردتم الدنيا، إذا أردتم الآخرة فأدوا الصلاة في أول وقتها، الصلاة مع الجماعة، الصلاة مع الخضوع. ونقرأ في الروايات: أنّه عندما خلق الله الجنّة قال لها: تكلمي، فقالت:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[1] .

أفلح المؤمن الذي هو خاشع في صلاته، وبالإضافة إلى محافظته على الصلاة يصليها بأدب ومع حضور قلب.

يا أصحاب الحوائج! يا أهل البلاء! لا تضيعوا الصلاة في أول وقتها. والذي يؤخر صلاته بدون عذر عن أول وقتها يندم في الدنيا والآخرة، يُبتلى ويُمتحن. إذا أردتم الخير فلتكن صلاتكم في أول الوقت فإن استطعتم فصلّوها في المسجد ومع الجماعة، وإن لم تستطيعوا فصلّوها في بيوتكم ومحلّ عملكم في أول وقتها.

وتورث صلاة الليل محبّة الله سبحانه. وعندما يأتي حب الله يقتلع جذور جميع الأوثان. ومن كان في قلبه حبّ الله فلا يؤثر فيه برد الشتاء، فينهض منتصف الليل ويكسر الجليد ويتوضأ ويصلي صلاة الليل. ومن كان في قلبه حبّ الله فلا يغتاب ولا يتهم ولا يكذب.

أيها الشباب اعلموا ان الله سبحانه يحبّ عباده. ويحب المحافظة على ماء وجوههم! فايّاكم أن تريقوها، لا تغتابوا، لا تكذبوا على الناس. فإنّ هذه الأعمال تحبط دنياكم وأخراكم.

ذكر المرحوم الكليني رواية عن المعصومين عليهم السلام في علامة المؤمن ومضمون جميعها هو أنه:

«يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لغيره ما يكره لنفسه».

أيها الشباب أترضون ـ والعياذ بالله ـ ان يتجاسر أحد على اخواتكم؟

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١ ـ ٢.

كلا. إذن فلا تتجاسروا على أخوات الناس. أيها السيد أيتها السيدة! أتحبون أن يغتابكم أحد من وراء ظهوركم؟ إذن لا تغتابوا الآخرين من وراء ظهروهم. أترضىٰ ان تبقىٰ الليلة بلا إفطار؟ طبعاً لا. ففكروا بالفقراء والمساكين.

ـ المرتبة الأخيرة للخلوص: المحرك هو الله فقط:

وأمّا المرتبة الأخيرة للخلوص فهي حيث لا يكون هناك محرّك غير الله سبحانه. يعني ان يأتي بالعبادة لله تعالىٰ فقط. لقد كان الدافع والمحرك في القسم الخامس هو «محبة الله»، وأما المحرك والدافع في هذا القسم فهو نفس الله يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

يعني: إلهي لم أعبدك من أجل جنتك ونارك، أنا العبد وأنت المولىٰ، وجدت أنه يجب ان انحني إجلالاً لك. ولهذا فانّ محركي ودافعي هو أنت.

وقد ذكر القرآن الشريف في آيتين هذا النوع من العبادة. الأولىٰ نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام في الليلة التي بات فيها في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند هجرته:

﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[1].

يعني نعرف من عرَّض حياته للخطر ونام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى خرج من مكّة وكان هذا العمل منه ابتغاءً لمرضاة الله فقط، لا لشيء آخر.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

والآية الأُخرىٰ نزلت في حق علي والزهراء والحسنين عليهم السلام وكذلك خادمتهم فضة حينما كانوا صياماً واعطوا إفطارهم وهو الخبز مدّة ثلاثة أيام إلى مسكين ويتيم وأسير وأفطروا على الماء فقط. فنزلت سورة «هل أتىٰ» في ذكر هذا الإيثار. يقول تعالىٰ:

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾[1] .

يعني أنهم اعطوا غذاءهم الذي يحبونه إلى مسكين ويتيم وأسير. ولكن من أجل أي شيء؟

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾[2] .

هنيئاً لمن وصل إلى هذه المرتبة. وهنيئاً لمن كانت محبة الله هي المحرك له للعبادة.

وهنيئاً لمن صام شهر رمضان المبارك ووجد قلبه عامراً بالتقوىٰ.

﴿كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[3] .

ما معنىٰ تقوىٰ القلب؟ يعني خروج الشيطان من القلب ودخول الملك. لماذا يوم عيد الفطر عيدٌ؟ لأنّ الإنسان استطاع تحطيم الأوثان لأن الإنسان استطاع إخراج جميع الأوثان من قلبه. وعندما يُطرد الوثن من بيت القلب يستطيع صاحب البيت المجيء إلى بيته، وصاحب البيت هو الله سبحانه.

---

(١) سورة الإنسان: الآية: ٨.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

«قلب المؤمن عرش الرحمن، لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن».

يقول الله سبحانه: ليس لي مكان، ولكن إذا أردت أن تجدني فاني في قلب عبدي المؤمن. كن مؤمناً ليكون قلبك بيتاً لله، ليكون قلبك عرشاً لله سبحانه.

الدرس العشرون

رذيلة الرياء والتظاهر

- الرياء يُبطل العمل.
- أولئك لا ايمان واقعي لهم.
- المرائي مشرك.
- قصة بهلول.

رذيلة الرياء والتظاهر

كان البحث حول «الخلوص» و «الإخلاص». هذه الفضيلة التي من تحلىٰ بها فاز بسعادة الدنيا والآخرة. هذه الدرة الثمينة التي من ملكها تحولت أعماله الصغيرة إلى أعمال كبيرة، وتصير أعماله القليلة والعادية أعمالاً ذات قيمة استثنائية. قد تحدثنا عن ذلك بشكل مختصر.

ـ الرياء يُفسد العمل:

بحث اليوم حول ضد الإخلاص والخلوص، أي رذيلة الرياء والتظاهر وبمقدار ما يجعل الخلوص من العمل ثقيلاً. فإن الرياء والتظاهر يجعله خفيفاً وأجوفاً. وعلى فتوىٰ جميع مراجع التقليد فإن الرياء موجب لبطلان العمل. أي ان من تظاهر في صلاته وصومه واعطائه الخمس والزكاة وفي أعمال الخير فقد أبطل عمله. وبالإضافة إلى بطلان العمل فانه أيضاً من الذنوب الكبيرة جداً. وقد اعتبر القرآن الشريف هذه المعصية في حدّ الكفر:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذىٰ كالذي يُنفق ماله

رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[1] .

أي لا تبطلوا أعمالكم بالمنّ والأذىٰ. فإذا أديت خدمة إلى أحد فلا تمن عليه بذلك وتؤذيه، فإن مننت عليه وآذيته كان عملك أجوفاً. ثم يقول: كمثل الذي ينفق ماله في سبيل الله ولكن رياءً، فعمله هذا باطل، وبالإضافة إلى بطلان عمله يقول:

﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ .

وذنب هذه العبادة التي فيها الرياء مساوق الكفر.

ـ أولئك ليس لهم إيمان واقعي:

ويقول في سورة الماعون: الذين ليس لهم إيمان واقعي على أربعة أصناف:

الصنف الأول: هم الأشخاص الذين يستطيعون مساعدة الفقراء والمساكين ولم يفعلوا ذلك. فهؤلاء ليسوا مسلمين واقعيين.

الصنف الثاني: وهم الأشخاص الذي يصلون ولكن لا يعتنون بصلاتهم، مثل المرأة المحجبة ولكن تكون رديئة الحجاب لا تعتني بحجابها. ورديئة الحجاب إذا لم تكن أحياناً أسوأ من السافرة فهي ليست أقل منها. يقول القرآن: من صلىٰ بسرعة، وكان ركوعه وسجوده ناقصاً، فصلىٰ خطأً أو آخر الوقت، ولم يهتم بصلاته، فهو ليس بمسلم واقعي.

الصنف الثالث: وهم الأشخاص المرائين، وهم الذين يتظاهرون في أعمالهم، وهؤلاء مسلمون غير واقعيين.

الصنف الرابع: وهم الأشخاص الذين يستطيعون مساعدة الآخرين،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

يستطيعون اقراض جيرانهم وإقراض الآخرين ولكنهم لا يفعلون. يستطيعون إعارة ملابسهم إلى جيرانهم ولكنهم لا يفعلون. وأخيراً يستطيع ان يقرض جاره أو صديقه الشيء الذي يحتاجه ولكنه لا يفعل ذلك. يقول القرآن عن هؤلاء بأنهم مسلمين غير واقعيين:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدعّ اليتيم * ولا يحضّ على طعام المسكين * فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يُراؤون * ويمنعون الماعون﴾.

المسلم ليس بالكلام، المسلم مسلم بعمله. إذا استطعت ان تقضي حوائج المسلمين ولم تفعل فهذه السورة وأمثالها تقول لك ان إسلامك ضعيف، وذهابك إلى الجنة أمر عسير.

ينقل المرحوم ثقة الإسلام الكليني في الكافي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقصم ظهر الإنسان. يقول عليه السلام: «أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار»[1].

وما هو محلّ بحثنا الآن هو أنه ربما يقضي أحدنا حوائج المسلمين ولكن يمن عليهم بذلك، فهذا العمل باطل، ويصير عمله بلا محتوىٰ. أحياناً لا يمنّ عليهم ولكن يعمل ذلك من أجل ان يراه الناس، فيؤدي عمله رياءً وتظاهراً، وحتى أنه ليشتري بيتاً لفقير ولكنه حينما يجلس في أي مكان تسمعه يقول أنا الذي اشتريت بيتاً لفلان، والخلاصة فهو ينجز هذه الأعمال ليقول له الناس «بارك الله فيك». يأتي إلى المسجد ويصلي في الصف الأول

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٦٧ ح١.

ليقول عنه الناس ما أكثر تدينه. وتكون قبلته في الحقيقة هي الناس لا بيت الله. يصلي للناس لا لله. ويكون عمله أحياناً كلّه من أجل الناس وليس في ذهنه شيء أصلاً اسمه الله، فهذا كفر. ويكون في أحيان أُخرىٰ من أجل الله ومن أجل الناس معاً وهذا شرك.

ـ المرائي مُشرك:

ومن هنا نقرأ في الروايات بأن المرائي يُخاطب: «يا مشرك» لأنّ صلاته التي صلاها وصيامه وحجّه وانفاقه وخيراته التي فعلها لم تكن لله فقط بل كانت للناس أيضاً. فالتظاهر والرياء شرك حقيقة. ماذا كان يقول عبدة الأصنام؟ ألم يكن عبدة الأصنام يعبدون الله ويعبدون الصنم:

﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[1].

وأما إذا لم يكن في قلبه لله اسم ولا رسم، وامصيبتاه، فالقرآن يعتبر هذا الشخص على حافة الكفر.

والشيء الذي يجب ان نلتفت إليه هو ان الرياء ربما كان خفياً جداً. أي أن الإنسان يمكن ان يقضي مدة من عمره وهو يرائي ولكنه غافل عن أنه مُرائي. ومن هنا فقد شبه الشرك في بعض الروايات بالنملة السوداء التي تمشي في ليلة ظلماء على صخرة سوداء[2]. فهو خفي إلى هذا الحد.

ومن أدهىٰ الأساليب التي يتبعها الشيطان ليحتال بها على الناس هي الرياء والتظاهر. فربما يأتي الشيطان عن طريق المعصية مثل الغيبة والتهمة والكذب: وربما يأتي عن طريق العبادة، أي يوجد العُجب في قلب العابد، وبهذه الوسيلة يجعله يسلك طريق جهنم.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٩٣.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق، وذلك لأنه يدخل العابد المسجد مُدلاً بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله عزّ وجل مما صنع من الذنوب[1] . هذا زمام الشيطان وحبله. فيسجل هدفه على الإنسان من طريق الدين. وقد قال بنفسه لله سبحانه:

﴿فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[2] .

قال: إلهي الآن وقد صرت من الضالين لأجلس على طرق الناس وعلى أيمانهم وأحرفهم عن طريق السعادة. اجعل الآخرة في نظرهم أمراً تافهاً. وآتيهم من طريق الدنيا وأشغلهم بها. آتيهم من طريق الذنوب أجرهم إلى جهنم بواسطة الذنوب. كما آتيهم من طريق العبادة فاجعلهم من أهل جهنم بواسطة الرياء والتظاهر والعُجب.

الطريق الرابع هو الطريق الذي يعشقه الشيطان كثيراً. يجب علينا جميعاً رجالاً ونساءً أن نحذر من الرياء والتظاهر وان لا نكون من ذوي الوجهين لا نطلق على أنفسنا ـ والعياذ بالله ـ فجأة بواسطة اللحية والمسبحة بأننا حزب الله، فهذا رياء وتظاهر. فإذا كنت من حزب الله وإذا كنت ثورياً فليكن ظاهرك وباطنك شيئاً واحداً. ففي بعض النساء يكون حجابها جيداً في الشارع ولكنها تبقى بلا حجاب أصلاً أمام أخي زوجها وعائلتها وعشيرتها.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣١٤ ح٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦ و ١٧.

أو أنها تكون راقصة من الدرجة الأولى في حفلة عرس في الوقت الذي يكون مكانها في الصف الأول في المسجد. هذا يسمىٰ رياء وتظاهر.

ويسر الشيطان جداً أن يجرّ الناس إلى جهنم عن طريق العباءة واللحية والمسبحة بدلاً من جرهم عن طريق اللاحجاب... الخ، ويسرّ أكثر بأن يجر الناس من أهل جهنم عن طريق الصلاة بدلاً من ان يجرهم عن طريق اللاصلاة.

لا تجعلوا الناس غرضاً لكم فان هذا ذنب عظيم. وأمّا إذا جعلتهم هدفاً لك فلا تكن ملتوياً. فانّ الذنب سيكون أخطر وأعظم إذا جعلت الناس غرضاً لك عن طريق التظاهر بالتدين، عن طريق اللحية والحجاب والثورية. وهذا هو نفس ما يقول عنه القرآن:

﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يُراؤون * ويمنعون الماعون﴾.

الويل للمسلمين الذين يستخفون بصلاتهم، وويل لأهل الرياء. وكما قلت فان أغلب الناس لا يخلون من الرياء. ومن هذه الجهة فان أحداً لا يستطيع ان يدعي بأنه خالٍ من الرياء. الأمر محير جداً.

المرحوم العلامة بحر العلوم الذي كان من مراجع التقليد ومعلماً للأخلاق والعرفان والفقه، كتب كتاباً في الأخلاق وبين الفقه بواسطة الشعر، وقد التقىٰ مرّات عديدة بالإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

جاء يوماً إلى الدرس وهو مسروراً جداً وقال: لقد استطعت ان أقلع جذور الرياء من قلبي. مما يدل على ان هذا الرياء والتظاهر شيء عام وخفي جداً.

- قصة البهلول:

كان البهلول يعيش في عصر هارون الرشيد، وكان إنساناً عجيباً. قيل له تسنّم مسؤولية قاضي القضاة، فتظاهر بالجنون فراراً من القضاء. وكان يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر بأعماله. ولبهلول قصة حول الرياء. رأىٰ يوماً رجلاً يبني مسجداً، فكتب البهلول في أعلىٰ باب المسجد «مسجد بهلول» فلما رآه صاحب المسجد قال له: لماذا فعلت هذا؟ قال البهلول: إن كنت بنيت المسجد لله فلا يفرق حينئذٍ أن يكون المسجد باسمك أو باسم آخر. فقال صاحب المسجد: لقد جهدت حتى بنيت هذا المسجد وأخيراً يكون باسم غيري! ثم ذهب فمحا اسم بهلول وكتب اسمه. فقال البهلول: هذا يدل على أنه لم يبنِ المسجد لله.

وكان الأئمة الطاهرين عليهم السلام وخصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام يذهبون في الليل إلى بيوت الفقراء ويعطونهم الصدقة. ولم يكن يعرف بذلك أحد. إلاّ بعد شهادتهم. وفي ليلة العشرين من شهر رمضان عندما كان علياً عليه السلام طريح الفراش علموا من كان يحمل الخبز والتمر إلى الفقراء.

يقول الراوي: كنت أمشي في المدينة أثناء الليل وكان هناك رجل يمشي أمامي، فتعثر وسقط على الأرض وتبعثر ما كان يحمله، فتقدمت إليه وإذا به الإمام الصادق عليه السلام وهو يجمع الخبز، فقلت له: اتسمح لي أن أحمل هذا الجراب عنك. فقال عليه السلام: لا يجب ان أحمله بنفسي. ففهمت أنّه كان يوزع هذا الخبز على بيوت الفقراء دون أن يعرفه أحد وقد كان جميع الأئمة عليهم السلام كذلك.

والخلاصة: أيها الرجال! وأيتها النساء! احذروا من وجود

التظاهر والرياء في حياتكم. احذروا أن يجعلكم الرياء والتظاهر من أهل جهنم احذروا ان يجلب لكم التظاهر والرياء أكبر حسرة في يوم القيامة.

الدرس الحادي والعشرون

بحث حول إمام الزمان «عجل الله تعالى فرجه الشريف»

بحث حول إمام الزمان «عجل الله تعالى فرجه الشريف»

لا توجد أي قضية في الإسلام أكثر شهرة من قضية إمام الزمان عليه السلام، من مسألة ولي العصر عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف. ولم يولِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتماماً لقضية كاهتمامه بقضية إمام الزمان عليه السلام. وقد كانت قضية الإمام المهدي معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ولا زالت إلى اليوم معروفة أيضاً في أوساط الشيعة والسنة. وكانت ـ من وجهة معينة ـ أكثر شهرة من الصلاة والصيام والحج، لأنّ عدد الروايات المتعلقة بالصلاة لا تتجاوز خمسة آلاف رواية، بينما يوجد أكثر من عشرة آلاف رواية حول إمام الزمان عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف. من طرق الشيعة والسنة معاً. وتوجد لدينا روايات عن الحج ولكنها جميعاً تقارب الألفين أو الثلاثة آلاف رواية.

وقد كتب الشيعة والسنة والآخرون ما يزيد على خمسمائة كتاب حول المهدي روحي فداه. وتقسم هذه الروايات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الروايات الصادرة عن النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام بشكل مجمل. مثل ان الخلفاء من بعدي إثنا عشر كلهم من قريش، وكلهم

من بني هاشم، أحد عشر منهم من ذرية الزهراء عليها السلام وأمثال ذلك. فهذه المجموعة من الروايات صرة مشدودة وعلبة مسدودة.

القسم الثاني: وهذه المجموعة من الروايات أكثر من روايات المجموعة الأولىٰ. وهذه العلبة نصف مفتوحة. فمثلاً توجد لدينا روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله يقول فيها ان الأئمة بعد الحسين عليه السلام تسعة من ذريته، وتاسعهم الذي يغيب ثم يظهر وبيده راية الإسلام ينشرها على ربوع الأرض، ويطبق العدالة في جميع أنحاء الأرض. يقول الإمام الحسين عليه السلام:

«... وآخرهم التاسع من ولدي وهو الإمام القائم بالحقّ يُحيي الله به الأرض بعد موتها ويُظهر به الدين الحق..»[1].

أو ما يقوله الراوي: ذهبت إلى الإمام الصادق عليه السلام في يوم الجمعة فرأيته عليه السلام يبكي ويضرب على فخذه بيده ويقول: أين أنت يا عزيزي. ثم قال: يظهر الابن السادس من ذريتي بعد أن يغيب فترة طويلة، وعندما يظهر ينشر راية الإسلام في أنحاء الأرض.

كان لدعبل الخزاعي قصائد في مدح الأئمة المعصومين عليهم السلام عالية المضامين وقد أُعطي على ذلك جائزة كبيرة من الإمام الرضا عليه السلام. قرأ دعبل على الإمام الرضا عليه السلام قصيدته حتى وصل إلى ذِكر الإمام السابع:

وقبر ببغداد لنفس زكيّة ... تضمّنها الرحمن في الغرفات

فقال له الإمام: أقول لك شعراً وأضفه إلى قصيدتك وهو:

وقبر بطوسٍ يا لها من مصيبة ... ألحّت على الأحشاء بالزفرات

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٣٣.

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً   يفرّج عنّا الهمّ والكرباتِ

فقال دعبل: يا سيدي لمن هذا القبر؟ فأجابه الإمام عليه السلام: قبري ثم تكرّر بعد ذلك في أشعار دعبل ذِكر الظاهر بالسيف والحامل راية الإسلام بيده وناشرها على ربوع الأرض. فقال له الإمام عليه السلام: أتعرفه؟ فقال دعبل: يا ابن رسول الله أعلم أنّه من أهل البيت ويُزهر العالم في عصره. فقال الإمام: ذلك ابني الرابع والذي يظهر بعد غيبة ناشراً راية الإسلام على الأرض.

وأمثال هذه الروايات كثيرة، أكثر من ثلاثمائة رواية من طرق الشيعة والسنّة فيها جملة: «به يملأ الأرض قسطاً وعدلا بعدما مُلئت ظلماً وجوراً» إشارة للمهدي عليه السلام. ويمكن القول بأن هذه الرواية متواترة لفظاً. يعني أن صدورها عن النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام واضح كالنهار وغير قابل للإنكار أبداً. وقد ذكرت الروايات المتعلقة بالإمام المهدي روحي فداه صفة له وهي: «به يملأُ الله الأرضَ عدلاً . . .» أي أنّه عليه السلام يظهر ويجعل الله راية الإسلام في يده لينشرها في أرجاء المعمورة ويملأ الأرض بأسرها عدلاً.

والقسم الثالث من روايات الرسول الأكرم والأئمة الطاهرين عليهم السلام صريحة وواضحة تماماً، ويوجد لدينا خمسين رواية تقريباً من هذا النوع. أي انها جاءت باسم الإمام الثاني عشر المبارك ومواصفاته الشخصية. ومن جملة هذه الروايات رواية جابر بن عبد الله الأنصاري: ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان على المنبر ونزلت هذه الآية الشريفة: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[1] فقال جابر: يا رسول الله قد عرفنا الله الذي يجب ان نطيعه، ونعرفك أيضاً فنطيعك، ولكن من هم أولي الأمر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

المذكورين في القرآن حتى نطيعهم؟

فقال ﷺ: «أولي الأمر» خلفائي من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، والثاني الحسن بن علي بن أبي طالب، والثالث الحسين بن علي، والرابع ابنه علي بن الحسين، والخامس محمد بن علي الملقب في التوراة بالباقر وانك ستراه فبلغه منّي السلام (ونقرأ في الروايات ان جابر قد امتد به العمر حتى لقي في آخر عمره الإمام الباقر وهو صبي وأبلغه سلام رسول الله ﷺ ثم قال النبي: يا جابر وبعد الباقر جعفر، وبعده موسىٰ، وبعده علي، وبعده محمد (الإمام الجواد)، وبعده علي بن محمد (الإمام الهادي)، وبعده الحسن بن علي، ثم ابنه الذي يواطىء اسمه اسمي وكنيته كنيتي)[1] .

ويوجد في القرآن الشريف أكثر من مائة آية تدل على بعضها بحسب الظاهر وبعضها بحسب الباطن على أنه سيأتي رجل باسم «بقية الله» من ذرية النبي الأكرم ﷺ ومن ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام . يقول القرآن:

﴿بقية الله خير لكم﴾[2] .

وتصرّح روايات كثيرة بأن بقية الله هذا هو نفس بقية الله الذي عند الشيعة وهناك موضوع آخر حول المهدي روحي فداه وهو لقاء مجموعة من الأشخاص به عليه السلام، وهؤلاء هم أفراد كثيرون.

يقول أحد العلماء الكبار: ذهبت إلى مشهد مع إحدىٰ القوافل واصطحبت معي أبي وهو كبير السن. وعندما وصلنا إلى نيشابور ذهبنا إلى الحمام وغسلنا ملابسنا وكنت تعباً جداً. تحركت القافلة في أول الليل وكنت نائماً فغفل عني والدي وأفراد القافلة الآخرين. وحينما استيقظت

(١) كفاية الأثر: ص٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) سورة هود، الآية: ٨٦ .

وجدت الوقت قريباً لطلوع الشمس فقد كنت نائماً من أول الليل إلى الصباح وقد ذهبت القافلة وكان الطريق موحشاً أيضاً. فكنت قلقاً جداً خصوصاً بالنسبة لوالدي العجوز إذ لا كفيل له، كنت عاجزاً عن القيام بأي عمل.

وفجأة التفت إلى أن لي إماماً وملاذاً يستجيب لصرخات المضطرين في المآزق ويجب ان أُناديه. فتوسلت بالإمام صاحب الزمان عليه السلام وقلت: «يا أبا صالح المهدي ادركني» (وفي الروايات أن من نادىٰ صاحب الزمان عليه السلام بهذا اللفظ في حالات الشدة والضيق فان الإمام يغيثه ويسعفه) فتوسلت به عليه السلام بهذا اللفظ، وفجأة رأيت عدة أشخاص قال أحدهم سرّ بهذا الطريق. ولم يتكلم بعدها معي ولم أتكلم معه.

فركبت، ولم تمضِ سوىٰ عدّة دقّائق حتى وجدت مقهىٰ ذات منظر جميل جداً، حيث النافورات والماء الجاري والكراسي التي كانت موضوعة حول حوض الماء فذهبت وجلست، وجاؤوا بالشاي، فشربت، وشربت الشاي الثاني، وحينما جاؤوا بالشاي الثالث تذكرت أنه ليس معي نقود، فقلت: ليس معي نقود. فقال: كل هذه لك، نحن لا نريد منك مالاً. ولم انتبه للأمر.

ذهب عني التعب، فركبت مرة ثانية، ولم تمض دقيقتان أو ثلاثة حتى وصلت إلى القافلة. وكانت القافلة تسير من أول الليل إلى الصباح ولكني وصلت إليها في ظرف عدة دقائق. فرأيت القافلة قد وصلت إلى إحدىٰ المنازل وهم في حال النزول.

وأمثال هذه القضايا تدلنا على: ان المبتلين والعاجزين بدل عدم الشكر، وبدل كثرة الشكوىٰ، وبدل ان ـ والعياذ بالله ـ يغتابوا، وبدل أن يتهموا، وبدل أن يعتبوا ويكفروا بالله سبحانه، وبدل أن يذهب النوم في

الليل من جفونهم، وبدل جميع هذا ليتوسلوا بصاحب الزمان عليه السلام الذي استطاع ان ينقل شخصاً لعدة فراسخ في طرفة عين وأن يرفع التعب عن بدنه. وهذا النوع من القضايا يوجب علينا التفكير بإمام الزمان عليه السلام.

التقى أحد الأشخاص بإمام الزمان عليه السلام، فأخذ الإمام يعتب على الشيعة ويقول: لماذا نسانا شيعتنا؟ لماذا لم يذكروننا؟ لماذا لا يطلبون منا العون والمساعدة؟

أولئك الذين يستطيعون تحويل التراب إلى ثروة بمجرد نظرة يستطيعون أن يصلحوا أعمالنا بطرفة عين.

يعتبر العلامة المجلسي رحمه الله أحد علماء الإسلام الكبار. والمشهور بهذا الاسم شخصان، أحدهما الأب والآخر الابن. الأب أفضل من الابن والابن أفضل من الأب. وخاصة ان الأب كان من أهل السير والسلوك. له شرح على كتاب «من لا يحضره الفقيه» باسم «روضة المتقين» في أربعة عشر مجلد وهو كتاب رفيع المستوىٰ. كان فقيهاً قيماً وعارفاً كاملاً. كان من أهل العرفان والسلوك وأهل الفقه وأخيراً كان معلم أخلاق. وأمّا الابن فقد كان من مفاخر الإسلام. ذكر العلامة المجلسي هذا في شرحه على «من لا يحضره الفقيه» في ذيل الزيارة الجامعة (أوصي ان تقرأوا هذه الزيارة كثيراً، في كل يوم مرة، فإن لم تفعلوا فاقرأوها في كل أسبوع مرة، وإلا ففي وقت الحاجة على الأقل. ولا تنسوا هذه الزيارة. التوسل بأهل البيت يفعل الشيء الكثير. نقل المرحوم الشيخ الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم بأن الوباء قد انتشر في العراق وصار الناس يموتون أفواجاً أفواجاً. فعقد أستاذنا المرحوم الفشاركي ـ وهو أحد العلماء الكبار في النجف ـ اجتماعاً وقال: حكمت عليكم بأن تقرأوا زيارة عاشوراء أربعين مرة. وصار هذا الحكم واجباً على الجميع. ولم تمض عشرة أيام من التوسل بأبي عبد الله

الحسين عليه السلام حتى ارتفع الوباء نهائياً عن العراق).

يقول العلامة المجلسي: ذهبت إلى النجف وأردت الذهاب إلى الحرم، فرأيت نفسي غير مُتهيّىء ومستعدّ للزيارة (يقول هذا الكلام من كان مرجع تقليد ومعلم أخلاق، وفقيه كتب أربعة عشر مجلداً في الفقه) ولهذا صمّمت أن اشتغل بالعبادة فترة من الزمان حتى أجد في نفسي العلاقة مع الولاية. فكنت أجيء في الليالي واشتغل بالعبادة في الرواق المطهر وفي النهار أذهب إلى وادي السلام واشتغل بالعبادة في مقام القائم عليه السلام.

فأتممت عشرة أيام، فرأيت في عالم الكشف والشهود اني في سامراء، ورأيت نفسي عند قبر الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام وكان الإمام صاحب الزمان عليه السلام هناك. وحينما وقعت عيني عليه سلام الله عليه حتى أخذت أقرأ له الزيارة الجامعة. فقال لي الإمام: تقدم إلى هنا. فذهبت إليه، فوضع يده على عاتقي وقال: «نِعمَ الزيارة هذه». ثم يقول: وانتهت المكاشفة هكذا. ففهمت أنه إذا أردت اللياقة فيجب ان أسلك طريقها، وطريقها فعلاً هو الإمام المهدي روحي فداه. يقول: فذهبت مشياً من النجف إلى سامراء واغتسلت ودخلت الحرم المطهر للإمامين العسكريين عليهما السلام، فرأيت الإمام صاحب الزمان عليه السلام هناك، وبمجرد أن وقع بصري عليه حتى أخذت أقرأ الزيارة الجامعة مخاطباً له:

«السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزّان العلم، ومُنتهىٰ الحلم، وأصول الكرم...».

مما يدل على أنه كان حافظاً لهذه الزيارة، زيارة جيدة، وجميع معارف الشيعة الدقيقة في هذه الزيارة، كل ما عند الشيعة موجود في هذه الزيارة.

وعند الشيعة أسرار لا يعرفها إلا الشيعة وأئمتهم، هذه الأسرار موجودة في الزيارة الجامعة.

يقول: وعندما قرأت الزيارة قال الإمام عليه السلام: تعال إلى هنا. فذهبت إليه، ولكن هيبة الإمام منعتني فلم أخطو سوىٰ خطوة واحدة ووقفت. فقال الإمام عليه السلام: تقدم فذهبت إليه، فوضع يده على كتفي ووضع بصره في بصري وقال: «نِعمَ الزيارة هذهِ» فقلت: هي لجدّك (وأشرت إلى الإمام الهادي عليه السلام)؟ فقال: نعم.

وأمثال هذه القضايا الحتمية والواقعية كثيرة. ونستفيد من هذه القضية والقضايا الأُخرىٰ أن لا ننسىٰ التوسل بأهل البيت عليهم السلام.

يقول القرآن:

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[1].

يا أيها المتقون، يعني يا أيها الشيعة لا تتركوا التوسل.

أرجو منكم ان تذكروا إمام الزمان عليه السلام دائماً. إقرأوا دعاء الندبة في أيام الجمع، واذكروه في الليالي. واجعلوا ساعة على الأقل من (٢٤) ساعة خاصة لذكر صاحب الزمان عليه السلام قطب عالم الإمكان محور عالم الوجود. الواسطة بين الغيب والشهود. إذا تنفست الآن فبواسطته عليه السلام. وإذا استطعت أن أتحدث وأنتم تستمعون فبواسطته عليه السلام. وإذا كانت لدينا سلامة في العقل فبواسطته، وإذا كانت لنا قدرة وأخيراً إذا كانت عندنا ولاية فبواسطته عليه السلام. وأرجو أن لا يأتي يوم ـ لا سمح الله ـ يرفع صاحب الزمان عليه السلام يده عن رؤوسنا.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

وخلاصة الكلام: أولاً: ان قضية المهدي قضية مشهورة في الإسلام.
وثانياً: يجب ان يكون التوسل بأهل البيت والتوسل بصاحب الزمان عليه السلام في صلب حياة الشيعة. كل بلاء فيهم يستطيع عليه السلام رفعه عنهم يستطيع بطرفة عين أن يحول العالم إلى واحة زاهرة، وبتعبير الزيارة الجامعة:

«بكم فتح الله وبكم يختم، وبكم يُنزِّل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم يُنفس الهمّ ويكشف الضر».

وفي هذا الزمان فان الله سبحانه يرفع المصائب بواسطة صاحب الزمان عليه السلام. قولوا ما بكم من آلام وابتلاءات له عليه السلام. صلوا ركعتين في مكان خالٍ لتجدوا العلاقة الكاملة ثم توسلوا بإمام العصر أرواح العالمين فداه. تكلموا معه باللسان العادي، فالإمام يعرف جميع اللغات العربية والفارسية والتركية والانكليزية، ويفهم أيضاً الحديث باللهجة العامية. توجد قلوب كثيرة بين العوام نظيفة. وما يعشقه الأئمة الطاهرون عليهم السلام ومن جملتهم صاحب الزمان عليه السلام هو القلب الطاهر.

الفهرس

دار الصفوة

بيروت ـ بئر العبد ـ الصنوبرة ـ مقابل سنتر داغر ـ بناية دياب مهدي

ت: ٨٢٣٥١٨ ـ ٨٢٢١٦٧ ـ ٦٠١٠٠٢
فاكس: ٠٠٩٦١١٦٠١٠١٩
ص.ب: ٦٣ / ٢٤

Tel: 823518 - 822167 - 601002
Fax: 009611601019
P.o. Box 63/24